مصطفى محمود

وموقفه من المذاهب المعاصرة

مكتبة الفكر والثقافة
الكتاب السابع

مصطفى محمود
وموقفه من المذاهب المعاصرة

تأليف الأستاذ
حسني محمد العطار

١٤٤٢هـ-٢٠٢٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

وَبِهِ نَسْتَعِينُ

إهداء

إلى الذين حملوا راية استنارة الأمة

إلى الذين أبحروا عكس التيار

إلى الذين نهضوا في زمن الانتكاس

أنا ود. مصطفى محمود

تبدأ حكايتي مع د. مصطفى محمود منذ العام ١٩٧٢م، وكنت حينها على مشارف المرحلة الثانوية، وكان عندنا في مدينة رفح مكتبة واحدة يملكها إبراهيم عوض الله، مكتبة الجمهورية، وكنت معتاد التردد عليها، وفي حينها بدأ يلمع نجم مصطفى محمود، وأذكر أنني اشتريت على فترات عدة كتب منها لغز الحياة ولغز الموت ورحلتي من الشك للإيمان وكتاب حوار مع صديقي الملحد، طبعاً الكتابين الأوليين لا أتذكر ما فهمت منهما في حينه، لكن الكتابين الآخرين كانا لصيقين لي أينما ذهبت أحدهما معي، وكنت في حينها أتابع الرجل في لقاءاته الإذاعية بحرص شديد.

إلا أن النقلة الكبيرة حدثت لي حينما تحولت للدراسة الثانوية في مدينة القدس الشريف، هناك تعرفت على مكتبات أكبر منها مكتبة المحتسب، كانت بالنسبة لي بحر كبير وحبي للسباحة لا حدود له، في القدس اشتريت ما لم أتمكن من شرائه في غزة.

بعدها جاء سفري إلى مصر للدراسة في الأزهر، فكانت النقلة الأعظم في حياتي، من البداية حرصت على

عمل ما كنت أحلم به من قبل، لقاء المشاهير من الكُتاب والمفكرين والعلماء، التعرف على مكتبات القاهرة، الذهاب لحلقات كبار القراء أمثال الطبلاوي وعبد الباسط والأخوين المنشاوي ومصطفى إسماعيل وغيرهم، أيضاً الصلاة في مساجد القاهرة الشهيرة، الحسين والأزهر والسيدة والإمام الشافعي والقلعة، وخطباء كالشيخ كشك والجابري والقرضاوي.

ثم كانت محطة مسجد محمود بالمهندسين، وهناك التقيت وجهاً لوجه مع معشوق قلبي وعقلي مصطفى محمود، أول ما رأيته لم أصدق أنه هو، ضآلة جسم ونحافة وأقرب للقصر منه للطول، أشعث الشعر، انتابتني حالة لا وصف لها، ارتجفت أصابع يداي، تجمعت دمعة في العين ترفض أن تنزل، سلمت عليه كما يسلم كل من كان حاضراً، كان في عقلي وعلى لساني ملايين المجلدات من الكلام أرغب أن أقوله له، لكن لساني لم ينطق إلا بكلمة كيف الحال أنا أحبك، ثم انعقد اللسان عن الكلام، ثم بعد ذلك تجدد اللقاء في ملتقيات عامة، ندوات مؤتمرات دون حديث شخصي خاص، وكأنني أبادله حباً عذرياً من طرف واحد.

حرصت خلال اقامتي في مصر على شراء وقراءة ما يصدر له من كتب عن دار المعارف أو مؤسسة أخبار اليوم، ودارت السنون وأخذتنا الأيام بعيداً، انشغلنا بالوظيفة والبيت والأهل، حتى شارفت رحلة العمر على الانتهاء، والرغبة تزداد إلحاحاً أن أكتب عن مصطفى محمود.

حتى جاءت فرصة استكمال دراسة الماجستير في المذاهب المعاصرة، وكانت رسالة استكمال متطلب الدراسة بحث عن مصطفى محمود، تطلب مني البحث أن أسافر إلى مصر وألتقي بأسرته، وأتعرف على مكان إقامته ومكتبته وتركته، وسمعت عنه كلاماً شرح صدري، جمعت غالباً كل ما كتب من كتب ومقالات، وعكفت على دراستها كلمة كلمة، وحرف حرف.

بعدها شرعت في الكتابة فوفقني الله بكتابة بحث تجاوز ثلاثمائة وعشرين صفحة، حاز القبول من كل من رآه وخصوصاً لجنة المناقشة.

رحم الله الرجل رحمة واسعة، اجتهد وقدم وأعطى كأنه جامعة وحده.

المقدمة

من رحمة الله بالإنسانية أن أرسل إليهم الرسل والأنبياء، وجعل بين فترات توقف مبعث الرسل والأنبياء هداة من الناس على طريق ونهج هؤلاء الرسل والأنبياء، هذا كله حتى لا يترك الله البشر أُسارى للتيه والحيرة والضلال، وسيطرة الشيطان والميل للهوى.

فكانت رسالات هؤلاء الرسل المنارات التي تنير للشعوب طريق هدايتها ونجاتها فتصلح لهم ما أفسدته الأيام والأزمان وتعيدهم إلى طريق الحق والصواب.

واستكمالاً لهذه الرحمة، كان العلماء الذين ساروا على طريق الرسالة والنبوة.

انتهى عهد النبوة، فكان من بعده زمن الصحابة، والتابعين، وتابعي التابعين رضي الله عنهم أجمعين، ثم كان من بعدهم علماء رفعوا لواء الحق وقاموا بواجب الدعوة لهذا الدين، فنصحوا لله ولرسوله ولدينه ولعامة المسلمين.

لقد قام هؤلاء العلماء، والذين لم يخلُ منهم زمان ولا مكان، يحملون على عاتقهم مهمة صعبة، مهمة الدعوة والرشاد، وبيان الحق من الباطل، والدفاع عن هذا الدين من كيد الكائدين، وحقد الحاقدين، فنفع الله بهم الدين والأمة.

من هؤلاء العلماء كان الدكتور مصطفى محمود، هذا الرجل الذي ملأ الدنيا في زمانه، دعوة وكتابة وإعلاماً مرئياً وعملاً خيرياً، حتى قيل إنه ثاني أشهر رجلين في مجال العمل، حيث كان الأول فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي عليهم رحمة الله.

صاحبنا رجل أنعم الله عليه بما لم يُنعم على كثير من الناس، العائلة المتدينة ذات الأصول الشريفة، والذكاء والعلم والعقلية المتفتحة والمال والشهرة والصبر والنجاح وحب الناس له والزهد والتصوف العملي وعدم التكالب على زينة الحياة الدنيا ومناصبها، والتواضع الجم والإخلاص والتفاني في العمل، ومواقف الرجال التي لا تتغير مع تغير الزمان.

هذا الرجل لم أجد له مثيلاً على الإطلاق في مناصرة القضية الفلسطينية، لا على المستوى العربي ولا على المستوى الإسلامي، فقد حمل على عاتقه الدفاع عن هذه القضية وبيان حقيقتها وكشف مزاعم اليهودية الصهيونية، من بداية دخوله مجال العمل الصحفي والفكري، ولم يرضخ لتهديد أو منع من الكتابة والنشر، وهنا مربط الفرس بالنسبة لي.

لهذه الأسباب وغيرها تعلق عقلي وروحي بالرجل، وحرصت على اقتناء ما أتمكن من كتبه.

كان مصطفى محمود يشكل مجموعة من المؤسسات العلمية والخدمية في رجل واحد، وأنا لا أبالغ فيما أقول، فأعمال الرجل ومؤسساته ومؤلفاته وأعماله الإعلامية بين أيدي الناس، ترك لنا هذا الرجل تراثاً أدبياً وفكرياً زاد عن التسعين كتاباً، وترك من المؤسسات الخدمية والطبية والاجتماعية ست مؤسسات، تقدم الخدمة لقرابة اثني مليون شخص سنوياً، تعجز دولٌ عن أن تُنشئ مثل هذه المؤسسات، وترك من خلفه أربعمائة حلقة تلفزيونية من حلقات برنامج العلم والإيمان، والأهم من كل هذا أنه كان للعاملين في حقل الدعوة إلى الله نموذجاً عظيماً يُحتذى به للمفكر والمثقف العامل، الذي يوظف الدين لخدمة المجتمع.

لقد كان الدكتور مصطفى محمود، هذا الرجل الذي ملأ الدنيا في زمانه، دعوة وكتابة وإعلاماً مرئياً وعملاً خيرياً، حتى قيل إنه ثاني أشهر رجلين في مجال العمل

عاش الدكتور مصطفى محمود الحياة بكل ما فيها من متناقضات، وتنقل بين التيارات الفكرية والفلسفية حتى استقر في واحة الإيمان، والتي ملأت عليه روحه، وعقله، وقلبه، فأشاع على من حوله من هذه الإشراقات الشيء الكثير.

لقد كان لبرنامجه المرئي " العلم والإيمان " والذي بثته العشرات من المحطات المرئية، وعلى مدار قرابة

أربعمائة حلقة، كان لهذا البرنـامج الـدور الكبيـر فـي بـث روح الإيمـان، والـهدايـة بـين النـاس، وعلـى مسـتوى كـل الأفكار، والتيارات.

إن الـدكتور مصـطفى محمـود، يُعتبـر مـن الشخصـيات المعاصـرة الهامـة، والتـي لعبـت ومـا زالـت تلعـب دوراً بارزاً ومؤثراً حتى بعد مماته، وانتقاله لجوار ربه، اتفقنـا معه أم اختلفنا معه.

أمر ذات أهميـة أحـب أن أذكـره وهـو أننـا نتحـدث عـن مفكـر ومثقـف، ولـيس عـن عـالم أكـاديمي تخصـص فـي علوم الشريعة والأصول، وهذا لـه اعتباراتـه حين الحكم عليه.

لقد عاش الدكتور مصطفى محمود الحياة بكل مـا فيهـا مـن متناقضـات، وتنقـل بـين التيـارات الفكريـة والفلسـفية حتى استقر في واحة الإيمان، والتي مـلأت عليـه روحـه، وعقله، وقلبه، فأشاع على من حوله مـن هـذه الإشـراقات شيئاً كثيراً.

لقد كـان لبرنـامجـه المرئـي " **العلـم والإيمـان** " والـذي بثته العشرات من المحطات المرئيـة، وعلـى مـدار قرابـة أربعمائة حلقة، كان لهذا البرنـامج الـدور الكبيـر فـي بـث روح الإيمـان، والـهدايـة بـين النـاس، وعلـى مسـتوى كـل الأفكار، والتيارات.

إن الدكتور مصطفى محمود، يُعتبر من الشخصيات المعاصرة المهمة، التي أدت وما زالت تؤدي دوراً بارزاً ومؤثراً حتى بعد موته، وانتقاله لجوار ربه، وذلك من خلال تراثه الغزير كتباً وبرامج إذاعية مرئية ومسموعة، ومشاريع خيرية، اتفقنا معه أم اختلفنا معه.

هؤلاء الرجال بلا شك أصابوا في مواضع كثيرة، وكانت لهم هنات في مواضع أخرى، ومن حقهم، وحق الأجيال علينا أن ندرس آثارهم التي خلفوها، فنُشيد بما أصابوا، ونمدحه، ونعمل على نشره من بعده، وفي نفس اللحظة نُبين موضع الخطأ أو مكان الاختلاف لعلنا أن نجد لهم توجيها أو مبرراً فيما ذهبوا إليه وقالوا به، فإن لم يكن بيّنا الصواب والحق.

هذا هو منهج الخلف مع السلف في هذه الأمة، فالمكتبة الإسلامية تعج بآلاف الكتب التي تناولت سيرة وعمل السابقين، وما كتب السير والطبقات والمعاجم إلا شاهداً على ذلك.

لهذا أحببت أن تكون رسالة الماجستير التي كُلفت بكتابتها في هذا المجال، من باب القيام بواجبنا تجاههم، والانتفاع بما خلفوه وراءهم، فكان الاختيار لهذه الشخصية البارزة.

أولاً. سبب اختيار الموضوع:

كانت فترة الدراسة الثانوية والجامعية لي هي فترة السبعينيات من القرن الماضي، وكانت هذه الفترة وما تلاها هي فترة الانتشار والبروز للدكتور مصطفى محمود.

ففي تلك الفترة نشر أكثر أعماله الفكرية، والتي اقتربت من المائة كتاب، وفيها كان أشهر برنامج إعلامي على الإطلاق وعلى مستوى كل المحطات المرئية، ألا وهو برنامج " العلم والإيمان " لهذا تعلقت به عقول ونفوس الناس، من المسلمين وغير المسلمين، وكنت ممن يتابع هذا الرجل وممن حضر له أكثر من لقاء، صحيح هو ليس خطيباً مفوهاً، إلا أنه كان مفكراً بارزاً، لقد قرأت له في شبابي العشرات من الكتب، وما زلت أحتفظ في مكتبتي بكثير منها، وعلى بعضها بعض التعليقات، منها ما هو إيجابي ومنها ما هو سلبي.

ثانياً. أهداف الدراسة وأهميته:

١. التعريف بهذه الشخصية وبيان عوامل النجاح في حياتها.

٢. دراسة أعماله ومؤلفاته، وبيان ما أصاب الحق فيها، وما جانبه الصواب.

٣. ذيوع هذا المفكر، وشهرته الإعلامية من خلال كتبه وبرامجه المتلفزة.

ثالثاً. معوقات وصعوبة الدراسة:

تكمُن صُعوبات البحث في هذا الموضوع في أمرين أساسين:

الأول: يتمثَّل في اتِّساع دائرة أعمال المرحوم الأديب الراحل، وتنوُّعها بين شِعرٍ ورواية ومسرح ومحاضرة وغيرها، وكلُّ أولئك يجعَلُ مهمَّة التتبُّع والاستقراء صعبةً في دراسة علميَّة كهذه.

الثاني: يتمثَّل في غِياب مَراجِع أو دِراسات تحليليَّة سبقَتْ إلى تناول الموضوع من وجهة نظَر تداوليَّة تحليليَّة.

خامساً. منهج البحث:

سأتبع في دراستي هذه المنهج الوصفي الاستقرائي، وكذلك المنهج التحليلي لأفكار الرجل، ماذا قال وبماذا رد العلماء على أقواله، ومناقشة ذلك كله وتحليله وتبينان وجه الحق أو الخطأ فيه.

الفصل الأول

مصطفى محمود

حياته، وعصره، وعقيدته

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حياته، ويشتمل على خمسة مطالب.

المبحث الثاني: عصره، ويشتمل على ثلاثة مطالب.

المبحـث الثالـث: أعمالـه ومؤلفاتـه وأقـوال معاصـريه فيه.

المبحث الأول

مصطفى محمود

حياته، صفاته، دراسته، عمله، وعقيدته

ويتكون هذا المبحث من خمسة مطالب:

المطلب الأول: اسمه، ومولده، ونشأته، ووفاته.

المطلب الثاني: دراسته وطلبه للعلم.

المطلب الثالث: عمله، ونشاطه الدعوي.

المطلب الرابع: صفاته وأخلاقه.

المطلب الخامس: ثقافته وعقيدته.

المطلب الأول

اسمه، مولده، نشأته، ووفاته

شاء الله سبحانه أن يُقيض لهذا الدين من يحمل لواءه، وينشر عقيدته ويدافع عنه، وقد تتابع العلماء على مدار تاريخ الإسلام، عالمٌ يخلف عالماً، منذ زمن الصحابة الكرام رضي الله عنهم حتى زماننا هذا.

ومن هؤلاء الرجال الذين حملوا على كاهلهم هذه المسؤولية الدكتور مصطفى محمود – رحمه الله – وهو المعني بهذه الدراسة.

وحتى تكتمل دراسة شخصيته والتعرف على إنجازاته كان ضرورياً التعرف على حياته، وعصره، وعقيدته، وصفاته، وأخلاقه، وثقافته.

أولاً. اسمه:

كثيراً ما يكون الاسم الذي يشتهر به شخص ما ليس هو اسمه الحقيقي، أو مختصراً من اسم كامل، وهذا أمر أستاذنا الدكتور مصطفى محمود، والذي اشتهر بهذا الاسم، مع أن اسمه الحقيقي هو: مصطفى كمال محمود حسين آل محفوظ، ويرجع نسبه إلى الإمام علي بن أبي

طالب، عن طريق الإمام علي زين العابدين، رضي الله عنهما [١] [٢].

وكان يُطلق على عائلته لقب الأشراف، وذلك لانتسابهم لآل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم.

ومصطفى محمود هو الاسم الذي عُرف به وطبع على كل أعماله الأدبية والفكرية. [٣]

---

[١] علي زين العابدين : علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (٣٨-٩٤هـ)، رابع الأئمة الإثني عشر عند الإمامية، كان يُضرب به المثل في الحلم والورع، كان يقال له علي الأصغر للتمييز بينه وبين أخيه علي الأكبر، ولد ومات في المدينة المنورة، لم يعقب الحسين إلا من ولده علي زين العابدين . (انظر : الطبقات الكبرى: ابن سعد، ١٥٦/٥، ووفيات الأعيان : ابن خلكان، ٣٢٠/١، والأعلام : الزركلي، ٢٧٧/٤) .

[٢] الفارس المتمرد : مذكرات مصطفى محمود : سيد الحراني، جريدة المصري اليوم، عدد١٥/١٢/٢٠٠٩م .

[٣] انظر : مصطفى محمود والتصوف : أحمد الجزار – ص٦٨.

ثانياً. مولده:

ولد الدكتور مصطفى محمود في قرية (ميت خاقان القديمة) [(١)]، وهي تتبع مدينة شبين الكوم[(٢)] بمحافظة المنوفية، وهي من محافظات وسط مصر، وكان مولده في العشرين من ديسمبر سنة إحدى وعشرين وتسعمائة وألف ميلادية (١٩٢١/١٢/٢٠م).

وترتيبه بين إخوته هو الثامن، وأمه هي ثالث زوجة لأبيه، ووالده هو الزوج الثالث لأمه.

ثالثاً. نشأته:

ولد مصطفى محمود ونشأ في أسرة طيبة كريمة، وما أسرع أن انتقلت الأسرة من المنوفية[(٣)] إلى الغربية،

---

(١) قرية ميت خاقان : إحدى قرى مركز شبين الكوم التابع لمحافظة المنوفية، تشتهر بالزراعة،وأصبحت الآن جزءاً من المدينة،هي مسقط رأس الدكتور مصطفى محمود . (ويكيبيديا الموسوعة الحرة)

(٢) شبين الكوم : مدينة مصرية بوسط الدلتا عاصمة محافظة المنوفية، تتوسط منطقة زراعية، يوجد فيها جامعة المنوفية، من أهم الشخصيات التي ولدت بالقرى التابعة للمدينة الرئيس أنور السادات وحسني مبارك، عدد سكانها يقارب من (٢٥٠,٠٠٠) نسمة (الموسوعة العربية ١٠٧٤/٢) .

(٣) المنوفية : محافظة تقع في جنوب الدلتا شمال العاصمة المصرية، وهي تقع بين فرعي رشيد ودمياط عاصمتها مدينة شبين الكوم، أكثر محافظات مصر كثافة سكانية، تعتمد على الزراعة، عدد سكانها يزيد عن أربعة ملايين نسمة فيها جامعة المنوفية . (الموسوعة العربية ـ ١٧٦٣/٢) .

وعلى الخصوص إلى مدينة طنطا[١]، ويتذكر الرجل أيامه وحياته الأولى قائلاً: "وحين أتذكر تلك الرحلة المبكرة من حياتي تأتيني وعلى الفور من الذاكرة صورة والدي ذلك الحنون الذي ينتمي في خاطري إلى تكوين الملائكة، كان يحتضنني ويحملني على كتفه، كنت مدللاً بمعنى الكلمة رغم أن حال الأسرة أقل من المتوسط"[٢].

الباحث ربما يعذر مصطفى محمود لوصفه لأبيه بهذا الوصف وذلك لشدة تعلقه وحبه لوالده، وأعتقد أنه لا يقصد الوصف الحقيقي.

عمل والده موظفاً حكومياً؛ سكرتيراً في مديرية محافظة الغربية ويتحدث الإنجليزية والفرنسية، مثقفاً، يميل إلى القراءة وشراء الكتب وخصوصاً الدينية منها.

يقول الدكتور مصطفى محمود: "رباني والدي في المسجد والكُتاب، أي أنها كانت طفولة دينية من الدرجة

---

(١) مدينة طنطا : مدينة مصرية وسط الدلتا عاصمة محافظة الغربية، ومنها مقام السيد البدوي قطب من أقطاب التصوف، هي نقطة تجمع للسكك الحديدية والطرق البرية، ومنها جامعة طنطا ، تقع شمال القاهرة وتبعد عنها قرابة (٩٠) كم وهي من المدن المصرية القديمة . (الموسوعة العربية الميسرة ـ ١١٦٤/٢) .

(٢) الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة الأولى .

الأولى، لقد كان أبي يميل إلى الكمال الخلقي النادر، وتعلمت منه الكثير من القيم والمثل العليا والنبيلة"[١].

حفظ الرجل الكثير من سور القرآن الكريم في صغره كعادة الناس في زمانه، وتعلم العربية في الكُتاب، وكان متفوقاً على أقرانه لدرجة شعورهم بالغيرة منه.

ومما يتذكره مفكرنا قوله: "أبي شكّل الدعم الأكبر في هذه المرحلة، فمن المشاهد التي لا أستطيع حتى اليوم أن أنساها أبداً أنه بينما كان الآباء من جيراننا يدخلون بيوتهم وفي يد الواحد منهم كيس من الفاكهة أو الخضار، كان أبي يترك شئون البيت هذه لأمي، فأبي لم يدخل البيت أبداً وهو يحمل ربطة فجل، كان يحمل دائماً في يديه المجلاّت والكتب"[٢].

إن الظروف التي أحاطت بالدكتور مصطفى محمود قد ولّدت فيه منذ صغره حبه للقراءة والعلم وتعلقه بالكتب، مما كان له أثر كبير على تشكيل عقليته واتجاهه الفكري فيما بعد.

لقد عاش الدكتور مصطفى محمود حياته حتى اللحظة الأخيرة منها منكباً على القراءة والكتابة، لهذا لا غرابة

---

(١) المصدر السابق : سيد الحراني، الحلقة الأولى.

(٢) الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة الثانية .

أن تبلغ كتبه التي كتبها قرابة المائة كتاب[١]، ومئات المقالات[٢].

ومما أثر في حياته تأثيراً كبيراً قربه من مسجد السيد البدوي[٣]، وحضور حلقات الذكر والمولد وابتهالات المتصوفة والدراويش، فقد كان لها تأثيرٌ كبيرٌ على تكوينه النفسي والروحاني.

رابعاً. وفاته:

أصيب مفكرنا في آخر حياته بالجلطة، واستمرت رحلة علاجه عدة أشهر حتى جاءته المنية في صباح يوم السبت ٢٠٠٩/١٠/٣١م، الموافق ١٢ ذي القعدة ١٤٣٠هـ، عن عمر ناهز (٨٨) عاماً، وشُيع جسده الطاهر من مسجده (مسجد محمود) بالقاهرة[٤] في

---

(١) سأفرد مطلباً خاصاً لكتب الدكتور مصطفى محمود .

(٢) محادثة هاتفية بين الباحث وابنة الدكتور أمل مصطفى محمود، يوم ٢٠١٢/١٠/٢٦م .

(٣) السيد البدوي : أحمد بن علي بن إبراهيم الحسني (٥٩٦-٦٧٥هـ)، ملقب بأبي العباس البدوي، من كبار المتصوفة، ولد في فاس بالمغرب، ومات في مصر ودفن بمدينة طنطا، زار كثيراً من البلدان، له شهرة كبيرة عند أهل التصوف، وفي مصر على الخصوص، وله مولد باسمه، يؤمه الناس من أغلب بلاد مصر. انظر : ابن عماد الحنبلي : شذرات الذهب : ٣٤٥/٥، ودائرة المعارف الإسلامية، ٤٦٥/١، والزركلي : الأعلام ـ ١٧٥/١ .

(٤) القاهرة : عاصمة جمهورية مصر العربية، وأكبر مدينة أفريقية، تقع على النيل، أنشأها جوهر عام (٩٦٩م)،كان يحيطها سور له ثمانية أبواب ازدهرت على مدار التاريخ، فيها مقر الجامعة العربية والمتحف المصري

جنازة مهيبة، غلب عليها البسطاء من الناس وخصوصاً الفئات التي كان يُقدم لهم الخدمات الطبية والإنسانية.[1]

وكما تذكر ابنته خلت جنازة والدي من تواجد أي رجل من رجالات الدولة، حتى على مستوى مسؤولي محافظة القاهرة، وكأن هناك أمراً بتجاهل هذا الرجل حتى في لحظة موته.[2]

وكثير من الجامعات منها جامعة الأزهر ودار الكتب المصرية والوثائق،يزيد عدد سكانها عن (٢٢) مليون نسمة فيها جميع المقرات الحكومية والوزارات، وفيها المطار الرئيسي للدولة، ولقى مثله السواح الزائرين لمصر . (الموسوعة العربية الميسرة ٢ / ١٣٦٦) .

[1] الفارس المتمرد : سيد الحراني– الحلقة ٢٤.

[2] جريدة المصري اليوم : عدد الثلاثاء، ٢٤ مايو ٢٠١١

المطلب الثاني

دراسته وطلبه للعلم

رحلة الدراسة:

بدأت رحلة مفكرنا الدراسية من كُتاب ومدرسة (الشوكي) نسبة لصاحبها الشيخ محمد الشوكي، في هذه المدرسة تلقى علوم العربية والحساب وحفظ الكثير من القرآن الكريم.

وعن هذه الفترة الزمنية يقول مفكرنا: "كنت أحب وأعشق المدرسة، ويوم الجمعة كان يوم الإجازة الأسبوعي من المدرسة أو كما كنا نسميه يوم المسامحة، وكنت أتمرّد على هذه التعليمات وأذهب في الصباح وأقفز من فوق السور إلى داخل المدرسة حتى لا يراني الغفير، وأتجول في الفصول حتى يحين موعد آذان العصر ثم أمضي إلى أصدقائي وأقص عليهم أنني كنت في المدرسة اليوم، فيقولون غير مصدقين اليوم هو المسامحة فأقول : أنا معنديش مسامحة أبداً"[١].

ثم يواصل الحديث؛ "ومنذ صغره بدأت إرهاصات مواهب مصطفى محمود الأدبية والفكرية، حيث أنشأ في منزل والده معملاً صغيراً لصناعة الصابون والمبيدات

---

[١] الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة الثانية .

الحشرية ليقتل بها الحشرات، ثم يقوم بتشريحها للتعرف إلى أسرار مكوناتها، وكانت هذه فترة أحلامه حيث كان يتمنى أن يصبح عالماً ومخترعاً كبيراً"(1).

بداياته الأدبية:

وأثناء دراسته الثانوية نشر بعض قصائده وقصصه القصيرة من خلال المجلات المدرسية، والإذاعة المدرسية وكان يلقى ثناءً حسناً من معلميه في المدرسة.

الدراسة الثانوية كانت في مدرسة طنطا الثانوية الحكومية، وفيها ظهرت مواهبه الشعرية والأدبية، وكتب فيها بعض القصص القصيرة، إلا أن أكثر اهتمامه كان بالعلوم والتجارب العلمية، "وأغرقت نفسي ليل نهار في التجارب العلمية والتي كانت ستودي بحياتي أكثر من مرة بسبب حدوث بعض الحرائق وانفجارات صغيرة كل فترة، وأغرقت نفسي بالعلوم التي كنت شغوفاً بها مثل الكهرباء والبطاريات وجهاز التقطير والميكروفون والرسم على الورق وتنفيذ اختراعات لأجهزة"(2).

---

(1) مصطفى محمود مشوار العمر : محمد رضوان، دار المعارف، القاهرة، الأولى، ٢٠١٠، ص٧ .

(2) مذكرات مصطفى محمود سيد الحراني، الحلقة الثانية، الهروب من الطفولة .

دراسة الطب:

ويستمر حديث الذكريات؛ "ومن هنا كان هدفه أن يلتحق بكلية الطب ليتوسع في هذا المجال الذي سيطر على اهتمامه وتفكيره، وبالفعل وبعد حصوله على شهادة الثانوية العامة بتفوق، التحق بكلية الطب جامعة القاهرة، (القصر العيني)، وبدأ يمارس هوايته وبحثه الدائب عن أسرار مخلوقات الله، فكان يفحص بعناية أجساد الموتى طارحاً تساؤلاته حول سر الحياة والموت والوجود والعدم والخلق"[١].

وقد اشتهر بين زملائه بحبه للدراسة والتشريح حتى أطلقوا عليه لقب (المشرحجي)، وفي عام ١٩٥٣م تخرّج من كلية الطب وتخصص في الأمراض الصدرية، وعمل طبيباً حتى عام ١٩٦٠م، "وأثناء دراسته في كلية الطب بدأ ينشر مقالاته ودراساته وتأملاته وقصصه القصيرة في مجلات الرسالة والتحرير والثقافة وفي صحيفة النداء التي كان يصدرها الوفدي الكبير ياسين سراج الدين[٢]، وكان ينشر فيها

---

[١] مصطفى محمود مشوار العمر : محمد رضوان، ص٨ .

[٢] ياسين سراج الدين : (١٩٢٠-٢٠٠٥م)، سياسي مصري، من أقطاب حزب الوفد، عمل في السياسة قبل الثورة المصرية عام ١٩٥٢م، ثم أرغم بعدها على ترك العمل السياسي، حتى عاد إليه في منتصف السبعينات في زمن حكم السادات، تولى زعامة حزب الوفد الجديد . (الموسوعة الحرة : ويكيبيديا).

علي محمود طه[1]، وأنيس منصور[2]، وكامل الشناوي[3]، وكانت أول قصة ينشرها في مجلة الرسالة عام ١٩٤٧م، وعمره ستة وعشرون عاماً"[4].

يتحدث مصطفى محمود عن نفسه قائلاً: "وبعد تفوقي في المرحلة الثانوية التحقت بكلية الطب جامعة القاهرة التي كانت دراستها قاسية وتحتاج مجهوداً مضنياً إضافة إلى اعتراض أهلي الشديد على هذا الأمر لكونهم كانوا يرغبون في التحاقي بكلية الحقوق التي كانت تخرج الوزراء والباشوات وقتها، وتحملت كل ذلك لأنه

---

(١) علي محمود طه : (١٣٢١-١٣٦٩هـ)، شاعر مصري، عمل مهندساً، له عدة دواوين شعرية، منها : الملاح التائه، وأرواح شاردة، وشرق وغرب، توفي في القاهرة ودفن في المنصورة . (الأعلام : الزركلي : ٢١/٥)

(٢) أنيس محمد منصور : (١٩٢٤-٢٠١١م)، أديب وإعلامي مصري، تلقى تعليمه حتى المرحلة الثانوية في مدينة المنصورة، انتقل بعدها إلى القاهرة لدراسة الفلسفة في جامعة القاهرة، عمل في التدريس في بداية حياته العملية، ثم تفرغ للعمل الصحفي والكتابة، من أكثر الأدباء المصريين تأليفاً، حتى بلغت كتبه أكثر من مائة كتاب، كتاباته خفيفة قريبة لعقول الشباب، لهذا نال شهرة كبيرة، لعب دوراً كبيراً في نشر الفكر الوجودي في العالم العربي . (موسوعة أعلام الفكر العربي : سعيد السحار ، ٣٢٨/١) .

(٣) كامل الشناوي : (١٩١٨-١٩٦٥م)، أديب وشاعر مصري، ولد في القاهرة لأسرة معروفة بالتدين، إلا أنه مال إلى حياة التحرر والانطلاق، شاعر معروف، عمل في الصحافة والرسم والنحت والتصوير، لم يكن ملتزماً في حياته، ترك عدة مؤلفات . (موسوعة أعلام الفكر العربي : سعيد جودة السحار ، ٢٥٨/١) .

(٤) مصطفى محمود مشوار العمر : محمد رضوان، ص٩.

كان لي أهداف أخرى من دراسة الطب غير أن أكون طبيباً"[1].

وقد كان من ضمن أهدافه لدراسة الطب، الوقوف على أدلة مادية يُحصن بها إيمانه وعقيدته، يقول في موضع آخر: "ولكن من أجل أن أصل إلى يقين يزيد من إيماني وكانت أفكاري أو أسلوب تفكيري أحد أسباب اختياري لهذه الكلية وهو ما تحقق بالفعل فيما بعد، فبعد أن تعرفت على البكتيريا التي تسبب الأمراض، وكيفية علاجها، وبعد وقوفي أمام الجثث الموجودة داخل المشرحة بالساعات، وجدت نقطة البداية للإجابة على كل ما يدور في فلك الحياة، وكل ما يدور حولي، وعرفت جيداً من أين جئنا وإلى أين سنذهب، وكان الوقوف أما الجثث في المشرحة البداية الحقيقية للإيمان"[2].

---

(1) الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة الثانية .

(2) المصدر السابق : الحلقة الثانية .

المطلب الثالث

عمله، ونشاطه الدعوي

مصطفى محمود طبيباً:

بعد أن تخرّج مصطفى محمود في كلية طب قصر العيني التابع لجامعة القاهرة عام ١٩٥٣م، متخصصاً في أمراض الصدر، مارس عمله طبيباً في مستوصف (أم المصريين) للأمراض الصدرية بمصر القديمة في مدينة القاهرة، ثم استقال من عمله عام ١٩٦٠م[١].

استمر عمل الدكتور في مستوصف (أم المصريين) لمدة عامين، انتقل بعدها للعمل في مصحة (ألماظه) للحميات، "التي هيأ لي العمل بها إلى العزلة لموقعها الجغرافي آنذاك، كان في الصحراء التي تتسم بالهدوء والتأمل، وكانت هذه الظروف داعية لأن يولد الأديب والمفكر والفيلسوف الكامن بداخلي"[٢].

أثناء مزاولته لعمله في مهنة الطب، ومن قبل؛ وأثناء دراسته للطب بدأ يكتب مقالاته الأدبية وينشرها في الجرائد والمجلات في ذلك الوقت، ومن هنا بدأت دائرة علاقاته تتسع، فتعرف على الطبيب الأديب يوسف

---

(١) دكتور مصطفى محمود والتصوف : أحمد كمال الجزار، مطبوعات أخبار اليوم، ١٩٩٧، الأولى، ص٦٣ .

(٢) الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة الثالثة .

إدريس[١]، وثروت عكاشة[٢] وذلك من خلال جريدة المساء وآخر ساعة والتحرير، ثم انتقل للعمل في مجلة روز اليوسف والتي كان يرأس تحريرها الصحفي إحسان عبد القدوس[٣]، في هذه الأثناء أصدر مجموعة من كتبه منها : "**الله والإنسان**"، و"**عنبر ٧**"، و"**رائحة الدم**"، و"**أكل عيش**"، و"**شلة الأنس**"، و"**العنكبوت**"، و"**لغز الموت**"، وكل هذه الكتب ما عدا الأول منها،

---

[١] يوسف إدريس : (١٩٢٧-١٩٩١م)، طبيب وأديب مصري، ولد في فاقوس الشرقية، وتلقى تعليمه الثانوي في الزقازيق، ثم انتقل إلى القاهرة، ودرس الطب بكلية القصر العيني، مارس هواية الكتابة وهو طالب جامعي، ثم مارس الصحافة وتنقل بين مجموعة من الصحف الشهيرة في ذلك الوقت، في بداية الستينات هجر مهنة الطب، وقرر أن يعمل في الكتابة والصحافة، له مجموعة من الأعمال الأدبية، اشتهر بكثرة المعارك الأدبية، وخصوصاً في أخريات حياته تؤخذ على أفكاره كثير من المؤاخذات العقائدية. (موسوعة أعلام الفكر العربي : سعيد السحار، ٣٤٠/١).

[٢] ثروة عكاشة : (١٩٢١- ٢٠١٢م)، كاتب وصحفي مصري، ولد بالقاهرة من أسرة راقية، تخرج في الكلية الحربية، شارك الضباط الأحرار في ثورة يوليو ١٩٥٢م، رأس تحرير مجلة (التحرير)، تولى وزارة الثقافة مرتين، له عدة مؤلفات، قام بترجمة الكثير من أعمال جبران خليل جبران.(موسوعة أعلام الفكر العربي : سعيد السحار : ٣١٨/١) .

[٣] إحسان عبد القدوس : (١٩١٩-١٩٩٠م)، أديب وصحفي مصري، ولد بالعباسية في القاهرة، تربى في بيت جده القاضي الشرعي أحمد رضوان، أسست أمه مؤسسة روز اليوسف الصحفية، تخرج من كلية الحقوق، عمل في المحاماة، ثم تركها ليعمل في الصحافة والكتابة، هو من كشف عن قضية الأسلحة الفاسدة في فلسطين عام ١٩٤٨م، له كثير من القصص والروايات، خاض كثيراً من المعارك السياسية أدت به إلى الاعتقال عدة مرات، يعتبر أدبه وفكره من المخل بالأخلاق والقيم الإسلامية . (موسوعة أعلام الأدب العربي : سعيد السحار، ٣١٢/١).

كانت ذات علاقة بعمله كطبيب يمارس مهنة الطب، وعن علاقاته بالمرضى[1].

نظرته للثورة المصرية:

"كل هذا واكب قيام ثورة ٢٣ يوليو في مصر التي استقبلها المصريون بالبشرى والأمل، لأنها تمثل تمرد الجيش والشعب على النظام الملكي الفاسد، فكان التمرد على الواقع هو ما يلفت انتباهي دائماً، ولكن خذلتنا هذه الثورة بعد ذلك، فقد حررت الدولة المصرية لاستعباد الشعب المصري"[2].

من هنا بدأ مصطفى محمود يكتب مقالاته معارضاً السلطة الجديدة من خلال مجلة "روز اليوسف"، مما أدى إلى استدعاء رئيس تحرير المجلة الأستاذ "إحسان عبد القدوس" من قبل أجهزة الأمن ومناقشته فيما يكتب الصحفيون في مجلته ومن ضمنهم مصطفى محمود.

واستمر الحال على ذلك حتى أصدر كاتبنا كتابه **"الله والإنسان"** عام ١٩٥٧، الذي طرح فيه قضايا لم يتعود القارئ على مثلها، مثل "مسألة القضاء والقدر، والجنة والنار، والصواب والخطأ، وقضايا الجبر والاختيار، والبعث والخلود"، وكان طرح مصطفى محمود لهذه

---

[1] الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة الثالثة .

[2] المصدر السابق : الحلقة الرابعة .

القضايا طرحاً عقلانياً، وهذا ما لم يرق لبعض علماء الأزهر حينها، فعارضوه بمقالاتهم التي تنوعت ما بين متهمٍ له بالكفر إلى التفسيق إلى اعتباره ميلاداً لمفكر عبقري.

و"من الطريف أن داراً حكومية (دار الجمهورية للنشر)، هي التي وافقت على طبع الكتاب ونشره، وكان يشرف عليها في ذلك الوقت "أنور السادات"[(١)]، وحقق الكتاب رواجاً كبيراً، والطريف أن المفتي "حسن مأمون"[(٢)]، كان قد قرأ هذا الكتاب وأبدى رأيه بأن هذا

---

(١) محمد أنور السادات : (١٩١٨-١٩٨١م)، سياسي مصري، ولد في قرية ميت أبو الكوم بمحافظة المنوفية، تخرج في الكلية الحربية، عمل في صعيد مصر، وهناك التقى بعبد الناصر، ونشأت بينهما صداقة، انتقل للعمل في القاهرة، كان حلقة الوصل بين الضباط الأحرار وحركة الإخوان المسلمين، شارك في الثورة المصرية عام ١٩٥٢م، تنقل بين عدة مناصب، كان منها نائب رئيس الجمهورية، ثم رئيس جمهورية مصر العربية، قاد حرب رمضان عام ١٩٧٣م، زار القدس عام ١٩٧٧م، اغتيل في ٦ أكتوبر سنة ١٩٨١م أثناء احتفالات مصر بيوم نصر أكتوبر، له مجموعة من المؤلفات منها : يا ولدي هذا عمك جمال (١٩٥٨م)، ومعنى الاتحاد القومي (١٩٥٧)، وقصة الثورة كاملة (١٩٦١م)، والبحث عن الذات (١٩٧٧م)، وغيرها . (الموسوعة السياسية : عبد الوهاب الكيالي : المؤسسة العربية للنشر، بيروت، ١٩٩١، الأولى، ٧٣/٦).

(٢) حسن مأمون : (١٨٩٤-١٩٧٣م)، شيخ الأزهر الشريف، ولد في القاهرة، وكان والده إمام الملك، حفظ القرآن في صغره ثم التحق بالأزهر، تخرج من مدرسة القضاء وعمل قاضياً شرعياً، وتقلد جملة من المناصب الرسمية، كان آخرها مشيخة الأزهر الشريف، له مجموعة من المؤلفات، كان له مواقف عظيمة من احتلال اليهود لفلسطين، والدعوة للجهاد .

الأسلوب يبشر بكاتب كبير وعالم ومفكر، وكان هذا اعترافاً رسمياً من الدولة بهذا الكتاب وقيمته، ولكن قضاة التفتيش الجدد رفضوا الكتاب وثاروا وهاجوا وسبّوا، وقالوا هذا الكاتب أصابه الجنون أو كفر، وقدموا مجموعة من الشكاوى ضدي للقضاء وتمت مصادرة النسخ المعدودة المتبقية في الأسواق من الكتاب بعد أن تخاطفه الكثيرون من المصريين الذين كانوا يرغبون في من يكسر لهم الظلام ويطير الخفافيش التي تتزايد داخله ويفسر لهم حقيقة ما يجري لأنهم سئموا من أن تفرض عليهم الأشياء باعتبارها واقعاً لازماً يقبلوه"[١].

في عام ١٩٦٠م، استقال مصطفى محمود من عمله كطبيب ليتفرغ لعمله كصحفي وكاتب، واستمرت حياته على هذا المنوال، حتى جاءت سنوات السبعينات من القرن الماضي، والتي بدأ فيها الدكتور يكرس حياته كاملة للدعوة والأعمال الخيرية.

اهتماماته الخيرية:

"أنشأ مؤسسة محمود الخيرية التي تتكون من مجموعة من أكبر المستشفيات والعيادات التخصصية في مصر، والتي تستقبل يومياً (٤٥٠٠) مريضاً في

(الأزهر في ألف عام : محمد خفاجي، عالم الكتب، بيروت، الثانية، ١٩٨٨م، ص١/٣٤٨).

[١] المصدر السابق : الحلقة الرابعة .

شتى التخصصات وإجراء (٦٠) عملية جراحية يومياً، كل ذلك مجاناً، وقد بلغ عدد هذه المراكز المتخصصة ستة مراكز"[١].

أما عن عمله في البرنامج التلفزيوني "العلم والإيمان"، فهذا حديث نتركه لمطلب آخر.

نشاطه الدعوي:

وفي مجال الدعوة حدّث ولا حرج، "هو ثاني اثنين أولهما هو الشيخ "الشعراوي"[٢] – رحمه الله-، استطاعا النفاذ إلى كل عقل وقلب في هذا العصر، فمؤلفاته من أكثر الكتب توزيعاً، وأحاديثه يلتف حولها الصغير والكبير، والمتعلم وغير المتعلم، والمسلم وغير المسلم"[٣].

---

[١] نشرة توثيقية بجمعية مسجد محمود، المراكز الطبية التابعة للجمعية .

[٢] محمد متولي الشعراوي : (١٩١١-١٩٩٨م)، عالم أزهري، ومفسر للقرآن الكريم، ولد في قرية قادوس بمحافظة الدقهلية، وفيها حفظ القرآن، ثم انتقل إلى معهد الزقازيق الديني، فكلية اللغة العربية من جامعة الأزهر، عمل بالتدريس داخل مصر وخارجها، ثم تولى عدة مناصب في وزارة الأوقاف، انتهى به الأمر لتولي وزارة الأوقاف في عهد السادات، ترك الوزارة عام ١٩٧٨م، ليتفرغ لنشر الدعوة، له كتب كثيرة منها : تفسير القرآن الكريم، لم يكن يكتب كتبه بنفسه، إنما كان يلقيها على شكل محاضرات يتم فيما بعد تفريغها في كتب ورقية . (موسوعة أعلام الفكر العربي : سعيد السحار، ١/٢٦٠).

[٣] شاهد على العصر عمر بطيش، أخبار اليوم ، ١٩٨٤م، الأولى، ص٧٠ .

ومن هنا تعددت موضوعات كتبه التي كتبها في مرحلة حياته الثانية، وكذلك لقاءاته التلفزيونية ومقالاته في أشهر الصحف والمجالات؛ المصرية والعربية، والتي تدور في أغلبها في فلك الدعوة للإيمان، وبيان محاسن الإسلام، " كان محور دعوة مصطفى محمود رسالته الإيمانية هو الدعوة إلى المواءمة بين الدين والعلم، أو بمعنى أدق أن العلم لا يناقض الدين، بل إن الإسلام في جوهره يدعو إلى العلم والتفكر والابتكار، والرد على الدعاوى التي تزعم أن هناك تعارضاً وتصادماً بين الدين والنظريات العلمية، ونحن في عصر المخترعات والمكتشفات العلمية الباهرة"[١].

لهذا نجد الرجل يُكثر من الكتابة والتأليف في الموضوعات الإيمانية والروحانية، فكانت أول كتاباته في المرحلة الثانية من مشوار عمره كتاب: **رحلتي من الشك إلى الإيمان**، وتلاه كتاب **الطريق إلى الكعبة**، وهكذا توالت كتاباته الرائعة والتي كان لها تأثير كبير على حركة المد الإسلامي في الثلث الأخير من القرن العشرين وما تلاه، لقد "كرس الدكتور مصطفى محمود قلمه للدفاع عن الإسلام على المستوى الفكري وعلى المستوى السياسي. على المستوى الفكري بتوضيح صحيح الإسلام والبعد عن الغلو والتطرف، وعلى المستوى السياسي يكشف محاولة الغرب الآن تشويه

---

[١] مصطفى محمود مشوار العمر : محمد رضوان، ص٢٨ .

صورة الإسلام، وأنه العدو الجديد بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، كما أنه يتصدى لمؤامرة الصهيونية وإزاحة النقاب عن وجهها الحقيقي، كما يبرز دائماً أوضاع العالم العربي، وما فيه من انقسامات لا يستفيد منها إلا الأعداء الذين يمتصون دماء العالم العربي، ويأكلون ثرواته باختلاق المشاحنات والخلافات بين أبناء العقيدة الواحدة"[١].

وهكذا نجد أن مصطفى محمود كان شخصية مؤثرة داخلياً وخارجياً، وعلى أكثر من اتجاه.

---

[١] مصطفى محمود ودوره في خدمة قضية كوسوفا : بكر إسماعيل، مكتبة ألبا برس، القاهرة، ٢٠٠٠، الأولى، ص١٧ .

المطلب الرابع

صفاته وأخلاقه

اتسم الدكتور مصطفى محمود بجملة من الصفات والأخلاق، قلّما نجدها في زماننا هذا في كثير ممن يتصدون للعمل الدعوي، وقد كان للبيت الذي ولد ونشأ فيه، وتربية الوالدين له ولإخوانه بالغ الأثر الحسن في أخلاقهم.

وهو يحفظ لوالده في عقله ونفسه ذكريات طيبة كثيرة، كانت له فيما بعد نبراس حياة، لهذا نجده فيما بعد يُسمي كل المؤسسات الخيرية التي قام بإنشائها باسم والده، فهو يقول عن والده: "لم يكن مثقفاً ولا مطلعاً على النظريات الحديثة في علم النفس والتربية، ولكنه كان يجيد اللغة الفرنسية بطلاقة، وكان رجلاً بسيطاً باطنه عامر بالإيمان العميق، وحب الله، والحب الفطري للخير والرحمة والتسليم والتفويض والرضا، والذي كان يتخلق بخلق الأولياء"[١].

وكان كاتبنا يتصف بجملة من الصفات والأخلاق، من أبرزها كان الزهد والعزلة والتواضع والكرم، وهو ما سنبينه فيما يلي:

---

[١] دكتور مصطفى محمد والتصوف : أحمد الجزار ، ص٧٠ .

أولاً. الزهد والبعد عن الترف:

من أبرز ما يلاحظه أي شخص يتعامل مع الدكتور مصطفى محمود زهده في متاع الدنيا وشهواتها، إن كان ذلك مالاً أو منصباً سياسياً أو طعاماً وملبساً أو بيتاً فاخراً، وكان رحمه الله لا يُغريه ما يجد بين أيدي الناس : "لا أستطيع أن أُنكر أنني عشت حياة متواضعة في منزلنا، لكن شملتها الراحة والسكينة والطمأنينة والبركة في المعيشة والمأكل والمشرب والملبس، حقيقي لم أكن أعرف السيارة أو التاكسي، ولكن الحمار في أحسن الأحوال كان وسيلة جميلة استخدمها حينما كنت أريد أن أذهب إلى القرى المجاورة لزيارة أقاربنا ومعارفنا، وكان طريقي إلى المدرسة أقطعه سيراً على الأقدام يومياً، ولا أنسى أن زملائي في المدرسة كانت تنتظرهم على باب المدرسة سيارات فارهة لتوصيلهم إلى منازلهم، لكنني لم أعقد مقارنة مطلقاً بيني وبينهم، لم أحلم يوماً بأن يكون لدي سيارة أو قصر ولم يخطر ببالي ضرورة أن أكون غنياً، فقد كنت أعيش بكل كياني في عالمي الخاص، وهو كان عالماً مليئاً بالقيم والمثل العليا، ومليئاً بالبطولات، والانتصارات، ودائماً كان بداخلي انتصار الخير على الشر في هذه الحياة"[١].

---

[١] الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة الأولى .٠

هذه حال طفولته، فما بالنا حينما يكبر وتكبر معه منظومة القيم والأخلاق التي تربى عليها، لهذا ليس غريباً أن يترك حياة القصور والبيوت الفارهة ويعيش في شقة صغيرة متواضعة بالنسبة لمكانته ومركزه العلمي والاجتماعي، تتكون من حجرة وصالة؛ ملحقة بالمركز الإسلامي الذي أسسه في منطقة المهندسين بالقاهرة، وهو القادر على أن يمتلك أفخم البيوت[(١)].

"وكان طعامه المعتاد يومياً في الإفطار قطعة جبنة ومربى وعيش وشاي بلبن، وفي الغداء قطعة سمك مشوي وتفاحة وقطعة عيش"[(٢)].

رفضه للمناصب والمراكز العليا:

وقد عرض عليه الرئيس السادات أكثر من منصب: وزارة الثقافة أو وزارة الأوقاف، وفي هذا الخصوص يقول مصطفى محمود عن هذا الموقف: "ووجدته يقول في جدية أنا محتاج لك يا مصطفى، فقلت له على الفور: طلباتك أوامر يا ريس، فوجئت به يعرض عليّ أكثر من وزارة (الثقافة أو الأوقاف)، ولكن لم يكن من ضمنها وزير الصحة أو الإعلام كما شاع في وقتها"[(٣)].

---

(١) مصطفى محمود والتصوف : أحمد الجزار، ص٨١ .

(٢) الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة الأولى .

(٣) الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة الرابعة عشرة .

ويقول في موضع آخر: "أنا مصطفى محمود، مش عارف عن نفسي غير راجل بيعرف يقرأ ويكتب، أشغل نفسي في المرصد وأفكر في كواكب الفضاء، ألعب بالميكروسكوب، وأشغل نفسي بالبروتون والنواة، أشرّح نباتاً أو حيواناً وأقارنهما بتركيب الإنسان، أحضر جلسة صوفية، أقرأ جزئي قرآن وتفسيرهما، لكن أن أكون وزيراً، أنا أعاني من عشرين سنة من السلطة ورخامتها وتسلطها، فجأة كدة أدخل اللعبة".

ثم يقول: "اتصل بي الرئيس "السادات" بعد يومين وقال يومها: أريدك أن تكون رئيساً لمجلس إدارة دار الهلال بالإضافة إلى كونك مستشاراً لي، وبالطبع وجدت نفسي في حرج بالغ من كل هذه الثقة الزائدة في، ومن كل هذه المناصب التي هبطت عليّ من السماء، وقلت له: أنا يا ريس بكل صراحة فشلت في إدارة أصغر وحدة في المجتمع وهي زواجي فكيف تتصور أنني يمكن أن أنجح في إدارة مؤسسة كاملة تحوي آلافاً من الموظفين، والأدهى أن أتحمل مسؤوليتها الاجتماعية وأتحاسب على اللي حققته واللي فشلت فيه قدام ربنا"[١].

هذا نموذج من الزهد نادراً ما نجده إلا عند القلة الذين ربط الله على قلوبهم، فلم تعد هذه الدنيا تساوي عندهم شيئاً، ولأنهم علموا أن لهم رسالة محددة يقومون

---

[١] المصدر السابق : الحلقة الرابعة عشرة .

بتأديتها، فالتزموا بها دون النظر إلى غيرها، وعلم الرجل أنه سينتهي الكاتب والداعية عنده مع أول يوم يكون فيه مديراً وسيكون مديراً فاشلاً (كما ذكر مصطفى محمود عن نفسه)، إنها الحقيقة مع النفس، والفشل ليس نتيجة العجز والجهل بل نابعاً من الزهد.

ثانياً. عزلته عن الناس:

ظهرت بوادر حب مصطفى محمود للعزلة منذ طفولته، وهذه العزلة لم تكن ضعفاً في التركيبة النفسية، أو لعيب خَلقي في جسمه، بل هي رغبة في التفرد بالنفس، والخلوة بالذات، فهو "يحن دائماً إلى العزلة والخلوة مع نفسه، والتأمل ومحاسبة نفسه من وقت لآخر، حين ناقشته (الضمير يعود على المؤلف) في مسرحية المسيخ الدجال، قال: كتبتها في ألمانيا في جبل فوق مكان يسمى الغابة السوداء، صمت رهيب وعزلة جميلة ووحدة مطلقة، لا تسمع ولا ترى أحداً، وهو جو محبب لنفسي جداً"[1].

وقد لازمه ميله للعزلة منذ طفولته، فهو يقول: "لهذا لم يكن غريباً أن يكون لي عالمي الخاص، لأتجول فيه ما بين البطولات والانتصارات بداية من السندباد ورحلاته التي كانت لا تفارقني، والمكتشفين والعلماء، وكانت أحلامي كلها بطولات سواء بطولات عسكرية

---

[1] مصطفى محمود والتصوف : أحمد الجزار، ص٨٢ .

مثل خالد بن الوليد[١] والاسكندر الأكبر[٢] الذي كتبت فيما بعد مسرحية تحمل اسمه أو بطولات علمية مثل ماركوني[٣] وأديسون[٤] "[٥].

والملاحظ أن هذه العزلة كانت عزلة إيجابية وليست عزلة سلبية، كان خلالها يتردد على الكُتاب وعلى

---

(١) خالد بن الوليد بن المغيرة : صحابي جليل، سيف الله المسلول، من أشراف قريش، حارب المسلمين حتى عُمرة الحديبية، أسلم قبل فتح مكة سنة ٧هـ ، شارك بعدها في كل المعارك بجانب المسلمين جندياً وقائداً، تولى بعد موت النبي جيوش المسلمين في حرب الردة، قاتل مسيلمة وهزمه، مات في حمص بالشام عام ٢٢هـ، روي له ١٨ حديثاً، كتب عنه كثير من الكتب والدراسات . (الأعلام : الزركلي، ٣٠٠/٢).

(٢) الإسكندر الأكبر : (٣٥٦-٣٢٣ ق.م)، أحد ملوك اليونان،ابن الملك فيليب الثاني، كان ملكاً على مقدونيا، تتلمذ على يد أرسطو، أخضع الثورات التي قامت إثر وفاة أبيه، ثم قام بحرب الفرس، فتح كثير من البلاد، أسس مدينة الإسكندرية، وصلت فتوحاته حتى الهند، أصيب بمرض الحمى ومات على أثره، وعمره لم يتجاوز ٣٣ عاماً، دعا إلى التزاوج بين الشعوب حتى تقوم الوحدة بين المشرق والمغرب وبدون قوة، يعتبر من أعظم القادة على مدار تاريخ الإنسانية. (الموسوعة العربية الميسّرة، ١٥١/١) .

(٣) ماركيز ماركوني : (١٨٧٤-١٩٣٧م)، فيزيائي إيطالي حاز على جائزة نوبل في العلوم، واكتشافاته للإرسال التلغرافي اللاسلكي، شارك في تطوير نقل الإشارات الموجية الطويلة، والإشارات عبر المحيط الأطلنطي . (الموسوعة العربية الميسّرة، ١٦١٦/٢) .

(٤) تومس أديسون : (١٨٤٣-١٩٣١م)، توماس ألفا إديسون، مخترع ورجل أعمال أمريكي. اخترع العديد من الأجهزة التي كان لها أثرا كبيرا على البشرية حول العالم، مثل تطوير جهاز الفونوغراف وآلة التصوير السينمائي بالإضافة إلى المصباح الكهربائي المتوهج العملي الذي يدوم طويلاً.. (موسوعة المورد، ٣٩/١) .

(٥) الفارس المتمرد : سيد الحمراني، الحقيقة الأولى .

المسجد ويؤدي الصلوات جماعة في مسجد (سيدي عز الرجال) بطنطا، وكان في نفس الوقت يقضي يومياً ما بين ٥-٦ ساعات في مكتبة البلدية بطنطا يقرأ في مختلف المجالات، ويدخل مجادلات ومناقشات تنتهي بالضرب والجري[١].

فلما وصل إلى المرحلة الثانوية زادت اهتماماته العلمية، فأنشأ في بدروم منزلهم معملاً خاصاً، وكما يقول أغرق نفسه ليل نهار في التجارب العلمية التي كادت تسبب له الموت عدة مرات من خلال الانفجارات والحرائق، وأغرق نفسه بالعلوم التي كان شغوفاً بها مثل الكهرباء وجهاز التقطير والرسم على الورق والقراءة وكتابة الشعر[٢] .

ثم كانت عزلته عن الأهل والناس في أخريات أيام دراسته للطب حينما استأجر غرفة في بنسيون (فندق صغير)، في مدينة حلوان[٣]، اعتزل من خلالها الناس وبدأ يكتب ويراسل الصحف والمجلات الأدبية

---

(١) المصدر السابق : الحلقة الأولى .

(٢) الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحقيقة الثانية.

(٣) حلوان : مدينة مصرية على الضفة الشرقية للنيل تبعد عن القاهرة جنوباً (٢٥) كم، فيها أكبر مجمع للحديد والصلب، ومنها حمامات حلوان الشهيرة، فيها بعض المدافن الفرعونية القديمة، يوجد فيها جامعة حلوان للعلوم التقنية، يزيد عدد سكانها عن مليون نسمة . (الموسوعة العربية الميسرة ـ ٧٣٤/٢) .

والسياسية، وكان من نتائج هذه العزلة كتابه (**الله والإنسان**).

ولم تفارقه رغبته في العزلة حتى بعد أن أصبح شخصية عامة مشهورة، وكاتب يقرأ له الملايين من الناس، وتُترجم كتبه إلى عدة لغات أجنبية، فقد هجر الزوجة والعالم من حوله وسكن في شقة بسيطة لا تتناسب مع مكانته المالية أو العلمية أو الاجتماعية، شقة صغيرة لا تتجاوز الثمانين متراً مربعاً، لا يوجد فيها من الأثاث إلا أقل القليل(١).

يقول الدكتور مصطفى محمود: "قررت بعد الفشل الثاني (الزواج الثاني) أن أعطي نفسي لرسالتي وهدفي كداعية إسلامي ومؤلف وكاتب وأديب ومفكر، وقد اقتنعت تماماً بأن هذا قدري، ورضيت به، ومنذ هذا الحين وأنا أعيش في جناح صغير بمسجدي بالمركز الإسلامي، أغرق مع وحدتي في العمل وتعودت أن أعطي ظهري لكل حقد أو حسد ولا أضيّع وقتي في الاشتباك مع هذه الأشياء، وأفضل أن أتجنبها، وأتجنب أصحابها حتى لا أبدد طاقتي فيما لا جدوى وراءه، انتصاراتي على نفسي هي أهم انتصارات في حياتي،

---

(١) مصطفى محمود سؤال الوجود : لوتس عبد الكريم، مؤسسة أخبار اليوم، ٢٠٠٨م، الأولى، القاهرة، ص٤٦.

وكانت دائماً بفضل الله وبالقوة التي أمدني بها بالبصيرة والنور الذي نوّر به طريقي"[1].

ثالثاً. الكرم والجود والسخاء:

لقد كان للبيئة التي عاش فيها أستاذنا، والتربية التي تلقاها في صغره على يدي والده ووالدته، لقد كان لها أثر كبير في أغوار نفسه ومن ثم في حياته فيما بعد وبشكل واضح وملحوظ.

أثر القدوة والتربية في الإنسان:

كان والد الدكتور مصطفى محمود نموذجاً عجيباً للكرم، نادراً ما نصادف في حياتنا مثيلاً له، فهو يقول: "تدرج أبي في مناصبه من أولى الدرجات الوظيفية كمُحضر إلى أن وصل إلى سكرتير في مديرية الغربية، وارتفع راتبه الشهري من (٨٠) قرشاً حتى وصل إلى (٢٠) جنيهاً، وهو أكبر راتب حصل عليه في حياته، وكانت له عادة لم يقطعها في حياته منذ أول راتب تقاضاه وحتى آخر راتب، وهو أنه كان يعطف بربع راتبه على الفقراء، كان يذهب إلى أقاربه الفقراء والجيران ومعارفه الذين كان يرى فيهم رقة الحال في

---

(١) المصدر السابق : ص١٣٠ .

القرى المحيطة بطنطا ويوزع عليهم ربع هذا الراتب الضئيل، فقد كان عطوفاً حنوناً إلى أبعد مدى"[١].

بلا شك حينما يعيش الطفل حياة مثل هذه الحياة فلا بد أن تغرس في روحه قيماً جميلة وعظيمة، ولا بد أن سيكون لها في نفسه صدىً حينما يكبر ويمتلك المال والقدرة والإمكانات، وهذا ما حدث فعلاً مع أستاذنا.

"وهكذا أصبح مصطفى محمود ظاهرة فريدة في مساعدة الفقراء والوقوف بجانبهم حيث استفاد من مشروعه الخيري أكثر من مليون أسرة بسيطة من البسطاء والغلابة، فتبنى الكثيرون العديد من مشروعاته الخيرية مثل (ما لا يلزمك قد يحتاجه غيرك)، و(القرض الحسن)، و(الصدقة الجارية)، إضافة إلى قوافل الخير التي جابت مناطق مصر النائية لتقديم خدماتها الطبية والاجتماعية والثقافية والدينية، وأصبحت جمعية مصطفى محمود منظومة فريدة للخير والعطاء حيث أصبح بحق موالاً في عشق الغلابة عاش في خيمة الرضا يقبل العطاء ويقدم الخير للبسطاء والمحتاجين"[٢].

هذا الذي يقوم به مصطفى محمود من العطاء والسخاء والكرم، في اللحظة التي يتعرض فيها مال

---

(١) الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة الأولى .
(٢) مصطفى محمود مشوار العمر : محمد رضوان، ص٩١ .

الدولة للنهب والسرقة من رموز المجتمع المصري السياسية والاجتماعية والعسكرية والثقافية، ويهربون بها إلى خارج البلاد، ليس بالملايين بل بالمليارات، ويتلاعبون في مقدرات الشعب، والفقراء والبسطاء منهم على الخصوص.

يقول مصطفى محمود: "كان حلمي تأسيس شيء عمليٍ أستطيع من خلاله أن أمد يد العون، أن أساهم في حل مشاكل المحتاجين من المحيطين بي، في عام ١٩٧٦م بالفعل بدأت تنفيذ الحلم وحصلت من وزارة الأوقاف على ترخيص ببناء مسجد وحصلت على دعم العديد من الأشخاص والجهات لإتمام بناء المسجد وبدأت التفكير في إنشاء مركز خدمي وعلاجي للبسطاء، فكرت أولاً في إنشائه في أرياف الجيزة، ولكن بعد إقامة المسجد فكرت في إنشاء المجمع بجوار المسجد، وعندما وضعنا كل ما نمتلك معاً، أكملوا (٥٠٠) جنيه، وهو المبلغ الذي لا يُسمن ولا يُغني، لكني كنت أعمل عملاً لله، وعندما أعانني الله قمت بزيادة رأس المال المؤسس إلى ستة آلاف، وكان مبلغاً كبيراً في ذلك الوقت، وهو ما ساعدني على إنشاء المستشفى بالفعل، هل تعلم كم تبلغ القيمة الاسمية لهذه الأصول

الآن، أكثر من (١٥٠) مليون جنيه، كلها لله، لا يوجد منها مليم واحد في حسابي الخاص"[١].

وتمتد أيادي هذه المشاريع الخيرية لتصل إلى كل مكان في مصر من الصعيد إلى سيناء إلى مطروح وسوهاج وأسوان، وبلغت قوافل الخير عشرات القوافل، وسماها أستاذنا بقوافل الشتاء والصيف.

هذه هي أخلاق هذا العالم والمفكر الذي أعطى دينه ووطنه والإنسانية الشيء الكثير.

---

[١] الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة ١٧ .

المطلب الخامس

ثقافته، وعقيدته

من ضمن المكونات الرئيسية لشخصية الإنسان، مجموعة من المكونات على رأسها مكون الثقافة ومكون العقيدة، ومن خلال هذين المكونين تبنى شخصية الإنسان، وتتحدد معالم حياته، ويبرز دوره في المجتمع، فلقد لعبت الثقافة المتعددة الجوانب في صقل عقلية وتفكير أستاذنا، وكذلك لعبت العقيدة الدور الكبير في عطائه وكفاحه ودعوته.

أولاً. ثقافة مصطفى محمود:

نشأ مصطفى محمود في بيت لم ير الأبناء والدهم يحمل كيس فاكهة أو ربطة فجل، بل كان دائماً يدخل إلى البيت يحمل بين يديه الكتب والمجلات، بلا شك أن هذا الأمر المعتاد ينعكس على هذا الطفل وإخوانه؛ فيقبل على هذه المجلات وهذه الكتب يُقلب صفحاتها، ويقرأ عناوينها، ويوماً بعد يوم أصبحت القراءة محببة إلى نفسه شغوفاً بها إلى حد كبير، ومن ثم يقبل على قراءة كتب السندباد والرحالة والمكتشفين، وكتب البطولات[1].

---

[1] انظر : الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة الأولى.

وكلما كبر كبرت اهتماماته وخصوصاً أنه كان متفوقاً في دراسته، فأقبل على دراسة وقراءة المتنبي[1] وأحمد شوقي[2] وحافظ إبراهيم[3]، وإبراهيم ناجي[4] كرموز للشعر العربي القديم والحديث.

---

[1] المتنبي : أحمد بن الحسين المتنبي، أبو الطيب (٣٠٣ - ٣٥٤هـ)، شاعر عربي، ولد بالكوفة، ونشأ في الشام، تنقل في عدة بلدان يطلب العلم والشعر، قال الشعر وهو صبي، أجاد في شعره كثيراً، يعتبر من مفاخر الشعر العربي، قُتل في بغداد، ودفن فيها . (الأعلام : الزركلي : ، ١١٠/١).

[2] أحمد شوقي بن علي (١٨٦٨-١٩٣٢م)، شاعر مصري، أشهر شعراء العرب المعاصرين، ولد ومات في القاهرة، تلقى تعليمه في المدارس الحكومية، عاش حية كريمة، سافر إلى فرنسا لدراسة الحقوق، ساعده ذلك على دراسة الأدب الغربي وخصوصاً الفرنسي، تنقل بين عدة وظائف حكومية، أجاد في شعره كثيراً، تناول في شعره الأحداث السياسية والاجتماعية لمصر والمشرق عموماً، أكثر من قول الشاعر وله عدة دواوين مطبوعة، وبعض الكتب النثرية، كتب عنه كثير من الكتب والدراسات . (الأعلام :الزركلي، ١٣٦/١) .

[3] حافظ إبراهيم : محمد حافظ إبراهيم (١٨٧١-١٩٣٢م)، شاعر النيل، ولد في ديروط، ونشأ في القاهرة، مات والده وهو صغير، اشتغل في المحاماة، ثم انضم للمدرسة الحربية، وعمل ضابطاً في سلك العسكرية، نظم الشعر في صغره، اشتهر بأنه شاعر مصر القومي، ترك الجيش وتنقل بين عدة وظائف مدنية، اشتهر شعره بالقوة وجمال اللفظ، واشتهر الرجل بأنه حاضر النكتة ومهذب النفس، جمع شعره في مجلدين، كتب عنه الكثير من الكتب والدراسات . (الأعلام : الزركلي، ٧٦/٦) .

[4] إبراهيم ناجي بن أحمد القصبجي : (١٨٩٨-١٩٥٣م)، طبيب وشاعر، ولد في القاهرة، ومات فيها، درس الطب وعمل طبيباً، واشتغل بالأدب، صاحب نزعة روحية صوفية، جُمعت أشعاره في ديوانين مطبوعين، وله عدة كتب أخرى غير الشعر، في الأدب والقصة، جُمعت بعد موته أعماله

وقد تعددت مصادر ثقافة مصطفى محمود ما بين قراءات أدبية وفلسفية وفكرية ودينية، وهكذا نجد أثر هذا التنوع واضح في تنوع كتاباته وكثرتها.

يُحدثنا الأستاذ محمد رضوان عن مصادر ثقافة مصطفى محمود فيقول:[١]

أهم مصادر ثقافته التي شكلت أدبه وفكره هي:

- الكتب المقدسة: القرآن والتوراة والإنجيل.
- كتب التفاسير للقرآن الكريم لكبار العلماء القدامى والمحدثين.
- مؤلفات كبار المفكرين والأدباء مثل عباس محمود العقاد[٢]، وطه حسين[٣]، ومحمد حسين هيكل[١].

في مجموعة كاملة، كُتب عنه عدة دراسات .(الأعلام : الزركلي، ٧٦/١).

[١] مصطفى محمود مشوار العمر : محمد رضوان، ص١٥ .

[٢] عباس محمود العقاد : (١٨٨٩-١٩٦٤م)، أديب وكاتب وشاعر مصري، ولد بأسوان، ظهرت موهبته منذ صغره، تقلد بعض الوظائف الحكومية، عمل معلماً وصحفياً، انضم لحزب الوفد، وكان من أشهر كتابه، صاحب آراء ومبادئ في الحرية والتربية، له عدة دواوين في الشعر، وعشرات الكتب في الأدب والسياسة والتراجم، من أشهر كتبه العبقريات، توفي في القاهرة، ودفن في أسوان . (الأعلام : الزركلي، ٢٦٦/٣).

[٣] طه حسين : طه حسين بن علي بن سلامة، (١٨٨٩-١٩٧٣م)، كاتب وأديب مصري، ولد في قرية الكيلو من قرى المنيا، كف بصره وهو صغير، درس في الأزهر الشريف، ثم في الجامعة المصرية، سافر

- مؤلفات كبار الفلاسفة العرب وأعلام الفكر العربي والإسلامي مثل: أبي حامد الغزالي[٢]، وابن رشد[٣]، وابن تيمية[١] وغيرهم.

للدراسة في فرنسا، ونال منها الدكتوراه في الأدب، عمل مدرساً في الجامعة المصرية ثم عميداً فمديراً للجامعة، فوزيراً للمعارف، له كثير من الكتب، لُقب بعميد الأدب العربي، خاض كثيراً من المعارك الأدبية . (الأعلام : الزركلي، ٢٣١/٣).

[١] محمد حسين هيكل : (١٨٨٨-١٩٥٦م)، كاتب وسياسي وأديب مصري، ولد في كفر غنام بالدقهلية، تخرج من كلية الحقوق، نال الدكتوراه من السربون، عمل بالمحاماة والصحافة والجامعة المصرية، تولى وزارة المعارف مرتين، ثم رئيس مجلس الشيوخ المصري، له كثير من الكتب، أشهر كتبه في الإسلاميات، وتراجم الشخصيات، توفي في القاهرة . (الأعلام : الزركلي، ١٠٧/٦) .

[٢] الغزالي : محمد بن محمد الطوسي الغزالي (أبو حامد) حجة الإسلام، (٤٥٠-٥٠٥هـ) ولد بطوس، تنقل في كثير من البلدان وأجاد في أغلب العلوم، وكان إماماً وحجة، له عشرات الكتب، أشهرها إحياء علوم الدين، كُتب عنه عشرات الكتب والرسائل العلمية، لم يترك علماً إلا وكتب فيه، عاد في آخر أيامه إلى بلدته ومات ودفن فيها . (الأعلام : الزركلي، ٢٢/٧) .

[6] ابن رشد : الوليد محمد بن أحمد بن رشد (١١٢٦-١١٩٨م)، فيلسوف أندلسي، ولد بقرطبة بالأندلس، أسرته مشهورة بتولي القضاء، حفظ في صغره القرآن وموطأ مالك، ودرس علوم عصره، كان على علاقة طيبة بابن طفيل، محباً للفلسفة، تنقل ما بين الأندلس والمغرب العربي، عمل طبيباً وقاضياً، له عدة كتب نالت شهرة عظيمة، كانت أغلب كتبه عن الفلسفة والطب، شرحاً أو إبداعاً، حاول أن يوفق ما بين الدين والفلسفة، اشتهرت كتبه في بلاد الغرب كثيراً، كُتب عنه كثيرٌ من الأبحاث والدراسات، مات ودفن في مراكش بالمغرب . (موسوعة أعلام الفكر العربي : سعيد السحار، ٣٤/٤) .

- مؤلفات أعلام الصوفية مثل: النفري[٢]،
- ومحيي الدين بن عربي[٣]، والحلاج[٤].

---

(١) ابن تيمية : أحمد بن عبد الحليم الحراني (أبو العباس) (٦٦١-٧٢٨هـ)، شيخ الإسلام، ولد في حران، وانتقل إلى الشام، ظهر نبوغه من صغره، تنقل بين كثير من البلدان، لقب بشيخ الإسلام، ناله كثير من الأذى والسجن، كتب في كثير من فنون العلم، حتى نال الأستاذية فيها، كتبه من أعظم ما كتب في الإسلام، يسترشد بها العلماء في كل البلدان والأزمان، اشتهر بالفتاوى، طبعت أغلب كتبه ، تناوله الدارسون والباحثون في كتبهم ودراساتهم، حتى كتب عنه العشرات من الكتب والدراسات، مات في المعتقل بمدينة دمشق . (الأعلام : الزركلي، ١/١٤٤) .

(٢) محمد بن عبد الله النفري : من كبار الصوفية، ولد بالقرب من الكوفة بالعراق، اشتهر بالزهد والتخفي عن الناس، كان عالماً من علماء القرن الرابع الهجري، جمع حفيده كلماته وإشاراته في كتاب سماه (المواقف والمخاطبات)، يميل النفري إلى الرمزية، قيل أنه توفي في مصر سنة ٣٤٥م، اختصر مصطفى محمود كتاب النفري في كتاب سماه **(رأيت الله)** . (انظر : رأيت الله : مصطفى محمود، دار المعارف، مصر، السادسة، ١٩٨١، ص١٨).

(٣) محمد بن علي عربي الطائي : من كبار الصوفية، ولد في مرسية بالأندلس عام ٥٦٠هـ ، ارتحل إلى كثير من بلاد المسلمين، استقر في نهاية المطاف في دمشق، مكثر من الكتابة، وأشهر كتبه (الفتوحات المكية)، في التصوف وعلم النفس، لُقب بالشيخ الأكبر، خلط ما بين الفلسفة والتصوف، هو ممن قال بوحدة الوجود، مات في دمشق، عام ٦٣٨هـ . (الأعلام : الزركلي، ٦/٢٨١).

(٤) الحلاج : الحسين بن منصور (أبو عبد الله) (٢٤٤-٣٠٩هـ)، صوفي متفلسف، ولد في بلدة البيضاء من بلاد فارس، انتقل إلى بغداد، كان يميل للزهد، لهذا أقبل على حلقات التصوف، تنقل في كثير من البلاد، كان يميل إلى الفكر الباطني، كانت له آراء وأفكار أثارت عليه الناس والعلماء، مما جعل العلماء يكفروه، ويأمر الخليفة بسجنه ثماني سنين، ازدادت فتنته فحكم عليه بالقتل، له مؤلفات متعددة وله ديوان شعر، خلط ما بين الفلسفة

• مؤلفات أعلام الفكر الفلسفي الغربي مثل : نيتشه [(١)]، وهيدجر [(٢)]، وسارتر [(٣)]، وديكارت [(٤)]، فضلاً عن فلسفة أرسطو [(١)]، وأفلاطون [(٢)].

الباطنية والتصوف، وجهت لها اتهامات كثيرة . (موسوعة أعلام الفلسفة : روني ألفا، ٤٠٤/١) .

(١) نيتشه : فريدريك (١٨٤٤-١٩٠٠م)، فيلسوف ألماني، من رواد الفلسفة الفاشية، سيطرت على فكره ونظرياته الكراهية، يعتبر الصراع من أجل الوجود إرادة القوة، يقول بنظرية التطور الداروينية . (انظر : موسوعة أعلام الفلسفة، روني ليلي ألفا، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٩٩٢، ص٥١٢/٢ ،

(٢) مارتن هيدجر : (١٨٨٩-١٩٧٦م)، فيلسوف ألماني، يعد أباً للفلسفة الوجودية الإلحادية، تابعه سارتر في فلسفته وروج لها، تتلمذ على أيدي الآباء اليسوعيين، نال درجة الدكتوراة في الفلسفة اللاهوتية، عمل في التدريس الجامعي، له كثير من الكتب ذات الصلة بالفلسفة، انضم للحزب النازي . (انظر : موسوعة أعلام الفلسفة : روني ألفا، ٥٣٨/٢ ، والموسوعة العربية الميسّرة، ١٩٢٤/٢) .

(٣) جان بول سارتر : (١٩٠٥-١٩٨٠م)، فيلسوف فرنسي معاصر، ولد في باريس بفرنسا، تلقى تعليمه الثانوي والجامعي في نفس المدينة، تنقل بين كثير من البلاد، منح جائزة نوبل في الأدب فرفضها، اشتهر بالفلسفة الوجودية، وعمل على نشرها في العالم بأسره، وذلك من خلال مجموعة الكتب الكثيرة التي قام بنشرها، وترجمت إلى لغات عدة، منها اللغة العربية، رفض فكرة الدين، ودعا إلى الحرية المطلقة من أي قيود اجتماعية أو دينية، كان من المناصرين للكيان الصهيوني، يجمع له التبرعات ويدافع عن احتلاله للأرض الفلسطينية . (موسوعة أعلام الفلسفة : روني ألفا، ٥٣١/١).

(٤) رينيه ديكارت : (١٥٩٦-١٦٥٠م)، فيلسوف فرنسي، ولد في لاهاي ومات في ستوكهولم، تتلمذ على أيدي الآباء اليسوعيين، له كثير من المؤلفات تظهر فلسفته، إلا أن الملاحظة على فلسفته أنها فلسفة متناقضة، فهي ميتافيزيقية، وعلمية، ومثالية ومادية، وسيطية وحديثة، كل هذا في

- روائـع الأدب الغربـي مـن مسـرحيات وروايـات مثل : روائع شكسبير[3]،
- وفيكتور هيجو[4]، واميل زولا[1].

نفس الوقت، تشير أصابع الاتهام في أنه سرق منهجه في الشك (كتاب مقال في المنهج)، أنه سرقه من كتاب المنقذ من الضلال للإمـام الغزالـي، وهنـاك إشـارات قويـة علـى هـذا الاتهـام . (موسـوعة أعـلام الفلسـفة : رونــي ألفـا، ٤٥١/١) .

(١) أرسطو طـاليس : (٣٨٤-٣٢٢ ق.م)، فيلسـوف إغريقـي، تتلمذ علـى يد أستاذه أفلاطون، أسس مدرسة للفلسفة فـي أثينـا سمـاها بالمدرسـة المشـائية، تنقل بـين العديـد مـن المـدن الأوروبيـة فـي حينهـا، لـه مصـنفات كثيـرة فـي الفلسـفة والسياسـة والطبيعـة وعلـم الأحيـاء والمصـنفات العلميـة، اشـتهرت فلسـفته بالنزعـة الواقعيـة خلافـاً لأسـتاذه التـي اشـتهرت فلسـفته بالمثاليـة . (موسوعة أعلام الفلسفة : روني ألفا، ٧٢/١) .

(٢) أفلاطون : (٤٢٨-٣٤٨ ق.م)، فيلسوف إغريقي، ولد في جزيرة أجينا، وهو ينتسب لأسرة عريقة، تنقل في كثير من البلاد منهـا مصـر، يعتبـر مـن أعظـم فلاسـفة العصـور القديمـة، أسـس أكاديميـة لتربيـة وتعلـيم فلاسـفة سياسيين، تعتبر كتبه من أعظم مـا أنـتج العقل البشـري، فقد كتـب مجموعـة كبيرة من الكتب في السياسة والفلسفة والأخلاق والتربية، كان حربـاً شرسـة على السفسطائيين، استفاد الفلاسفة العرب من كتبه كثيراً، وقاموا بترجمتهـا وشرحها للعربية . (موسوعة أعلام الفلسفة : روني ألفا، ٩٧/١) .

(٣) وليم شكسبير : (١٥٦٤-١٦١٦م)، كاتـب وشـاعر إنجليـزي، مـن أبـرز الشخصـيات فـي الأدب العـالمي، عـاش فـي عائلـة مرموقـة، ولـد فـي مدينـة ستراتفورد، انتقل في مقتبل عمره إلى لندن، وهناك ارتـبط بـالمسرح تمثـيلاً وكتابـة، اشـتهر بالمسـرحيات الغنائيـة والتاريخيـة والتراجيديـة، ترجمـت بعض أعماله إلى العربية، قيل أن أصوله عربية، وأن اسمه الشيخ زبيـر .(انظر : الموسوعة العربية الميسرة، ١١٠٧/٢) .

(٤) فيكتور هوجو : (١٨٠٢-١٨٨٥م)، شاعر وروائـي وكاتـب فرنسـي، لـه مجموعة من المسرحيات والكتب ودواوين الشعر، جعلتـه مـن صـغره مـن أشـهر الكتـاب فـي فرنسـا، ترجمـت رواياتـه إلـى كثيـر مـن اللغـات الحيـة،

• دواويـن الشـعر العربـي للمتنبـي والمعـري[٢]، والحسن بن هاني (أبو نواس) [٣]، وأحمد شوقي، وحـافظ إبراهيم.

خصوصـاً روائيـة البؤسـاء، شـارك فـي الحركـة السياسـية لبلـده، ممـا جعـل السلطات الفرنسية تقوم بنفيه خـارج الـبلاد، ثـم عـاد إليهـا معـززاً، أثـارت بعض كتبه جدلاً كبيراً بين النقـاد فـي بـلاد . (الموسـوعة العربيـة الميسّـرة، ١٩١٤/٢) .

[١] اميـل زولا : (١٨٤٠-١٩٠٢م)، روائـي فرنسـي، يـدعو مـن خـلال قصصه إلى الإصلاح الاجتماعي، يميل إلـى الفكـر الاشـتراكي، يهـاجم فـي مقالاته وكتبه رجال الكنيسة وخصوصاً المذهب الكـاثوليكي، قامـت معـارك أدبية بينه وبين معارضيه، حكم علـى إثرهـا بالسـجن إلا أنـه فرّ هاربـاً إلـى بريطـانيا، وهناك وجد ميتـاً مختنقـاً . (انظـر : الموسـوعة العربيـة الميسّـرة، ٩٣٣/١) .

[٢] المعـري : أحمـد بـن عبـد الله بـن سـليمان، أبـو العـلاء (٣٦٣-٤٤٩هـ)، شـاعر عربـي اشـتهر بـالحكمـة والفلسـفة، ولـد فـي معـرة النعمـان، فقـد بصـره وهو فـي الرابعـة عشـرة من عمـره، قـال الشـعر وهـو صـبي صـغير، اشـتهر بالحكمة والفلسفة، شدد على نفسه كثيراً في شؤون الحياة، أطلق عليه رهين المحبسين، حينما مات رثاه على قبره (٨٤) شاعراً، جمع شـعره فـي ديـوان كبير، اتهم في عقيدته ورُمي بالالحاد، ترجم إلى عدة لغات أجنبية، لـه كتـب أخـرى غيـر الشـعر، كتـب عنـه كثيـر مـن الكتـب والدراسـات . (الأعـلام : الزركلي، ١٥٧/١، وسير أعلام النبلاء : الذهبي، ٢٤/١٨).

[٣] الحسن بـن هـانئ : أبـو نـواس، (١٤٦-١٩٨هـ)، شـاعر عراقـي مـاجن، ولد في الأهواز، وعـاش فـي بغـداد، اتصـل بـالخلفـاء مـن بنـي العبـاس، تنقـل بين العراق والشام ومصر، مات ودفن في بغداد، اشتهر بـالمجون، أجاد في جميع صنوف الشعر وخصوصـاً المديح والغـزل والخمريـات، جمـع شـعره في أكثر مـن ديـوان، كتـب عنـه القـدماء والمحـدثون كتبـاً ودراسـات كثيـرة . (الأعلام : الزركلي، ٢٢٥/٢) .

- أعمال الأدب العربي مثل: توفيق الحكيم[١]، ونجيب محفوظ [٢]، والمازني[٣]، وجبران[٤].

---

[١] حسين توفيق الحكيم (١٨٩٨-١٩٨٧م)، قاص وكاتب مسرحي مصري، ولد في الإسكندرية في أسرة ميسورة الحال، درس الحقوق وأثناء ذلك كان يعمل في المسرح، سافر إلى فرنسا لدراسة الدكتوراه في القانون لكنه آثر دراسة الأدب على القانون، عاد إلى مصر وتنقل بين عدة وظائف منها وكيل نيابة في الأرياف، زادت كتبه على السبعين كتاباً، ترجم الكثير منها لعدة لغات أجنبية، نال عدة جوائز، مات في القاهرة ودفن بالإسكندرية .(موسوعة أعلام الفكر العربي : سعيد السحار، ٢٠٦/١) .

[٢] نجيب محفوظ : (١٩١١- ٢٠٠٦)، أديب وروائي مصري، ولد في القاهرة ونشأ فيها (القاهرة القديمة)، تلقى تعليمه في مدارس القاهرة، وظهر نبوغه أثناء دراسته الثانوية، درس الفلسفة في الجامعة المصرية، حينها بدأ يكتب المقالات الأدبية والاجتماعية، صدرت أول كتبه أثناء دراسته في الجامعة، أسس عام ١٩٤٣م مع عبد الحميد وسعيد جودة السحار لجنة النشر الجامعية، التي كان لها دور كبير في نشر إنتاج وإبداع الشباب من الكتاب، كتب الكثير من القصص والروايات التي أخذت طابعاً اجتماعياً، يوجد في قصصه شطط كثير، ومخالفات عقدية وشرعية، نال جائزة نوبل للأدب، غير جوائز محلية كثيرة . (موسوعة أعلام الفكر العربي : سعيد السحار، ٢٦٦/١) .

[٣] المازني : إبراهيم عبد القادر (١٨٨٩-١٩٤٩م)، أديب وصحفي مصري، ولد في القاهرة ومات فيها، قرأ الأدب العربي والأدب الغربي، نظم الشعر منذ صغره، وله ديوان كبير من مجلدين، علم في سلك التعليم، غلب عليه طابع الحزن، له عدة كتب ما بين قصص وروايات وأبحاث ومقالات، تميز بأسلوب خاص به من خلال دقة التعبير وواقعيته . (الموسوعة العربية الميسرة : محمد شفيق غربال، دار الشعب، ١٦٢١/٢) .

[٤] جبران خليل ميخائيل سعد : (١٨٨٣-١٩٣١م)، كاتب مهجري، نبغ بين الكتاب المعاصرين، أصله من دمشق، تنقل بين الشام ولبنان وباريس، ثم استقر في أمريكا، عمل رساماً ومصوراً، له عدة كتب حازت شهرة كبيرة،

• خلاصة الفكر الغربي في المجالات الفلسفية والعلمية، خاصة ما يتصل بالفلك وعالم الحيوانات والحشرات وغرائب البحار وأحدث مكتشفات الطب.

بهذا "استطاع مصطفى محمود أن يهضم كل هذه القراءات على اختلاف ألوانها وتباين موضوعاتها، وأن يبتكر أسلوباً جديداً جمع بين البلاغة العربية والبساطة العصرية، فاستطاع أن يُعبر عن عصره وزمانه، واستطاع أيضاً أن يكون قريباً من قلوب الشباب وعقولهم، فتمكن من أن يكون كاتب الشيوخ والشباب والمثقفين والبسطاء، لأنه طوّع فكره وأسلوبه ليساير عصره وزمانه". [١]

من هنا "كانت ثقافة مصطفى محمود المتنوعة في شتى معارف العصر وعلومه وثقافاته بجانب دراسته العميقة لتراثنا العربي والإسلامي الروحي والصوفي والأدبي، فضلاً عن تأمله العميق في ملكوت الله والتعمق في قراءة القرآن الكريم والنفوذ إلى مدلولاته وإشاراته وأسراره وقراءة الأحاديث النبوية بتعمق وإحاطة، كل هذا صنع ثقافة مصطفى محمود التي استطاع بها أن يُقدم لنا تراثه الأدبي والفكري الباقي الذي جسّد فيه رحلته الأدبية والفكرية على مدى أكثر من نصف قرن

كتب بالعربية والإنجليزية، لما مات نقل جثمانه إلى مسقط رأسه ودفن فيه . (الأعلام : الزركلي ، ٢/١١٠) .

[١] مصطفى محمود مشوار العمر : محمد رضوان، ص١٧ .

من الزمان كان فيها الكاتب والأديب والمفكر والباحث والرحالة"[1].

لهذا لا عجب أن ينجح هذا الرجل أكثر من غيره في توصيل صوته للناس جميعاً على حد سواء.

ثانياً. عقيدة مصطفى محمود:

كان للأب أكبر الأثر في تكوين عقيدة أستاذنا، فهو يذكر أن أباه كان رجلاً بسيطاً قلبه عامر بالإيمان العميق، وحب الله، والحب الفطري للخير والرحمة والتسليم والتفويض والرضا، ونشأ أستاذنا في كنف هذا الوالد الذي كان يتخلق بأخلاق الأولياء، معتمداً على الله، آخذاً بالأسباب، لم يسلك والده طريقة صوفية على يد شيخ؛ لكنه كان رمزاً وصورة حية للولاية الكاملة، لقد سرت الأنفاس المباركة لهذا الرجل الصالح في ولده وانطوت في باطنه حتى أذن الله لها بالظهور[2].

وكون مصطفى محمود شريفاً ينتسب إلى أهل البيت جعله أقرب للتصوف من غيره من الاتجاهات، فهو ينتسب إلى الطريقة النقشبندية والتزم بالذكر القلبي حتى آخر أيامه، وهو يقول عن نفسه "أنا لست من السالكين،

---

[1] المصدر السابق : ص١٧ .

[2] انظر : مصطفى محمود والتصوف : أحمد الجزار، ٧٠-٧٣ .

فسلوكي قليل، وأكثر معارفي مصدرها القراءة في التصوف"[1].

وكان انتساب مصطفى محمود للطريقة النقشبندية حينما كان في رحلة للحج عام ١٩٦٦م، وفي مكة المكرمة التقى بالشيخ محمد متولي الشعراوي وقد التقيا بالشيخ النقشبدني وأخذا منه العهد. وهو يقول: " إنها تناسبني لأن مدارها على الذكر القلبي وأورادها وأحزابها قليلة تتناسب مع مشاغله الكثيرة، وقد استمرت علاقته بالشيخ النقشبندي ست سنين "[2].

وقد تأثر أستاذنا كثيراً بالشيخ النفري، وابن عربي، وابن عطاء الله السكندري[3]، والإمام الغزالي.

والتصوف بالنسبة لمصطفى محمود كما يقول "هو مشربي، إلا أنه لا يضع نفسه في عِداد الصوفية وليس من رجال التصوف، لأنه لم يصل إلى الكمال النفسي الذي يصل إليه السالك، ولا يمتلك الكمالات القلبية والروحية التي يصل إليها العارفون بالله.

---

[1] المصدر السابق : ص٧٤ .

[2] المصدر السابق : ص١٩

[3] ابن عطاء الله السكندري : أحمد بن محمد بن عبد الكريم، فقيه مالكي وصوفي شاذلي الطريقة، ولد في الإسكندرية (٦٥٨-٧٠٩هـ) توفي في القاهرة، له كثير من الكتب المعتمدة عند المتصوفة منها : الحكم العطائية، والمعاني الحسنة، والتنوير ومفتاح الفلاح،(موسوعة أعلام الفكر الإسلامي : ٧٢٠).

إنه مجرد محب للتصوف والصوفية وقارئ لمؤلفات العارفين بالله " أنا عاشق للتصوف وليس أكثر من ذلك". [1]

ومصطفى محمود كالشيخ الشعراوي ينهج منهجاً يميل إلى الاعتماد على الأدلة الشرعية التي تعتمد على العقل في الإقناع، وخصوصاً فيما يتعلق بقضايا عقائدية كالإيمان بوجود الله تعالى والبرهنة على وحدانيته عز وجل.

وهو في أساس عقيدته سُني أشعري كالكثير من أهل مصر، ولم نلحظ على كتاباته النزعة الضيقة للخلافات بين الفرق الإسلامية، وصوفيته تميل إلى العمل والزهد والخوف من الله وتقديم العون والخير للناس، ومشروعاته الخيرية أكبر شاهد على ذلك، فهو لا يميل إلى الصراعات الفكرية والعقائدية.

---

[1] المصدر السابق: ص٣٥

المبحث الثاني

عصر الدكتور مصطفى محمود

ويشتمل على ثلاثة مطالب كما يلي:

المطلب الأول: الحياة الدينية والاجتماعية.

المطلب الثاني: الحياة السياسية.

المطلب الثالث: الحياة الثقافية والعلمية.

كما هو معلوم من تاريخ ميلاد مصطفى محمود، فهو يُعتبر من رجالات القرن العشرين، هذا القرن الذي اضطربت فيه الأمور كثيراً في شتى مناحي الحياة، عسكرية وسياسية وفكرية ودينية وحزبية، فقد شهد هذا القرن حربين عالميتين، وشهد ظهور كثير من الأفكار، والنظريات والفلسفات وشهد قيام الكثير من الأحزاب، وشهد قيام ثورات عمت أغلب بلاد المعمورة، وشهد أيضاً ثورة علمية خطيرة، وبلا شك فإن كل هذه الأحداث الإيجابية والسلبية كانت ذات أثر كبير على مصطفى محمود، الإنسان والمفكر، وسوف أتناول في هذا المبحث العصر الذي عاشه أستاذنا من عدة نواحي.

المطلب الأول

الحياة الدينية والاجتماعية

الإنسان ابن بيئته:

من أقوى المؤثرات في بناء الشخصية، عاملا الدين والظروف الاجتماعية، ونادراً أن نجد أحداً من الشخصيات الاعتبارية لم يتأثر بهذين العاملين تأثراً ظاهيراً أو تأثراً خفياً، لهذا كلما كان هناك انسجام وتوافق بين قيم الدين والعقيدة من ناحية، وبين ظروف المجتمع وحياته من ناحية أخرى، كان ذلك أدعى للطمأنينة والإبداع والحياة الكريمة.

لهذا لا غرابة أن يكون النص الشريف مركزاً على هذه العلاقة: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)**، (سورة الحجرات : آية ١٣)، والإسلام يحرص حرصاً شديداً على أن الدين هو الموجه للقيم الاجتماعية **(إن أكرمكم عند الله أتقاكم)**، ومع عدم التعارض مع هذه القيم الاجتماعية **(وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا)**.

إن الناظر للحياة الاجتماعية للمجتمع المصري خلال القرن العشرين يجد أنها توزعت إلى قسمين:

القسم الأول: الحكم الإقطاعي، حيث سيطرة الملك على مقدرات البلد، فهم الذين يمثلون الصفوة في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والفكرية، وحال بقية المجتمع متوزع ما بين الفقر والجهل والمرض، لهذا كانت حياة الغالبية من الفلاحين لا تختلف عن حياة العبيد، ليس لهم أي حقوق إنسانية أو مالية، ولم يكن لهم الحق في الممارسة السياسية إلا في أضيق نطاق، وقد "وضعت العقبات في وجه الطبقات الضعيفة من العمال والفلاحين لمنعهم من المشاركة السياسية، وذلك من خلال الشروط التي تقررت فيمن يحق له الترشح للبرلمان، بحيث أُشترط على المرشح أن يدفع مبلغاً كبيراً من المال عند الترشح حتى لا يستطيع أحد الوصول إلى البرلمان من غير طبقة الإقطاعيين والرأسماليين، هذا غير تزييف نتائج الانتخابات حتى لا يصل للبرلمان إلا من يرغبون، ولم يكن مسموحاً أن يتولى المناصب العليا في الدولة إلا من هو صاحب نفوذ مالي أو اجتماعي، لهذا كانت الحياة السياسية في ناحية والمجتمع المصري في ناحية أخرى"(١).

وبالتالي لا بد وأن "ينتج عن هذا الفساد السياسي والحكومي كثير من المظالم، أثرت على بيئة المجتمع المصري في أن ظهرت قوى اجتماعية استغلت هذا

---

(١) انظر : نضال شعب مصر : محمد عبد الرحمن حسين، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص٣٠٣ .

الخلل لصالح مصالحها، فتحالفت مع طبقة الإقطاعيين، ومع الاستعمار الإنجليزي، وبالتالي سلبت الشعب حقوقه المالية ولم تول التعليم والصحة الاهتمام الواجب"[(١)].

وفي الجانب الآخر؛ "فلا شك أن للاحتلال الإنجليزي دوراً كبيراً في الوضع الاجتماعي للشعب المصري، وذلك من خلال فرض حالات التعايش والاندماج مع الثقافة الغربية، كل ذلك من خلال المتغربين الذين أغرتهم حياة الغرب ومظاهرها الخادعة، الانتهال من ثقافة الغرب المتحررة، كل هذا من خلال الجرائد والمجلات والكتب الرخيصة وترجمة القصص والروايات الغربية، وتقديمها للمواطن العربي بسعر زهيد"[(٢)].

وكانت هناك ظروف ساعدت على ذلك؛ "لقد استغل الغرب ما فيه العرب من حالات فقر وجهل ومرض، وبالتالي بدأوا بعرض النموذج الغربي الجميل المغري، وكان أبناء الطبقة الراقية من الإقطاعيين والرأسماليين هم أول المتعلق بالنموذج الغربي، والذي سار من خلفهم الكثير من شرائح المجتمع المصري، وفي مقدمتهم

---

(١) تاريخ الحركة الوطنية : مصطفى رمضان، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص٤٣٩ .

(٢) انظر : موسوعة التاريخ الإسلامي : أحمد شلبي، دار النهضة المصرية، ١٩٨٦م، ص٣٤١/٩ .

الجمعيات النسائية المطالبة بالتغيير والانقضاض على تعاليم الشريعة الإسلامية، لهذا كان من الشعارات التي دعا إليها الغرب وصدقتها المرأة العربية، شعار تحرير المرأة، وهو شعار يقصدون من ورائه اجتذاب المرأة العربية المسلمة، ثم استخدامها سلاحاً في معركتهم ضد الإسلام"[١].

ومع تطور الحياة في منتصف القرن العشرين، بدأت تظهر أحزاب ومنظمات عمالية وحقوقية من أجل العمل على تحسين حياة الفلاحين والدفاع عن حقوقهم، وكذلك عن فئة العمال، وكان موقف السلطة الحاكمة مواجهة هؤلاء الأشخاص بالتخوين والاعتقال، أو الطرد من العمل والفصل من الوظائف.

استمر ذلك حتى قيام ثورة ١٩٥٢م، والتي عملت على تحسين حياة الفلاحين من خلال قوانين تضمن لهم حقوقهم ومن ذلك العمل على إنشاء نقابات عمالية تدافع عن حقوق العمال، والسماح للعمال والفلاحين بدخول المجالس النيابية[٢].

القسم الثاني: سيطرة العسكر على حكم البلاد، وتجيير مقدرات الدولة لمصالحهم الخاصة، وكأن الذي

---

[١] انظر : حاضر العالم الإسلامي : صالح الرقب، مطبعة الرنتيسي، غزة، ١٩٩٨، الأولى، ص ١١٣ .

[٢] انظر : مصر في القرن ٢١ : أسامة الباز، مؤسسة الأهرام، القاهرة، الأولى، ١٩٩٦م، ص٢١٣ .

تغير في البلاد هو صورة الحاكم، فبدل أن كان ملكاً، أصبح ضابطاً عسكرياً، لهذا حدث الصدام بين رجالات الثورة وبين الدكتور مصطفى محمود الذي وصف حال المجتمع المصري حينها بقوله : "كانت حركة الضباط الأحرار في عام ١٩٥٢م، والتي رحبتُ بها كثيراً لأنها تمثل تمرد الجيش والشعب على النظام الملكي الفاسد، فكان التمرد على الواقع هو ما يلفت انتباهي دائماً، ولكن خذلتنا الثورة بعد ذلك، فقد حررت الدولة المصرية لاستعباد الشعب المصري"[١].

أما عن الحياة الدينية فمن الأمور المعروفة بداهة أن الإسلام جاء لنشر العدل والرحمة والأمن، وتقدم الإنسان ورقيه، وشرّعت القوانين التي تحفظ عليه ضروراته الخمس، عقله وماله ودينه ونسله وعرضه، وانتشر الإسلام في ربوع المعمورة ومن ضمنها مصر المحروسة، آمن شعبها بهذا الدين، وخرج من بينهم أعظم العلماء وعلى مدار التاريخ الإسلامي، إلا أن أعداء الإسلام لا يعجبهم ذلك فبدأوا يعملون على تشويه الإسلام، ونشر الأحزاب الإلحادية والمادية، ونشر الثقافة الغربية الفاسدة من خلال الجرائد والمجلات والأفلام وغيرها من جمعيات مشبوهة[٢].

---

[١] الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة الرابعة .

[٢] انظر : المؤامرة على الإسلام : أنور الجندي، دار الاعتصام، القاهرة، ص٢٦٠ .

كذلك لا ننسى الطرق الصوفية المنتشرة في كل ربوع المجتمع المصري. أيضاً لعبت الجامعات الحديثة كالجامعة المصرية (القاهرة)، وجامعة فؤاد الأول (عين شمس)، والجامعة الأمريكية بالقاهرة، دوراً خطيراً في نشر فكرة الصراع ما بين الدين والعلم، وعدم توافق الدين لتطور الحياة وعصر العلم[١].

خصوصاً أن القائمين على التدريس في هذه الجامعات كانوا إما مستشرقين أو تلاميذهم.

وظهرت أقلام كثيرة حملت على عاتقها التزييف والتشكيك، أمثال طه حسين وسلامة موسى، إلى لطفي السيد، والمئات من أقلام الصحفيين المأجورين[٢].

الصدام بين السلطة والإخوان المسلمين:

في هذه الأثناء ظهرت جماعة الإخوان المسلمين بقيادة مرشدها الأستاذ حسن البنا، والتي تحمل فكراً مستنيراً، ورؤية سليمة وعقيدة وسطاً، أخذت على نفسها إصلاح حياة المجتمع المصري وإعادته إلى قيمه الأصيلة، ومكانته الراقية، فكان الاصطدام مع السلطة الحاكمة زمن الملك، ومقتل المرشد العام (١٩٤٨)،

---

[١] انظر : الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي : محمد البهي، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٧٦م، الأولى، ص٣٩٠ .

[٢] انظر : الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر : محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢/٢٩٠ .

ومن بعدها في زمن ثورة الضباط الأحرار عامي ٥٤ و٦٥م، وإعدام خيرة أبناء مصر وعلمائها ودخول البقية الباقية منهم في السجون، وعملية التشويه والتزوير التي قامت بها السلطة في حينها ضد الجماعة[١].

عاش مصطفى محمود زمناً طويلاً تراجع فيه العمل الإسلامي من حياة المجتمع، وأصبح الدين فقط هو مجموعة من العبادات والطقوس يقوم بها البعض في المسجد دون أن يكون لها قيمة أو تأثير في حياة المجتمع، وذلك من أثر انتشار الأفكار الحديثة والتيارات الفكرية الوافدة، كالوجودية والماركسية والفلسفات الغربية المتعددة، وأصبح عالِم الدين (الشيخ) سخرية من قبل المثقفين، وأبناء الطبقات الراقية، ولا يتوجه لدراسة الدين إلا الفئة الفقيرة أو أصحاب العاهات الخاصة والجهلة من الطلاب[٢].

ولقد بالغت المناهج الدراسية وخصوصاً في الجامعات والمعاهد العليا من أهمية كل من اللغة الإنجليزية، والضجيج الهائل الذي أحدثته الثورة البلشفية سنة ١٩١٧م، ويضاف إليها الفكر الفرنسي والأدب

---

[١] انظر : مصر في القرن الواحد والعشرين : أسامة الباز، ص١٥٩، وانظر : في الزنزانة : علي جريشه، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٧م، الأولى، ١٣٦ .

[٢] انظر : الاتجاهات الوطنية : محمد حسين، ص١/٤٥٥ .

الفرنسي المتحرر. فعلت هذه جميعها الأفاعيل في تراجع المد الديني[1].

حال مصر الثقافية:

ولقد سادت مصر في تلك الحقبة من أربعينيات وخمسينيات القرن العشرين موجات من الفكر المتمرد والساقط نتيجة التأثر بالمذاهب والتيارات الفكرية الوافدة من وجودية وشيوعية واللامنتمي، فتأثر بها مصطفى محمود كغيره من أبناء هذه الحقبة، وتفاعل مع ذلك مع تساؤلاته وحيرته في هذه السن المبكرة، فنشر كتابه الأول المثير للجدل (**الله والإنسان**)، والذي عكس حيرته وشكه وتمرده كشاب يريد أن يثبت وجوده كمفكر حر حسب اعتقاده في تلك المرحلة من حياته[2].

لقد تأثر مصطفى محمود بالتيارات الفكرية في زمانه، فكان نتائجها كما ذكرنا كتابه (**الله والإنسان**).

كانت نهاية المطاف بالدكتور مصطفى محمود أن وصل إلى شاطئ الأمان بعد الرحلة الطويلة التي قطعها متنقلاً بين المذاهب الفكرية والفلسفية، حيناً مع الفلسفة الوجودية، وحيناً مع الفكر الاشتراكي الماركسي، وحيناً مع الشك والحيرة، وقد عاش مصطفى محمود سقوط

---

(١) انظر : اتجاهات الرواية العربية : شفيع السيد، دار الفكر العربي، القاهرة، الثالثة، ١٩٩٦م، ص٥٦٤ .

(٢) انظر : مصطفى محمود مشوار العمر : محمد رضوان، ص٩ .

المذاهب الفكرية والمشاريع الأيديولوجية الدخيلة على عالمنا العربي والإسلامي.

ويتحدث مصطفى محمود نفسه قائلاً: "في عنفوان شبابي كان تيار المادية هو السائد، وكان المثقفون يرفضون الغيبيات، فكان من الطبيعي أن أتأثر بمن حولي"[1].

ويذكر في موضع آخر: "بدأت بيني وبين نفسي حواراً طويلاً، وقرأت كل ما كُتب في الفلسفة وعلم النفس، بدءاً من سقراط إلى أفلاطون وأرسطو وهيجل، انتهاءً بكارل ماركس، ووليم جيمس[2]، وتعمقت في قراءة الأديان، من أول الفيدات الهندية والبوذية[3]،

---

(١) الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة ١٩ .

(٢) وليم جيمس : (١٨٤٢-١٩١٠م)، طبيب وفيلسوف أمريكي، من أشهر علماء النفس المعاصرين، وهو من دعاة الفلسفة البراجماتية (النفعية)، له تأثير كبير على الفكر الغربي وخصوصاً فيما يتعلق بعلم النفس الديني والصوفي، وتأثر به كثير من الدارسين العرب ، وبالتالي ترجمت بعض أعماله للغة العربية . (الموسوعة العربية الميسرة ، ٦٨٢/١، وانظر : وليم حيمس رائد المذهب البرغماتي : كامل محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، الثانية،١٩٩٣).

(٣) البوذية : ديانة أرضية شرقية، تنسب إلى بوذا، مذهب فلسفي روحاني، وهي من الديانات غير السماوية الشهيرة في الهند وما يجاورها، تأسس نحو عام ٥٦٠-٤٨٠ ق.م، تقول بتناسخ الأرواح، تعتمد على القيم الأخلاقية، والسلوك الفاضل . (انظر : موسوعة الفرق والأديان : دربالة - ص١٩٩) .

والزرادشتية[١]، وأخذ ذلك مجالاً طويلاً في رحلة طويلة بيني وبين الأربعة جدران انتهت بشاطئ الإيمان، أحسست بعدها في النهاية أن القرآن الكريم جامع مانع، تناول كل شيء في هذا الوجود، ويعطي الإجابات النهائية لكل المسائل والقضايا التي كانت تحيرني وتشغل عقلي، وليس هذا فقط، ولكن القرآن يضم في عباءته كل الأديان والفلسفات وخلاصتها"[٢].

ومن هنا نجد أن أستاذنا قد ظهرت له الحقيقة، فوقف في وجه كل من انحرف به القلم عن جادة الصواب، انتقد وبشدة توفيق الحكيم، وطه حسين، وإحسان عبد القدوس، ويوسف إدريس، وصلاح عبد الصبور، ونجيب محفوظ وغيرهم، وهؤلاء كانوا من المقربين إليه، ومن أخلص أصدقائه، لكن الحق مقدم عنده على الصحبة والأخوة.

قال إن توفيق الحكيم أنكر الشهادتين وقال أن إرادة الإنسان تعادل إرادة الله، ذكر ذلك في كتابه (**التعادلية**).

وانتقد طه حسين وقال إنه تأثر بأفكار المستشرقين، وخصوصاً اليهود منهم، وأنه أخضع القرآن الكريم

---

[١] الزرادشتية : ديانة أرضية شرقية تنسب لمؤسسها زرادشت، وهي من الديانات الهندية القديمة والإيرانية، تأسست نحو عام ٣٠٠٠ ق.م، وهم يدعون أن زرادشت من الأنبياء، وهم من عبدة النار. (انظر : موسوعة الفرق والأديان : دربالة - موسوعة الفرق والأديان – ص ٢٠١).

[٢] المصدر السابق : الحلقة ١٩ .

والتاريخ الإسلامي لمنهج الشك الديكارتي، منكراً بذلك قصة إسماعيل عليه السلام.

وعن نجيب محفوظ قال: "لقد جعل نجيب محفوظ الله أباً له أولاد وزوجة، هذا غير الإباحية المفرطة في أعماله، والعبثية المبثوثة في أغلب رواياته.

وعن إحسان عبد القدوس قال إنه استبعد الدين تماماً في أعماله الأدبية، فهو متأثر بالفكر الوجودي والنظرة الفرويدية، فأدبه هو الأدب المكشوف المتناغم مع الفكر العلماني الاشتراكي الوجودي، هاجم الحجاب وجعل الحب فوق الحلال والحرام[١].

---

[١] انظر : الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة ٢٢ .

المطلب الثاني

الحياة السياسية

تُعتبر مصر قلب العالم، وسُرة الشرق، فهي ملتقى القارات، ومهد الحضارات، عَرف إنسانها الحضارة والبناء والإنشاء قبل غيره من بني الإنسان، لهذا كانت مطمع كل طامع، ومقصِد كل عالم، بسط الله أرضها وأجرى فيها النيل لتكون هذه البلاد سخاءً ورخاءً، حكمها أسر وإمبراطوريات وملوك وأساطين وخلفاء وأمراء ورؤساء، عرفت من أنواع الحكم ما لم تعرفه بقعة أخرى من الأرض ولا شعب آخر من الشعوب، عرفت من التسلط والظلم أشكالاً وأنواعاً، وما نعمت بحياة كريمة إلا في ظل الإسلام الذي أقام دولته على مبادئ العدل والرحمة والمساواة[١].

يقول جمال حمدان[٢]: "في قضية التركيب الاجتماعي السياسي ونظام الحكم والسلطة، التغيير

---

(١) انظر : المنتظم في تاريخ الأمم والملوك : عبد الرحمن بن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤٠٧هـ ، ٢٩١/٤ .

(٢)جمال محمود حمدان (١٩٢٨ـ ١٩٩٣)، عالم جغرافي مصري ولد في قرية (ناي) بمحافظة القليوبية، تخصص في دراسة الجغرافيا ونال فيها الدكتوراة، عمل أستاذاً في جامعة القاهرة، له عشرات المؤلفات منها (اليهود انتروبولوجيا) نفى من خلاله علاقة يهود اليوم بيهود الماضي، وأهم كتبه كتاب (شخصية مصر)، نال مجموعة من الجوائز من عدة دول ومؤسسات . (أنظر جمال حمدان : إسلام اون لاين) .

الجوهري في الشكل، أما الجوهر فلم يكد يتغير، وهذا الجوهر هو الطغيان الشرقي، الطغيان الفرعوني، بكل أعمدته التقليدية فهو الخلط المستمر والقاسم المشترك الأعظم الذي يجري خلال تاريخ مصر، من مينا[١] حتى اليوم، المتغير الوحيد هو الشكل: ملكية أو جمهورية، وراثية أو انتخابية، مدنية أو عسكرية، وذلك بحسب الظرف أو العصر.

فقديماً كان الفلاحون عبيد فرعون، ثم عبيد السلطان، وحديثاً فإذا لم نكن قد صرنا حقاً أو نوعاً عبيد الرئيس فنحن يقيناً ما زلنا بين فراعنة وفلاحين، ورعايا لا مواطنين، وما زال الاستقطاب الطبقي الجوهري هو بين الحاكم والمحكوم"[٢].

هذه هي الحقيقة المؤلمة في التاريخ السياسي لمصر، وللمشرق والمغرب العربي على حد سواء.

الاحتلال الفرنسي لمصر:

احتل الفرنسيون مصر عام ١٧٩٨م، واستمر احتلالهم لها ثلاث سنوات؛ ومع قصر مدة احتلالها إلا

---

[١] الملك مينا : (٣٢٣٠ق.م)، فرعوني قديم، من الأسر المصرية المبكرة، ولد فى مدينة طيبة، (الأقصر حالياً)، استطاع أن يُوحد بين المملكتين الشمالية والجنوبية عام (٣٢٠٠) لُقب بملك الأرضين، وصاحب التاجين. (ويكبيديا الموسوعة الحرة) .

[٢] انظر : مختارات من شخصية مصر : عبد الحميد حمدان، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٤، ص٤٥٣ .

أنها أحدثت تأثيراً كبيراً في الحياة السياسية المصرية، استقلت بعدها مصر عن إطارها الإسلامي، (**الخلافة العثمانية**) [1]، وأقام محمد علي الدولة المصرية الحديثة، وتوارثها أبناؤه من بعده[2].

الاحتلال البريطاني لمصر:

ثم جاء احتلال الإنجليز لمصر سنة ١٨٨٢م، في خضم ما كانت تعانيه من ظلم واستعباد وجهل وفقر ومرض، واستبد الإنجليز بالحكم بعد أن سيطروا على مفاصل البلاد ومرافقها، حيث أصبح المعتمد البريطاني هو حاكم مصر الحقيقي وهو المشرّع للقانون فيها، ومنه تستمد السلطات، والحكومة الصورية هي المنفذة، وبالتالي استأثر الإنجليز بغالبية المناصب العليا في البلاد، السياسية والعسكرية على حد سواء، وفرضوا قوانينهم على الشعب المصري، فقيّدوا الحريات،

---

(١) الخلافة العثمانية : أسسها عثمان الأول سنة ١٢٩٩م واستمرت حتى سنة ١٩٢٣، استمرت (٦٠٠) سنة، شملت أراضيها القارات الثلاثة، بلغت أوج قوتها زمن السلطان سليم الأول، اتخذت من القسطنطينية عاصمة لها، كان من سلاطينها السلطان عبد الحميد الذي لم يفرط بفلسطين لليهود .(تاريخ الدولة الإسلامية ـ السيد دحلان ـ مكتبة الإيمان ـ القاهرة ـ الأولى ـ ٢٠٠٠ ـ ص ١٢٣) .

(٢) انظر : مصر المجاهدة في العصر الحديث : عبد الرحمن الرافعي، الهيئة العامة، ١٩٥٩م .

ووضعوا الأحرار في السجون والمعتقلات، وأحكموا سيطرتهم على أغلب دور الصحافة والإعلام[1].

تتابع الأحداث:

وجاءت الحرب العالمية الأولى، ففرضت على الشعب المصري ظروفاً جديدة قيدت من حركتها الوطنية، وجعلت من الجيش البريطاني وصياً على جميع الأراضي المصرية، وزادت من قيودها على الصحافة والإعلام، فكانت ثورة ١٩١٩م[2]، مما اضطر الإنجليز إلى الاعتراف بأن مصر دولة ذات سيادة مستقلّة[3].

في هذه الأثناء بدأ صراع الفلسطينيين مع الصهاينة يبرز، وهذا ألقى بثقله على السياسة المصرية والمجتمع المصري، وهم الأقرب إلى فلسطين، فتحرّكت قوافل المجاهدين من الإخوان المسلمين وغيرهم لمناصرة إخوانهم الفلسطينيين، وكان التفاف الحكومة العميلة في مصر حينها، حينما أرسلت الجيش المصري الذي لا

---

(١) انظر : نضال شعب مصر : محمد عبد الرحمن حسين، ص٧٦ .

(٢) ثورة ١٩١٩ ـ ثورة مصرية سياسية، بدايتها تأليف وفد برئاسة سعد زغلول للمطالبة باستقلال مصر عن بريطانيا، رفض البريطانيون ذلك واعتقلوا سعد زغلول مع زملائه ونفوهم إلى مالطا، فأضرب الموظفون وقام الشعب بالتظاهر وامتدت إلى كل مدن مصر، وكان نتيجتها اعتراف بريطانيا عام ١٩٢٢ باستقلال مصر. (انظر الموسوعة العربية ـ ١/ ٥٨٣).

(٣) انظر : المصدر السابق : ص٨٠ .

يملك عدة ولا عتاداً، والذي كان عقبة في وجه المجاهدين مع ما كان فيه من أحرار وشرفاء، ثم كانت ثورة يوليو ١٩٥٢م، وكان للإخوان المسلمين دورٌ بارزٌ في قيامها، وما نتج عن هذه الثورة من صراعات بين القوى المشاركة فيها، إلى أن انتهى أمرها إلى استفراد جمال عبد الناصر بالسلطة المطلقة والقضاء على المعارضين من عسكر وأحزاب وجماعات[١].

عاش مصطفى محمود كل هذه الأحداث، الاحتلال الإنجليزي، وقيام الأحزاب المصرية، وقيام ثورة ١٣يوليو ١٩٥٢م، وشارك في المعترك الاجتماعي والسياسي من خلال المقالات والقصص التي كان ينشرها في الصحف والمجلات، حتى جاءت مرحلة المواجهة مع سلطة الثورة ومع قائدها عبد الناصر شخصياً.

خلاف مصطفى محمود مع ثورة يوليو:

يقول مصطفى محمود: "ولكن هذه كانت طبيعة الظروف والأحوال في عهد الديكتاتورية التي مرت بها مصر، عهد تحرير المصريين لاستعبادهم، هذا بكل بساطة وصفي ورؤيتي لعهد جمال عبد الناصر"[٢].

---

[١] انظر : مصر قبل جمال عبد الناصر : عبد العظيم رمضان، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، الأولى، ١٩٨٦م، ص٤١ .

[٢] الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة الخامسة .

أمر عبد الناصر بمنع مصطفى محمود من الكتابة كما أبلغه بذلك إحسان عبد القدوس، وأمر أن يجلس في بيته دون القيام بأي عمل، "وطالت فترة حجبي ومنعي من الكتابة حتى أنها وصلت إلى عام كامل من العزلة في منفاي"[١].

وكان سبب الخلاف مع عبد الناصر مقالين نشرهما مصطفى محمود هما: (**سقوط اليسار**)، و(**الخروج من مستنقع الاشتراكية**).

لقد عاشت مصر في فترة حكم جمال عبد الناصر سنين عجاف مرت على الشعب المصري، ظلم وديكتاتورية وتسلط، حتى أنه انقلب على رفاقه في الثورة، فلم يبق معه إلا قلة قليلة، والبقية إما في المنفى أو السجن أو قتل أو اعتزل العمل السياسي، وكانت آخر خلافاته مع كمال الدين حسين[٢]، عضو قيادة الضباط الأحرار، وكان الخلاف والصدام بينهما على إثر اعتقال الإخوان المسلمين عام ١٩٥٦م، فلم يكن من عبد الناصر إلا وأمر بإلقاء القبض على كمال الدين حسين

---

[١] المصدر السابق : الحلقة الخامسة .

[٢] كمال الدين حسين : (١٩٢١-١٩٩٩م)، سياسي مصري، من الضباط الأحرار لثورة ١٩٥٢م، تخرج من الكلية الحربية، عمل وزيراً للتعليم، ثم وزيراً للإدارات المحلية، ثم نائباً لرئيس الجمهورية، اختلف مع عبد الناصر، فصدر قرار بتحديد إقامته في إحدى استراحات الهرم، عاد للحياة السياسية في عهد السادات، وقف مع ياسر عرفات أثناء حصار بيروت . (ويكيبيديا - الموسوعة الحرة).

وجميع أفراد عائلته وأودعهم أحد المعتقلات في منطقة الهرم، كان نتيجتها وفاة زوجة كمال الدين حسين لعدم تلقيها الرعاية الطبية التي تحتاج إليها[١].

اضطراب لا استقرار:

ويصف مصطفى محمود هذه الفترة الزمنية قائلاً: "أي مشتغل بالكتابة في بلادنا يعلم كم كانت حرفة القلم في الستينات والسبعينات من هذا القرن أشبه بالملاحة المخيفة في بحار الأخطار ما بين مدّ وجزر، ارتفع فيها الموج وابتلع الكثيرين، ما بين مدّ ماركسي وفكر مادي أغرق المنطقة العربية في غزوة شرسة، أحدثت الانقلابات والثورات وغيرت التراكيب الاجتماعية، وغمرت السوق الثقافية بموجات من الفن اليساري وفتحت بوابة البحار الدافئة للأسلحة السوفيتية والخبراء السوفيت والسياسة السوفيتية، التي دخلت بدعوى إنقاذنا من العدوان الإسرائيلي والمعاونة على تحرير فلسطين، (وهي الدعوى التي اتضح كذبها وزيفها في هزيمة ١٩٦٧ وما بعدها).

وما بين جزر سياسي صاحبه جزر ديني سلفي متطرف جذب السفينة الثقافية بشدة وعنف إلى أقصى اليمين، وأخذت انقلابات مضادة أدت إلى طرد الخبراء

---

[١] انظر : باشوات وسوبر باشوات : حسين مؤنس، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، الثانية، ١٩٨٨م، ص٣١٥.

السوفيت وإخراج روسيا من اللعبة وتعديل المسار الاقتصادي ورفع راية الانفتاح والحرية الفردية، والاتجاه إلى أمريكا بدعوى أنها تمتلك جميع أوراق اللعبة، وأنها تملك الضغط على إسرائيل لحل المشكلة الفلسطينية، (وهي الدعوى التي اتضح كذبها في العجز الأمريكي أمام الغزو الإسرائيلي للبنان وعودة فرقة المارينز[١] وإقلاع الأسطول السادس راجعاً إلى بلاده).

وفي خلال هذه الملاحة الصعبة التي تمزق فيها الشراع أكثر من مرة، واضطربت فيها الموازين الثقافية وتلاطمت التيارات المادية الماركسية العارمة مع التيارات الإسلامية العنيفة، واختلطت الرؤية على الرائي لكثرة الضباب، ارتفعت الصيحات تهاجم الثقافة والمثقفين وتتباكى على تخلف النقد والإبداع، ونسي أصحاب هذه الصيحات الظالمة أنها كانت معجزة أن يحتفظ الكاتب برأسه في هذا الطوفان المتلاطم، مجرد أن يحتفظ برأسه كان معجزة في أمواج تحطمت فيها الدفة والمجاديف وهلكت سياسات واختفت زعامات

(١) فرقة المارينز: إحدى الفروع الأربعة للقوات المسلحة الأمريكية، تتبع القوات البحرية، قوامها (١٩٠) ألف جندي من خيرة الجنود الأمريكيين، لها مهام خاصة، وهم قادرون على العمل تحت أي ظرف من الظروف، داخل أمريكا أو خارجها. (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة).

وغرقت رؤوس لعماليق جبابرة كانوا يصنعون الأقدار ابتلعهم الموج وأصبحوا أثراً بعد عين".[1]

الانقضاض على الإخوان المسلمين:

بعدها تفرغ عبد الناصر لمواجهة الإخوان المسلمين، وكان ذلك على مرحلتين، مرحلة الخمسينيات، ومرحلة الستينيات، "كانت الاعتقالات والتعذيب والاضطهاد والسجون سمة هذا العهد كله، وقد شملت هذه المحن جميع الأحزاب والهيئات والجماعات وعدداً كبيراً من الأفراد، أما القلق والخوف والفزع فكان نصيب الناس جميعاً، وكان كل واحد يتوقع الشر لأوهى الأسباب، أو لسبب مختلق، أو بدون سبب"[2].

كانت المواجهة الأولى بين عبد الناصر والإخوان المسلمين إثر حادثة المنشية في الإسكندرية، عام ١٩٥٤م، فقد أُلقي القبض على آلاف الأشخاص المتهمين بالانتماء لجماعة الإخوان المسلمين، نالهم من التعذيب ما لا يعلم مداه إلا الله، تقدم للمحاكمة العسكرية قرابة (٨٧٠) شخصاً، حكم بالإعدام على سبعة منهم، نُفذ الإعدام في ستة منهم وخُفف عن المرشد العام

---

[1] انظر : وبدأ العد التنازلي – مصطفى محمود، دار المعارف، القاهرة، الخامسة ، ٢٠٠٢، ص ٧٥-٧٦.

[2] انظر : أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الرابعة، ١٩٨٩م، ص٣٦٥.

الأستاذ حسن الهضيبي[١]، وحُكم على الباقين أحكامٌ بالسجن متفاوتة؛ لكنها طويلة الأمد[٢].

وكانت المواجهة الثانية عام ١٩٦٥م، وأُلقي القبض على المئات بحجة المؤامرة على عبد الناصر ومحاولة الضلوع في قتله، وكان على رأس هؤلاء المعتقلين سيد قطب[٣] رحمه الله، وقدموه للمحاكمة العسكرية أمام القاضي العسكري الشهير في حينها (محمد الدجوي)[٤]، فكان الإعدام لسيد قطب ومجموعة من رفاقه، وحُكم على المئات الآخرين أحكامٌ متفاوتة[٥].

---

[١] حسن الهضيبي : (١٨٩١-١٩٧٣م) ، سياسي ومستشار مصري ، مرشد جماعة الإخوان المسلمين بعد مقتل حسن البنا ، ولد في شبين الكوم ، التحق بالأزهر ، انتقل بعدها لكلية الحقوق ، وتخرج منها ، عمل بالمحاماة ثم بالقضاء ، حتى أصبح مستشاراً ، انضم لجماعة الإخوان المسلمين في بداية الأربعينيات ، حكم عليه عام ١٩٥٤م بالإعدام ، خفف للمؤبد . (انظر : : الأعلام- الزركلي، ٢/٢٢٥).

[٢] المصدر السابق : ص٣٨٠ .

[٣] سيد قطب (١٩٠٦- ١٩٦٦م) ، مفكر إسلامي ، تخرج من دار المعلمين ، اشتغل في الصحافة ، ثم عين معلماً ، ارتقى في الوظائف الحكومية ، سافر إلى أمريكا ليكمل دراسة الماجستير ، عاد وانضم لحركة الإخوان المسلمين ، من أعظم كتاب القرن العشرين ، صاحب تفسير في ظلال القرآن ، له تأثير كبير فيمن جاء من بعده ، اختلفت حوله الآراء ، أعدم عام ١٩٦٥م . (انظر : الأعلام-الزركلي، ٣/١٤٧) .

[٤] محمد فؤاد الدجوى : ضابط مصري، تخرج من الكلية الحربية، عمل في غزة، وقع في الأسر الإسرائيلي عام ١٩٥٦م ، عاد إلى مصر وتولى المحكمة العسكرية لمحاكمة الإخوان المسلمين في ١٩٦٥م ، وحكم بالإعدام على مجموعة منهم في مقدمتهم سيد قطب . (الموسوعة الحرة).

[٥] المصدر السابق : ص٦٨٦ .

"كانـت المحاكمـات أشـبه مـا تكـون بتمثيليـة صـاخبة هزيلة في نصها، سخيفة في إخراجها، يشاهدها جمهور فقد كرامتـه وعزتـه، سلبها منـه نظـام خـانق مقتدر علـى الإفساد داخل الأرض، ضعيف أمام العدو"[1].

"بالقضـاء علـى الإخـوان المسـلمين ووقـف نشـاطهم الرسمي قُضي على أكبر تجمع إسلامي في مصر، أكبر دولـة إسـلامية ناطقـة بالعربيـة، وتوقفـت إحـدى الجرائـد الإسـلامية الكبـرى،(**مجلـة النـذير**)، ومنـذ ذلـك الوقـت ومصر كعبة الإسلام وقبلة المسلمين خالية من أي تجمـع إسلامي كبير، لـم تجد مصر حتى الآن جريدة إسلامية يوميـة تعبـر عن أحد تياراتهـا الفكريـة الأصيلة، كمـا لـم تجد تجمعاً إسلامياً تجد فيه جماهير المسلمين تعبيراً عن نشاطها وتجميعاً لجهودها وتوثيقاً لأواصر الأخوة بينهـا، وكيف يوجد ذلك في خارج مصر وفـي العـالم الإسـلامي غيـر النـاطق بالعربيـة ولا يوجـد فـي مصـر بكـل ثقلهـا وتاريخها. [2]

ويـذكر الصـحفي موسـى صـبري و-هـو مسـيحي صليبي-: "أن كل الثقات يؤكدون أن قضية الإخوان التي

---

[1] صفحات من تاريخ الإخوان : أحمد رائف، المختار الإسلامي، القاهرة، ص٢١٥ .

[2] انظـر : الناصـرية فـي قفـص الاتهـام : عبـد المتعـال الجبـري، دار الاعتصام، القاهرة، الأولى، ١٩٧٩، ص ١٦١ .

أعدم فيها سيد قطب كانت من اختراع شمس بدران[1] وزبانية البوليس الحربي، وأنها مؤامرة وهمية، وأن التعذيب في هذه القضية هو قمة المأساة"[2].

أثناء حكم عبد الناصر، خاض العرب حربين مع الكيان الصهيوني، حرب ١٩٥٦م، وحرب ١٩٦٧م، هزم العرب في كلتا الحربين شر هزيمة.

في الأولى احتلت إسرائيل غزة حتى قناة السويس، **وفي الثانية** احتلت إسرائيل سيناء والجولان وجنوب لبنان وباقي أراضي فلسطين.

ويذكر الدكتور أحمد شلبي في موسوعته التاريخية أن زمن عبد الناصر كان زمن الهزائم[3].

- هزيمته في عام ١٩٥٦م، ومقتل الآلاف من الجنود المصريين في سيناء.

---

[1] شمس بدران : (١٩٢٩ م) وزير الحربية المصري، شارك في حرب فلسطين وحوصر في الفالوجا، شارك في ثورة يوليو ١٩٥٢م، عمل مديراً لمكتب وزير الحربية ثم أصبح وزيراً للحربية، كان المسؤول عن التحقيق مع الإخوان المسلمين في سجون مصر، وقصته مع زينب الغزالي شهيرة، اعتقل زمن حكم أنور السادات ثم خرج منفياً إلى لندن ليختفي عن الأنظار ويعتزل العمل السياسي . (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة).

[2] وثائق ١٥ مايو : موسى صبري، أخبار اليوم، القاهرة، ١٩٧٧، ص٣٢١ .

[3] انظر : موسوعة التاريخ الإسلامي : أحمد شلبي، ٨٣/١٣ .

- هزيمته في عام ١٩٦٧م، ومقتل الآلاف من الجنود المصريين في سيناء وقطاع غزة واحتلال قناة السويس ومنع الملاحة الدولية في القناة وغيرها.
- تراجع على المستوى السياسي لمصر في العالم وخصوصاً أفريقيا.
- ربط مصر بالدول الشرقية الشيوعية المتأخرة.
- تدمير المقدّرات الصناعية والزراعية من خلال نظام التأميم.

في نهاية المطاف حينما لم يعد عبد الناصر مفيداً لأصحاب المصالح الدوليين، تخلصوا منه، قيل إنه مات مسموماً، وقيل مات نتيجة غيبوبة السكر.

مرحلة جديدة في حياة مصر:

تولى أنور السادات رئاسة مصر بعد عبد الناصر، ومن أول أعماله تطهير مصر من الفاسدين من مراكز القوى وذلك في مايو ١٩٧١م، وعمل السادات في بداية توليه للسلطة مجموعة من الإصلاحات من ضمنها إخراج المعتقلين السياسيين، والتخفيف من آثار المظالم التي لحقت بهم وبممتلكاتهم، كذلك العمل على سيادة القانون، واحترام القضاء واستقلاليته، وإعادة التنظيمات النقابية ومحاولة رفع الروح المعنوية للمواطن، وإشاعة روح المحبة، وإفساح نطاق الحرية الصحفية

والإعلاميــة، والانطــلاق الاقتصــادي، والتحــرر مــن سـيطرة الـروس علـى المؤسسـة العسـكرية المصـرية، ومحاولـة فـتح قنـوات اتصـال مـع الغـرب وخصوصـاً أمريكا.

شهدت فترة حكم الرئيس السادات علاقات طيبـة بينـه وبـين أسـتاذنا الـدكتور مصـطفى محمـود "كنـت أحـب السادات جداً وأتذكر أنـه قبل رئاسته للجمهوريـة اتصل بـي تليفونيـاً ليهنئنـي علـى كتـابي (القـرآن محاولـة لفهم عصـري)، وقـال لـي كتاباتـك الأخيـرة كانـت متميـزة يـا مصطفى، وقال لي: أريدك أن تزورنـي، فقلت سأحضـر إليك"[١].

علاقة مصطفى محمود بالسلطة الجديدة:

استمرت علاقة مصطفى محمود بالسـادات طـوال فتـرة حكمــه، وكمــا ذكــرت ســابقاً، فقــد عــرض الســادات علــى مصـطفى محمـود أكثـر مـن وزارة، وأكثـر مـن منصـب، لكنه كان يعتذر بطريقة لبقة، وذلك لعدم قدرته على تحمل المسـؤولية، وهـو يحـب أن يتفـرغ للكتابـة والـدعوة، وقـد حزن مصطفى محمود علـى مقتل السـادات حزنـاً شـديداً، لما كان يرى فيـه رجل دولـة علـى الطـراز الفريـد، صـفاء في النفس وشفافية في الروح وإخلاص للبلد.

---

[١] الفارس المتمرد: سيد الحراني، الحلقة ١٤ .

يرى الباحث أن الدكتور مصطفى محمود هروباً من عدم رغبته في تولي أي منصب سياسي ادعى عدم قدرته على تحمل المسؤولية ليس إلا.

وعن موقفه من معاهدة السلام مع الكيان الصهيوني قال: "ما قلته للسادات في ذلك الأمر بالرغم من أن السلام مع إسرائيل خطوة لا يستطيع أحد أن يقدم عليها غيرك، وأعلم أن هؤلاء الإسرائيليين لا يوفون بوعد أو عهد، ولكن هذه خطوة تُحسد عليها، ووفقك الله في نواياك"[(١)].

في فترة حكم السادات تمكن مصطفى محمود من نشر أعماله التي كانت مرفوضة من حقبة مَنْ سبق السادات، وحينما علم السادات بأمر المنع أصدر أوامره فوراً، "كل كتب وروايات مصطفى محمود وأعماله الأدبية تنشر فوراً وبصورة لائقة ومسلسلة في صباح الخير"[(٢)].

ومن مشاهدات الباحث الحية والمباشرة وخصوصاً أنه كان موجوداً في هذا الوقت في القاهرة وتم اعتقاله ولمدة أربعة أشهر بعد حادثة اغتيال السادات؛ انتهى عصر السادات بطلقات نارية قتلته يوم ٦ أكتوبر عام ١٩٨١م، أثناء الاحتفال بالعرض العسكري على أيدي بعض شباب الجماعات الإسلامية، وكان السادات في أخريات أيام حكمه قام بحملة اعتقالات طالت صفوف المعارضين

---

(١) الفارس المتمرد: سيد الحراني، الحلقة ١٦ .

(٢) المصدر السابق: حلقة ١٥ .

السياسيين لـه، ومـن ضـمنهم قيـادات فـي الجماعـات الإسلامية، ولّد ذلك احتقاناً في الشارع المصري.

تولى السلطة بعد السادات نائبه محمد حسني مبارك، والذي حاول أن يخفف من آثار الأزمات التي ولدت في نهاية عصر السادات، فيما يتعلق باتفاقية السلام وما صاحبها من عزلة لمصر عن محيطها العربي، ونقل مقر الجامعة العربية لتونس، وقيام جبهة الرفض في مواجهة مصر والسادات.

كما ذكرتُ عمل مبارك على إعادة مصر لمحيطها العربي والإسلامي، وذلك من خلال تفعيل دور مصر في الجامعة العربية من جديد، وإعادتها لعضوية المؤتمر الإسلامي، كذلك إخراج المعتقلين الذين تم اعتقالهم زمن السادات، والسماح بتشكيل الأحزاب وممارستها للعمل السياسي، أيضاً عمل على النهوض بالدولة اقتصادياً وعمرانياً.

في هذه الفترة واصل الدكتور مصطفى محمود من نشاطه الدعوي والخيري والإعلامي، وإن كان تركيزه أكثر وضوحاً من خلال البرنامج التلفزيوني (العلم والإيمان).

مضايقات النظام الجديد لمصطفى محمود:

لم تخل فترة حكم مبارك من المضايقات لمصطفى محمود، وخصوصاً بسبب أعماله التليفزيونية، وبعض

كتاباتـــه والتـــي يتعــرض فيهــا للحــديث عــن اليهــود والصهيونية، ففي لقاء تليفزيوني مع نجل الدكتور (أدهم مصـطفى محمـود)، والـذي أُذيـع علـى قنـاة "دريـم" الفضـائية، يـوم الأحـد ٢٢ مـايو ٢٠١١م مـع المـذيع وائـل الإبراشـي، قـال أدهـم إن مـدير مكتـب رئـيس الجمهوريـة للشـؤون السياسـية (أسـامة البـاز) (١)، أرسـل خطابـاً إلـى (إبـراهيم نـافع) (٢) رئـيس مجلـس إدارة الأهـرام آنـذاك طالباً منه لفت نظر مصطفى محمود إلـى حساسية الكتابـة فـي هـذه الموضـوعات، وأن تأثيرهـا لا يقتصـر علـى الإسرائيليين فقط بل على اليهود أيضـاً، وأن هـذا الخطـاب كان له بالغ الأثر علـى صحة والـده الـذي دخـل بعدها فـي نوبة من حزن شديد، والخطـاب عبّر عن تـوبيخ سياسـي واضـح مـن الدولـة، لـم يقتصـر علـى كتابـات الفيلسـوف

---

(2) أسـامة البـاز: (١٩٣١- ٢٠١٣)، سياسـي مصـري، ولـد فـي محافظـة الدقهلية، تخرج في جامعة القاهرة كلية الحقوق، أكمل دراساته العليا في أمريكا، عمل فـي سلك الخارجية سفيراً ثم مستشاراً لـوزير الخارجية، ثم مستشاراً لرئيس الجمهورية، شارك فـي مفاوضـات السـلام (كامب ديفيد)، تـولى الملـف الفلسـطيني الإسـرائيلي، لـيس لـه انتمـاءات حزبيـة، لـه عـدة مؤلفات، منها مصر والقرن الواحد والعشرين. (ويكيبيديا: الموسوعة الحرة).

(٢) إبراهيم نافع: (١٩٣٤-) إعلامي مصري ولد في السويس، تخرج في جامعة عين شمس كلية الحقوق، عمل محرراً في عدة وكـالات للأنبـاء والصحف المحلية والأجنبية، تـولى رئاسـة تحرير جريدة الأهرام، اختير نقيباً للصحفيين أكثر من مرة، له مؤلفات عدة في السياسة والأدب والقضايا الاجتماعيـة، منهـا سـنوات الخطـر، ريـاح الديمقراطيـة، عاصـفة الخلـيج، وغيرها. (موسوعة أعلام الفكر العربي السحار، ٢/٢٢٤).

الراحل، بل امتد إلى الاعتراض على محتوى ومضمون برنامجه (العلم والإيمان)، كاشفاً له أن إسرائيل لعبت دوراً رئيسياً في توقف عرض البرنامج على القنوات الأرضية[1].

وقال وائل الإبراشي[2] في لقاء مع جريدة المصري اليوم: "إن مصطفى محمود كان يمثل خطراً على إسرائيل، لأنه كان الوحيد الذي يرد على ادعاءاتهم من قراءته المتأنية في العقائد والتاريخ والعلوم، وأن سلوكه هذا سبّب حرجاً شديداً للمسئولين في الدولة، وهو ما يُفسر تخليهم عنه في محنة مرضه وحتى لحظة وفاته"[3].

موقف مصطفى محمود من الأحزاب: في الفترة الممتدة من الثلاثينات حتى بداية الخمسينات ظهرت مجموعة من الأحزاب المصرية ، وكان لهذه الأحزاب نشاطات حزبية وسياسية وثقافية ولها جرائد ومجلات خاصة، ومن خلال البحث في حياة الدكتور مصطفى محمود لم نجد ما يثبت أنه انتمى لأي حزب من هذه الأحزاب، مع أنه عمل محرراً في جريدة النداء، التي

---

(1) لقاء تلفزيوني بين وائل الأبراشي مع ابن الدكتور أدهم مصطفى محمود في برنامج الحقيقة يوم الأحد، ٢٢ مايو ٢٠١١ م.

(2) وائل الإبراشي: (١٩٦٣-)، إعلامي مصري، مواليد محافظة الدقهلية، علماني التوجه، عمل في صحيفة روز اليوسف، مقدم برامج تلفزيونية، نال شهرة كبيرة من خلال تحقيقاته الصحفية، اتهم في عدة قضايا إعلامية في عهد مبارك، يعمل الآن في تلفزيون دريم. (ويكيبيديا: الموسوعة الحرة).

(3) جريدة المصري اليوم: عدد الثلاثاء، ٢٤ مايو ٢٠١١.

كان يصدرها حزب الوفد، ويرأس تحريرها الأستاذ ياسين سراج الدين، الذي كانت تربطه بالدكتور علاقة طيبة، ومع هذا لم ينضم مصطفى محمود لا للوفد ولا لغيره من الأحزاب.

أما عن موقفه من الإخوان المسلمين فهو يقول: "أما بالنسبة لجماعة الإخوان المسلمين، فلا دين في السياسة، ولا سياسة في الدين، ولكي أوضح رأيي في هذه الجماعة وغيرها من الجماعات التي كثيراً ما حاولت معي لكي أنضم إلى صفوفها في مراحل عمري المختلفة، فهناك نكتة إنجليزية شهيرة توضح أن الدين والسياسة لا يتفقان، فتقول: وجد شخص تابوتاً مكتوباً عليه هنا يرقد السياسي العبقري والرجل الصادق فلان، فقال الرجل: أول مرة أجد اثنين مدفونين في تابوت واحد. فالسياسة تحمل داخلها الكذب والانتهازية، والدين يحمل داخله القواعد والتسامح والسلام، ظللت عمري كله أحمل راية الدفاع عن الإسلام من الإخوان، وغيرها، لكن رغم انتقادي هذه الجماعة ورفضي شعارها (الإسلام هو الحل)، فإن بين أعضائها شخصيات مستنيرة، وأهم ما يميزها أنها تمثل نسيجاً واحداً منذ نشأتها على يد الأستاذ حسن البنا- رحمه الله- وحتى الآن، لكن هذا لا يبرؤها من أن بينها أيضاً شخصيات غير ناضجة، ومندفعة ومتعصبة، والدليل على ذلك إصرارها على تأسيس حزب سياسي رغم أن هذه الخطوات أثبتت فشلها منذ قيام الثورة وحتى الآن، إلا

أنها ما زالت متمسكة بها رغم استحالة تأسيس الحزب لما فيه من تهديد للوحدة الوطنية، ولذلك كنت على الدوام ضد دخول الدين في السياسة نهائياً، ورأيي هذا وصلت إليه بعد أن أمعنت التفكير، لأن السياسة خليط من الكذب والالتواء والانتهازية، ولا بد من تنزيه الدين عنها، وأُفضل أن يكون دور الدين في هذه المرحلة الحزبية التي نعيشها هو إحياء الضمائر، فأخطر شيء يهدد المجتمع هو إدخال الدين في السياسة، فدور الدين يجب أن يقتصر على توعية وإحياء ضمائر الناس"[١].

للباحث هنا كلمة: هذا الذي يقوله الدكتور مصطفى محمود لا نوافقه عليه، مع احترامنا لرأيه، وليت الدكتور استفاد من تجارب وخبرات من سبقه ممن كانوا يقولون بنفس رأيه، ولهم كتابات واضحة في هذا الرفض ولعبوا أدواراً كبيرة في الحياة الثقافية والدينية والسياسية المصرية والإسلامية، أمثال الشيخ علي عبد الرازق[٢]،

---

(١) الفارس المتمرد: سيد الحراني، الحلقة الأخيرة.

(٢) علي عبد الرازق: (١٨٨٨-١٩٦٦)، عالم أزهري وباحث مصري، ولد في المنيا، تعلم في الأزهر ثم في بريطانيا، تولى القضاء،صاحب كتاب (الإسلام وأصول الحكم)، قامت عليه ضجة كبيرة، وسحبت منه شهادة الأزهرية، انتخب عضواً في البرلمان، ثم الشيوخ، تولى وزارة الأوقاف، عمل في التعليم الجامعي (جامعة القاهرة) لمدة ٢٠ عاماً، له عدة مؤلفات منها الإجماع في الشريعة الإسلامية، كتاب عن أخيه مصطفى عبد الرازق. (الأعلام الزركلي، ٢٧٦/٤).

والشيخ خالد محمد خالد[1]، وكيف أنهما وغيرهما تراجعا في آخر حياتهم وكتبوا كتباً صححوا فيها ما كانوا ذهبوا إليه سابقاً، كذلك ما فعله الدكتور محمد حسين هيكل رحمهم الله جميعاً.

كتب الشيخ علي عبد الرازق كتابه (**الإسلام وأصول الحكم**)، فقال فيه بفكرة فصل الدين عن الدولة وفصل الدولة عن الدين، وأثار هذا الكتاب في حينه ضجة كبيرة انتهت بسحب الشهادة العالمية الأزهرية منه، وتوالت الأعوام وتراجع الرجل عما قاله في بداية حياته.

نفس الأمر حدث مع الأستاذ خالد محمد خالد فقد نشر في عام ١٩٥٠م كتاباً بعنوان (**من هنا نبدأ**)، رفض فيه فكرة الدين والدولة، ومرت الأعوام، وفي عام ١٩٨١م نشر كتابه (**الدولة في الإسلام**)، تراجع فيه عن كل أفكاره القديمة، وقال فيه "والآن وفي ضوء اقتناعي الجديد بأن الإسلام دين ودولة..."[2].

---

(١) خالد محمد خالد: (١٩٢٠-١٩٩٦)، عالم أزهري مصري، ولد في قرية العدوية بمحافظة الشرقية، تلقى تعليمه في الأزهر، أخذ شهرة كبيرة من خلال مؤلفاته الكثيرة، ومنها (رجال حول الرسول)، كان ميالاً للتصوف والهدوء. (انظر: قصتي مع التصوف : خالد محمد خالد، المقطم للنشر، القاهرة، الثالثة، ٢٠٠٦، ص١٥).

(٢) الدولة في الإسلام: خالد محمد خالد، دار ثابت، القاهرة، الأولى، ١٩٨١، ص١٦.

إن أمر الدين لا يمكن أن يستتب ويستقيم في دولة ومجتمع إلا أن يكون مسانداً له سياسة قوية، وليس هناك في الإسلام مراحل تاريخية استثنائية، تجتمع فيها الدولة مع الدين ثم في أزمان أخرى نفصل ما بين الدين والدولة، فإن قضايا الإسلام الكبيرة والاستراتيجية قضايا ثابتة لا تتغير بتغير الزمان أو المكان.

كذلك لا يمكن أن يستقيم حال السياسي بدون قيم الدين وأخلاقه ومبادئه وقواعده، وقد عرفنا كم عانى أستاذنا مصطفى محمود من سياسيين فاسدين، زوروا التاريخ وقلبوا الحقائق وظلموا الناس، وأفسدوا في الأرض، وخانوا بلادهم، ووضعوا أياديهم بأيدي أعدائهم، فكانوا وبالاً على شعوبهم.

المطلب الثالث

الحياة الثقافية والعلمية

على مدار تاريخ الإنسان كانت مصر هي مقصد طلاب العلم والعلماء، تفوقت على جاراتها لأسباب كثيرة، ليس هنا مكان ذكرها، واستمر حال هذا التفوق حتى وصلنا إلى مشارف القرن العشرين، مقصد دراستنا ومحط بحثنا، الأزهر في قلب مصر، ومن حوله المعاهد والمدارس، الجامعات تتلاحق في إنشائها جامعة إثر جامعة، جامعة فؤاد الأول[1] (القاهرة حالياً)، وجامعة إبراهيم باشا[2] (عين شمس حالياً)، وجامعة فاروق الأول[3] (الإسكندرية حالياً)، وجامعة محمد علي[4]

---

[1] فؤاد الأول: (١٨٦٨-١٩٣٦)، ملك مصر، ابن الخديوي إسماعيل، خريج الكلية الحربية في إيطاليا، تولى الحكم في عام ١٩١٧، في عهده قامت ثورة ١٩، وإعلان الدستور، وتولى أول حكومة شعبية (زغلول) في عهده، له بعض الإصلاحات السياسية والحزبية . (انظر: الموسوعة العربية : ص١٣٢٨/٢).

[2] إبراهيم باشا: (١٧٨٩-١٨٤٨)، والي مصر وقائد عسكري، ابن محمد علي، قاد الجيش ضد الوهابيين (١٨١٦) احتل اليونان (١٨٢٥)، وأخمد تمردهم، انتصر في كثير من المواقع الحربية، تولى الحكم عام ١٨٤٨م، وفي نفس العام توفي. (انظر: الموسوعة العربية: ص٩/١).

[3] فاروق الأول: (١٩٢٠-١٩٦٥)، ملك مصر، وابن فؤاد الأول، تلقى تعليمه في مصر ثم في بريطانيا، تولى الحكم بعد وفاة أبيه، أطاحت به ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م، انتقل إلى إيطاليا ومات هناك. (انظر : الموسوعة العربية : ص١٢٦٤/٢).

[4] محمد علي: (١٧٦٩-١٨٤٩)، والي مصر، ولد في اليونان، جاء إلى مصر ضمن حملة طرد نابليون من مصر، تولى قيادة الكتيبة الألبانية،

(أسيوط)، في نفس الوقت عشرات الصحف والمجلات، والعديد من دور النشر والطباعة، علماً أن أول مطبعة في الشرق كانت المطبعة الأميرية في القاهرة[1].

الأزهر ومكانته التاريخية والعلمية:

على رأس هرم المؤسسات العلمية كان الأزهر الشريف، والذي شكّل صرحاً شامخاً على مدار مئات السنين في نشر العلم والعلوم، أَمَّه الطلاب من كل بلاد الإسلام، وقصده العلماء من كل المذاهب والفرق، كان صاحب دور بارز في العلم والسياسة، ولا ننسى موقفه من الحملة الفرنسية، وكيف كان شيخه حسن العطار[2] أحد أبطال المقاومة للحملة الفرنسية[3]، وبغض النظر

شارك في معركة أبي قير والرحمانية، ترقى في السلك الوظيفي حتى تولى حكم مصر عام (١٨٠٥)، كان يظهر مناصرته للمصريين، اشتهر بكثير من الإصلاحات العسكرية والتعليمية، وبعث كثير من الوفود العلمية إلى أوروبا . (انظر: الموسوعة العربية : ١٦٦١/٢).

[1] انظر: مصر وعالم البحر المتوسط: رؤوف عباس حامد، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، الأولى، ١٩٩٦م، ص١١.

[2] حسن العطار: (١٧٧٦-١٨٣٥)، شيخ الأزهر ومن علماء مصر، أصله من المغرب، ولد ومات في القاهرة، تلقى تعليمه في الأزهر، حتى أصبح شيخاً له (١٢٤٦هـ)، شارك في مقاومة حملة نابليون على مصر، له مجموعة من المؤلفات، في المنطق والشعر والأصول، تنقل في عدة بلاد إسلامية من ألبانيا والشام، تولى جريدة الوقائع المصرية. (الأعلام: الزركلي، ٢٢٠/٢).

[3] انظر: عجائب الآثار في التراجم والأخبار: عبد الرحمن الجبرتي: دار الكتب المصرية، القاهرة، الأولى، ١٩٩٨م، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن، ص١٨٧/٣.

عن كون الأزهر كان مستقلاً ثم أصبح تابعاً، فإن دوره كمنارة لنشر الفكر الديني، وصناعة العلماء وبعث الوفود، والوقوف في وجه أعداء الأمة، وحمل كلمة الحق، كل هذا استمر على مدار تاريخه الطويل، صحيح أنه تعرض لحالات مد وجزر إلا أنه بقي له الكلمة المؤثرة، والرأي الأرجح والحكم المعتمد وكان لعلمائه مواقفهم المشرفة، مهما حاولت بعض الجهات طمسها.

وصحيح أيضاً أنه أصبح في عهوده القريبة مؤسسة حكومية كأي مؤسسة تابعة؛ تتدخل الدولة في تعيين شيخه، وهيئة علمائه، إلا أن مواقفه كانت في كثير منها مشرّفة، يكفينا نحن في فلسطين موقف علماء الأزهر من قضية احتلال فلسطين، والدعوة للجهاد فيها، ولا يعتد بالرأي الفرد والقول الشاذ لبعضهم حتى لو كانوا شيوخاً له.

نشأ الدكتور مصطفى محمود في ظل حياة ثقافية وعلمية راقية، البيئة التي نشأ فيها بيئة محبة للعلم، وكان والده يجيد اللغة الفرنسية، حرص على تعليم أولاده، حتى ارتقوا إلى أعلى المناصب العلمية والإدارية، تعلم في المدارس الحكومية المنتشرة في أغلب مدن مصر وكان متفوقاً، مما ساعده لدراسة الطب في (القصر العيني)[١].

---

[١] انظر: الفارس المتمرد: سيد الحراني، الحلقة الأولى.

الزمن الذي عاشه مصطفى محمود:

واكب نشأة الدكتور مصطفى محمود ظهور وبروز العشرات من المبدعين في مصر، على مستوى الشعر والأدب والسياسة والفنون، من كل التيارات الفكرية والفلسفية، المقبولة وغير المقبولة، وكانت أرض مصر تعج بنهضة ثقافية وفكرية شاملة، منها ما توافق مع دين المجتمع وموروثاته الفكرية، ومنها ما كان متمرداً، مقلداً للغرب، فقد انتشرت في البلاد الدعوات الفلسفية كالوجودية والماركسية والإلحادية والعبثية، وتيارات كالقومية والبعثية، وجمعيات نسائية كثيرة دعت إلى الحرية والمساواة للمرأة[١].

صحيح أننا لا نستطيع أن نغفل دور المستعمر الإنجليزي في إعلاء شأن اللغة الإنجليزية على حساب اللغة العربية، وأن التعليم في فترة من فتراته كان لأهل الحظوة والخاصة من القوم، وعملت على نشر السلبية والجهل مما زاد من نسبة الأمية بين أفراد الشعب المصري، وعملت على إعلاء شأن كل ما هو غربي، والازدراء من الدين ومن العلماء، حتى على مستوى العمل الإداري والوظيفي، ولا ننسى الدور الذي قام به

---

[١] انظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر : محمد محمد حسين، ص٢٧٩/٢.

نصارى الشام أصحاب مؤسسات إعلامية كبيرة كدار الهلال والمقطم والأهرام[1].

أيضاً لعبت البعثات العلمية للخارج دوراً كبيراً في حرف ثقافة المجتمع المصري، وقد ظهر هذا واضحاً على يد توفيق الحكيم، وسلامة موسى، وطه حسين، والمئات ممن درسوا في بلاد الغرب، وعادوا إلى ديارهم أبواقاً للفكر الغربي والقيم الغربية، كان لهم دورٌ خطيرٌ في التأثير على الحياة الثقافية والعلمية، خصوصاً أن منهم من تولى مناصب عليا في البلاد.

إن انفتاح المجتمع المصري على العالم الخارجي، وتدفق الثقافة الفرنسية بكل مكوناتها والثقافة الإيطالية، وقد كانت الجالية الإيطالية تشكل وجوداً ظاهراً، فهي تأتي في المرتبة الثانية بعد الجالية اليونانية، والمتجول في شوارع القاهرة الحديثة والإسكندرية ومدن القناة يشاهد مدى تأثير الثقافة الأوروبية على حركة الإنشاء والبناء[2].

لا يستطيع شخص كمصطفى محمود أن ينفي تأثره في خضم هذه التيارات المتلاطمة من الثقافات، والتي كان ينظر إليها في زمانه على أنها صورة للتطور والرقي، إلا أن الملاحظ على ثقافة أستاذنا أنها لم تخرج عن مألوف

---

(١) انظر: المصدر السابق : ٢٨١/٢.

(٢) رؤوف حامد: مصر وعالم البحر المتوسط، ص١٢.

مجتمعه ودينه، والسبب الرئيسي في ذلك التحصينات التي تحصن بها منذ طفولته ونشأته، وتأثير الأب والأم في التربية.

"لقد سادت مصر في تلك الحقبة من أربعينيات وخمسينيات القرن العشرين موجات من الفكر المتمرد والساخط نتيجة التأثر بالمذاهب والتيارات الفكرية الوافدة من وجودية وشيوعية واللامنتمي، فتأثر بها مصطفى محمود كغيره من أبناء هذه الحقبة، وتفاعل مع ذلك مع تساؤلاته وحيرته في هذه السن الباكرة"[١].

التوجه الروحاني عند مصطفى محمود:

كذلك لا يمكننا أن نغفل أثر التصوف وانتشار الطرق الصوفية في هذه الحقبة، يتحدث مصطفى محمود عن كتاباته فيقول: "إن ما أكتبه فن، فن خيّر، الهدف منه التحبيب في الخير والتنفير من الشر، وأنا لست رجل دين، بل أنا فنان دخلت إلى رحاب الدين من باب الفضل الإلهي، والفن كان دائماً ضعفي وقوتي، وكل ابن آدم خطاء، ولهذا لم أدع لنفسي العصمة، ودائماً أراجع ما أكتب، فإن رأيتني كتبت صواباً فمن الله، وإن كتبت خطأ فمما سولت لي نفسي، بهذه الروح أحب أن يقرأني الناس، فما تصورت نفسي أبداً مفسراً للقرآن أو حاكماً في قضية فقه أو شريعة، إنما هي محاولات فهم من

---

[١] محمد رضوان: مصطفى محمود مشوار العمر، ص٩.

مفكر دوره لا يزيد على إثارة العقل وإخراجه من رقاده، وإيقاظ القلب وتفتيحه على محبة الله، فإن استطعت أن أعيد رجلاً ابتعد عن الحق إلى الطريق المستقيم وإلى فتح المصحف، فهذا أقصى مرادي، أما تفقيه الرجل في الدين فهذا دور العلماء المتخصصين، وحسبي أنا أني قد جئت به إلى بابهم، وأيقظت استعداده، فما أنا بالعالم، بل أنا مجرد فنان ينتهي دوره عند إثارة حب الحقيقة في قلب القارئ، وفي هذا فليحاسبني القراء والنقاد لا أكثر، فلا يحاسبني أحد على أنني فقيه مثل الشافعي، وابن حنبل وأبي حنيفة"[١].

إن النبرة الصوفية، ومراجعة النفس ومحاسبتها لا يخلو منها عمل من أعمال مصطفى محمود، حتى عمله كطبيب ومن قبلها دراسته للطب لا يخلو من روحانية عميقة الجذور في روحه وعقله، "من الممكن أن نُرجع السبب في كل ذلك إلى أن الأطباء دائمو الوقوف أمام الموت، وهم أقرب إلى الميت من الآخرين، فيرون كل يوم بأعينهم الموت وهو يقبض أرواح البشر في الوقت الذي يفر فيه الجميع منه ويهرولون، حتى الأقارب وأقرب الأقربين والأصدقاء في حين أن الطبيب الذي يعد أشجع إنسان في البشرية هو الوحيد الذي يواجه الموت ويحدق في عينيه متحدياً ومحاولاً إنقاذ المريض، هذا فضلاً عن أنه الوحيد الذي يحضر ميلاد الإنسان

---

[١] أحمد الجزار: مصطفى محمود والتصوف، ص٧٩.

ورحيلـه وأول مـن يسـتقبل الإنسـان فـي الوجـود أيضـاً وآخـر مـن يودعـه مـن الوجـود، وبالفعـل هـي لحظـات رهيبـة تكـون قـادرة علـى أن تخـرج مـن داخلنـا مـارداً كبيراً"[1].

حاول الدكتور مصطفى محمود أن يوظف العلم فيما يعود على الإنسان بالنفع والفائدة، فكان علـى الاتجـاهين، اتجاه الطبيب نافعاً لمجتمعه وذلك من خلال المستشفيات والمراكز الطبية الستة التي أنشأها، والتـي تقدم خدماتها لمئـات المرضـى والمحتـاجين يوميـاً علـى مدار السـاعة، وقد ذهبت بنفسـي (الباحـث) إلـى اثنين من هذه المراكز وشـاهدت مـا يُقدم فيهـا مـن خدمات شبه مجانيـة، وفـي أغلـب التخصصـات، ومنهـا الدقيقـة كالقلـب والمـخ والأعصـاب، فـي حين تراجـع دور الدولـة في مثـل هذه الخدمات.

وفـي الاتجـاه الثـاني، اتجـاه الكتابـة والـدعوة إلـى الله، نجـده تفـوق فيهـا أكثـر مـن أصـحاب التخصـص، الـذين تخرجـوا مـن كليـات الصـحافة والإعـلام، والكليـات الإسلامية والدعوة.

الباحث يُرجع سبب ذلك لما كان يتمتـع بـه أستاذنا من إخلاص وصدق، فالرجل إن أقدم على عمل قام بـه علـى وجهه الحسن، وبكل إخلاص واتقان.

---

[1] سيد الحراني : الفارس المتمرد : الحلقة الثانية .

أيضاً مما كان يتمتع به الرجل من روحانية عجيبة، بساطة في النفس، سلاسة في التعامل، تجعل من يتعامل معه لا يمل في التواصل به، والرجل التقيت به مرتين أثناء دراستي الجامعية من خلال المعرض الدولي للكتاب.

إن الحياة الثقافية والعلمية التي عاشتها مصر خلال النصف الأول من القرن العشرين لم يتسنّ لأي مجتمع عربي آخر أن يعيشها، ربما سوريا ولبنان فقط من دول الوطن العربي، انتشار في التعليم الجامعي، وحرية التنقل والسفر، وكثرة البعثات الخارجية، ونهضة إعلامية وفكرية، صحيح كان لها اتجاهات في أغلبها حجب للدين عن واقع الحياة، ومحاولة اللحاق بالمجتمعات الغربية بخيرها وشرها[١].

[١] انظر: الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي: محمد البهي: ، ص٤٠٦.

المبحث الثالث

أعمال مصطفى محمود ، ومؤلفاته، وأقوال المعاصرين فيه

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أعماله.

المطلب الثاني: مؤلفاته.

المطلب الثالث: منهجه في الكتابة.

المطلب الرابع : أقوال المعاصرين فيه .

المطلب الأول

أعمال مصطفى محمود

تمهيد:

تظهر قيمة الشخص من خلال أمور عدة، منها أعماله، أقواله، أخلاقه، شهادة الناس له، فإن كانت الأعمال التي يقوم بها الشخص أعمال خير، نافعة غير ضارة، كان هذا الشخص أولاً من المقبولين عند الله تعالى، ثم من الخالدين في ذاكرة الناس والتاريخ.

ومن خلال ما رأيت وقرأت وعرفت، فإن الرجل صاحب أعمال نفعت مجتمعه، ونفعت الأمة، وخيره عمَّ الفقراء والمحتاجين.

أما أقواله، ومنها كتاباته، فهي خير شاهد على الرجل، وأن دعوته كانت خالصة لله تعالى، ولهذا الدين وللناس وللوطن؛ الوطن الكبير، وقبول الناس وإقبالهم على مؤلفاته بهذا الشكل اللافت للنظر، وطباعة مؤلفات مرات عديدة، خير شاهد على نجاح الرجل، وهذا توفيق من الله تعالى له.

أما عن شهادة الناس له أثناء حياته وبعد موته، فهذه شهادة له عند الله تعالى، وهي دليل على قيمة الرجل.

تنقسم أعمال مصطفى محمود إلى عدة أقسام:

أولاً. مؤلفاته.

ثانياً. مقالاته.

ثالثاً. مشاريعه الخيرية.

رابعاً. برامجه التلفزيونية.

أولاً. مؤلفاته: سأفرد لها مطلباً مستقلاً.

ثانياً. مقالاته:

كما كان الدكتور مصطفى محمود مكثراً من تأليف الكتب كان مكثراً من كتابة المقالة وعلى تنوع موضوعاتها؛ السياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية والدينية والفكرية.

وقد مرّ معنا في المباحث الماضية أنه عمل صحفياً وكاتب مقال أثناء دراسته للطب في كلية القصر العيني، ثم لما ترك مزاولة مهنة الطب عمل فقط في الصحافة والكتابة؛ ومن خلال عدة مؤسسات صحفية حكومية وخاصة.

ولكثرة مقالات الدكتور، وبعدها الزمني ونشرها من خلال صحف كثيرة مصرية وعربية، يصعب على الباحث حصرها، إلا أن مجموعة من محبي الدكتور قاموا بعد وفاته بجمع وتوثيق كل ما كتب من مقالات في

الفتــرة الزمنيــة الممتــدة مــن (١٩٧٦/٣) إلــى تــاريخ (٢٠٠٣/٩)، وقد بلغت مجموع مقالاتـه فـي هذه الفتـرة الزمنية (٣٥٣) مقالاً، وعدد صفحاتها (٢١٧٧) صفحة.

ثالثاً. أعماله الخيرية:

ولد عمل الخير مع ميلاد أستاذنا مصطفى محمود، الذي كان يرى والده يقوم بتوزيع ربع راتبه على الفقراء والمحتـاجين مـن أقاربـه وجيرانـه، والـذي قـام برعايـة وتربية أبناء زوجته من الزوجين السابقين عليـه، "كانـت لـه عـادة لم يقطعها فـي حياتـه منـذ أول راتـب تقاضـاه، وحتى آخر راتب، وهو أنه كان يعطف بربـع راتبـه علـى الفقـراء، كـان يـذهب إلـى أقاربـه الفقـراء والجيـران، ومعاونـة الذين يرى فيهم رقة الحـال فـي القرى المحيطـة بطنطا ويوزع عليهم ربع هذا الراتب البسيط"[١].

حينمـا يتربـى الابـن علـى مثـل هـذه القيم والسلوكيات العظيمة، ماذا سيكون شأنه حينما يكبر، لابد أنـه سيسير علــى نفــس خطــى والــده، وســتكون منظومــة قيمــه وسلوكياته مختلفة، وهكذا كان الرجل.

لهـذا نجـد أن "العديـد مـن المحللـين والـذين عرفـوا الدكتور مصطفى محمود عن قرب، خاصة في المرحلـة الثانية من حياته (١٩٧٠م- ٢٠٠٩م)، أنـه لم يكـن يعيش

---

(١) الفارس المتمرد : سيد الحراني، الحلقة الأولى .

لنفسه؛ بل لخدمة الآخرين، فقد صنع منه اقترابه من الله ورسوله على شاطئ اليقين أنموذجاً للإنسان المحب للآخرين، فيما يخصه كذا أصبح نموذجاً للإنسان المصري المسلم المحب لوطنه وناسه حباً إيجابياً فعالاً، فأنشأ المشروع الخيري "مسجد محمود" بالمهندسين، حيث كان هدفه كما حدده في البداية، أحاول أن تكون وظيفة الجامع أكثر شمولاً واتساعاً بحيث نعقد الصلة المفقودة بين الإنسان والكون وبين الإنسان والعلم، وبين الإنسان والفكر والتفكير، كل الوسائل العصرية المتاحة مثل السينما والتليفزيون والمرصد الفلكي والمتحف العلمي والمكتبة والندوات، ثم أحاول أن أجعل من المسجد مجمعاً للخدمات، فألحق فيه عيادة في كل الفروع ومعملاً للتحاليل ومركزاً للأشعة ووحدة للإسعاف وطبيباً مقيماً.

تأسيسه للمشاريع الخيرية:

فأصبح هناك مستشفى متخصص في جامع مصطفى محمود، كان يشهد توسعات متوالية باستمرار إلى جانب مركز طبي متخصص اسمه مركز الكوثر في شارع جامعة الدول العربية بالمهندسين"(١).

وقد قام الباحث بنفسه بزيارة مؤسسة محمود بتاريخ ٢٠١٢/١٠/٨م، واطلع على كل مكونات هذه المؤسسة،

---

(١) مصطفى محمود مشوار العمر: محمد رضوان، ص٩٠.

العيـــادات التخصصـــية، ومراكـــز التحليـــل والأشـــعة والمتحـف والمرصـد الفلكـي والمكتبـة، إن مـا قـام بعملـه هـذا الرجـل (مصـطفى محمـود) يُعـد مفخـرة عظيمـة ستسجل بإذن الله في ميزان حسناته، إننا نرى الكثير من الأثريـاء فـي وطننـا وفـي غيـره مـن الأوطـان، والـذين جمعوا ثرواتهم على حساب الآخرين من أبنـاء المجتمـع، يبخل الواحد منهم تقديم مساعدات قليلـة، فمـا بالنـا بهذا الرجل الذي كان يحرم نفسه وأسرته ليقدم للنـاس مـا بين يديه.

إنه ظـاهرة عجيبـة غريبـة، تسـتحق التقدير والاحترام والإشادة بها.

"وهكـذا أصـبح مصـطفى محمـود ظـاهرة فريـدة فـي مســاعدة الفقــراء والوقــوف بجــانبهم حيــث اســتفاد مــن مشـروعه الخيـري أكثـر مـن مليـون أسـرة بسـيطة مـن البسطاء والغلابة"[1].

ولـم يتوقـف مصـطفى محمـود عنـد هـذا العمـل الجبـار "وإنمــا ســعى إلــى الاســتعانة بطــب الأعشــاب والإبــر الصينية والعلاجات الحديثـة كـالعلاج الطبيعـي، والأشـعة بمختلـف أنواعهـا، وأنشـأ لـذلك مـا يشـبه مراكـز البحـث المتخصصة داخل الجمعية، وكان لديـه شـغف لمـا يُسـمى الطب البديل إلى جانب الطب التقليدي، رغبـة فـي تـوفير

(1) المصدر السابق: ص٩١.

كل ما يُلبي احتياجات المرضى، متجنباً في ذلك كل أشكال الاستغلال أو التجريب العشوائي وهو ما أدى إلى اتساع نشاط الجمعية"[١].

لقد كرس الرجل حياته وخصوصاً من بداية عام ١٩٧٠م حتى وفاته، لقد كرسها لعمل الخير الذي لا يتوقف، فمثلاً قام بإنشاء الجمعيات والمراكز الطبية التالية:[٢]

١. جمعية مسجد محمود (الوحدة العلاجية)، الكائنة بميدان جامعة الدول العربية بالمهندسين والذي يُسمى الآن في الإعلام بميدان مصطفى محمود.

٢. المركز الطبي لمسجد محمود، الكائن نهاية شارع جامعة الدول العربية، عمارة الأوقاف.

٣. المركز الطبي لمسجد محمود بالأعلام، الكائن بشارع النبوي المهندس، الأعلام.

٤. مستشفى محمود الكائن شارع النيل الأبيض، ميدان لبنان، المهندسين.

٥. مركز محمود لطب العيون، الكائن كورنيش النيل، أبو الفدا.

---

(١) المصدر السابق: ص٩٢.

(٢) نشرة إعلامية عن جمعية محمود، ٢٠١١م.

٦. مسـجد الرحمـة، مركـز تـدريب العجـوزة، خلـف مسرح البالون.

هذه هي المراكز الثابتة، وهي مشاريع تقدر بعشرات الملايين، الخدمات فيها تقدم شبه مجانية وبرسوم بسيطة جداً، حتى إجراء العمليات المعقدة تجري بمقابل زهيد لا يصـدق، ومـا شـاهدته أثنـاء وجـودي وجـود بعـض المرضى من غير المصريين، والذي لا يسألهم أحد عن جنسياتهم.

تنوع أنشطة جمعية محمود:

ومؤسسـة جمعيـة محمـود تقـوم بأنشـطة كثيـرة، غيـر تقديم الخدمات الطبية، منها الدورات والنشرات التثقيفية ذات الصـلة بالمناسـبات الدينيـة، وقـد اطلعـت علـى مجموعة من هذه النشرات ذات الصلة بشهر الصيام، والحـج، ومولـد النبـي صـلى الله عليـه وسـلّم، والمسـجد الأقصـى، والإسـراء والمعـراج، وجمـع القـرآن، وزكـاة الفطر، وأحكـام تـلاوة القـرآن، وأحكـام صـلاة المـريض، ومناسك الحج، وغيرها من النشرات.

كذلك تقدم الجمعية التبرعات العينية للمحتاجين (مـالاً، طعامـاً، أو كسـوة)، هـذا غيـر موائـد الـرحمن (إفطـار الصائم)، فهم يقدمون من خلال عدة أماكن وفي أكثر من مدينـة أكثر من (٢٠) ألف وجبة إفطار يومياً، منها ما يوزع على البيوت ومنها ما يقدم في الميادين ومنها ما

يقدم داخل المساجد، وهذا لا يقتصر على مدينة القاهرة فقط بل يعم مدن مصرية أخرى، وعلى مدار شهر رمضان كاملاً[1].

أيضاً القوافل الطبية التي تجوب البلاد من شرقها إلى غربها، وشمالها وجنوبها، "لفت انتباهي أن المحافظات البعيدة مثل الصعيد ومطروح وسيناء لا تصلها خدماتنا، على الرغم من تفاقم الأوضاع بكثير في هذه المحافظات بالذات، فقررنا أن نخرج بقوافل إلى هذه المناطق، بالفعل كنا نذهب بقافلة في الصيف وأخرى في الشتاء، كل قافلة منهما تتوجه إلى مكان ما وعلى رأس هذه الأماكن؛ مدن كالسلوم وسوهاج وقنا ومطروح والخارجة وأسوان، وكنا نستغل فترة هذه القافلة ونهتم بأهل هذه المناطق في أكثر من مجال وأكثر من نشاط فكري وديني ووصل عدد هذه القوافل إلى (١٣) قافلة[2].

إن مصطفى محمود رجل نال قسطاً كبيراً من توفيق الله له، وهذا الذي أقوله مبني على معطيات واقعية على أرض الواقع، يراها الناس ويلمسونها ويستفيدون منها.

---

(١) لقاء مباشر مع المشرف على الشؤون الاجتماعية للجمعية الأستاذ صالح أبو غنيمة بتاريخ ٢٠١٢/١٠/٨م، بمقر الجمعية بالقاهرة.

(٢) الفارس المتمرد: سيد الحراني، الحلقة ١٨.

يقول الرجل: "منذ النشأة كانت لي أحلامي بخصوص من حولي، عندما نشأت لم أكن من الأثرياء ولم أكن من الفقراء، كنت من المستورين (الطبقة المتوسطة التي اختفت حالياً)، ولكنني كنت دائم الانشغال بالفقراء، اقتنعت بأن الفقر والجهل والظروف السيئة هي سبب تأخر أمتنا، بل هي منبع الإرهاب، فإذا أردنا أن نصعد بمعدل نمو دولتنا مثل الدول المحترمة، وإذا أردنا أن نقطع جذور الإرهاب فعلينا بمحاربة أسبابه، وهذا لن يكون فقط بالتنظير أو بتأليف الكتب أو بالصراخ على المنابر السياسية، العلاج يكون بأن يبدأ كل واحد بنفسه، بيده، لا أقصد هنا ألا ينتظر النظام بواقي وفضلات الدول الأخرى المسماة الإعانات، لأنك ستكون تنادي في جدار أصم، بل أقصد ألا ننتظر شيئاً أساساً من النظام، عايز تعمل خير لبلدك وأهلك وأهلها، الخير بيتنفذ، بقول يتنفذ مش بيقف عند مجرد النية، فالحل يكمن فينا"[1].

العجيب في الأمر أن الرجل كان يواصل عمله ليل نهار، مع طول عمره وتقدم سنه، ومع المرض الذي لا يفارقه، ولكنها البركة من الله، البركة في الوقت والبركة في القليل من المال، والبركة في الصحة، والبركة في رفقة أهل الخير، وهذا ما كان لأستاذنا.

---

(1) الفارس المتمرد: سيد الحراني، الحلقة ١٧.

ثالثاً: برنامج العلم والإيمان:

أستطيع أن أؤكد أن النجاح والتوفيق كانا حليفين للدكتور مصطفى محمود، وهذا بالتأكيد مبني على معطيات على أرض الواقع، نجاح هذا الرجل صحفياً ونجاحه كاتباً، ونجاحه طبيباً، ونجاح مشاريع الخير المتعددة التي قام بها، وحب الناس له، وعدم رضا السلطان الحاكم، كل هذا وغيره دليل على نجاحه.

والدليل الأكبر أمام أعيننا هو برنامجه التليفزيوني (**العلم والإيمان**).

من أشهر البرامج التليفزيونية العربية على الإطلاق، كان هذا البرنامج، والذي استقطب من حوله الناس بكل شرائحهم، العالم وغير العالم، والمتعلم وغير المتعلم، والرجل والمرأة، والصغير والكبير، والمؤمن وغير المؤمن، والمسلم وغير المسلم، لدرجة أن حركة المواصلات كانت تكاد تتوقف أثناء بث هذا البرنامج.

ومن خلال متابعة هذا البرنامج والذي لعبت فيه شخصية الدكتور مصطفى محمود بصوته المتميز وتعليقاته المختصرة على المشاهد وهدوء الشخصية، والمؤثرات الصوتية الأخرى، والجديد مما لم يكن يعرفه المشاهد ولم يطلع عليه وقدرة الدكتور في الربط بين الأحداث والوقائع كان النجاح لهذا البرنامج، والذي

لم يعتد المشاهد المصري والعربي على مثله من البرامج الجادة.

كان أستاذنا يرغب أن يقدم عملاً إعلامياً "يتخذ من الصورة والمادة العلمية والتأمل الصوفي مدخلاً إلى الإيمان بالله"[1].

كيف ظهر برنامج العلم والإيمان:

والبداية كانت في يوم ١٥ مايو ١٩٧١م، عندما كتب الدكتور مصطفى محمود مقالاً بمجلة روز اليوسف، على خلفية قضية مراكز القوى الشهيرة، قال فيها مخاطباً الرئيس السادات "أنت الزعيم وليس بعدك زعيم، أنت رجل العلم والإيمان"، كلمات أعجبت السادات وسُر منها، فأشار على وزير الإعلام وقتها بإذاعة برنامج من إعداد الدكتور مصطفى محمود يحمل اسم (**العلم والإيمان**)، وبالفعل طلب وزير الإعلام في حينها من مصطفى محمود إعداد البرنامج، وكلف رئيس التليفزيون وقتها تسهيل الأمور لإذاعته، وكان الاقتراح أن يقدم الدكتور البرنامج بنفسه[2].

يتحدث الدكتور عن هذه الظروف فيقول: "اعتمد التليفزيون المصري (٣٠) جنيهاً مصرياً فقط للحلقة الواحدة، في حين أن البرنامج يستلزم السفر للخارج

---

(١) الفارس المتمرد: سيد الحراني، الحلقة ١٧.
(٢) الفارس المتمرد: سيد الحراني، الحلقة ١٨.

ومتابعة آخر الأبحاث، ولذا بدأ اليأس يتسرب إلى نفسي، حتى قابلت رجل أعمال شهير، فحدثته في أمر البرنامج، فإذا به يخرج دفتر شيكات قائلاً لي: "لن أناقشك في النفقات، ولكن المهم خروج هذا العمل العلمي والديني إلى النور"، ولاقى البرنامج نجاحاً كبيراً، واجتذب جماهير كثيرة نظراً لأسلوبه الذي جذب به قلوب وعقول البسطاء قبل العلماء"[1].

تعرض هذا البرنامج للعديد من المعوقات، منها على سبيل المثال أن الأفلام التي تساعد في تحضير البرنامج انتهت من التليفزيون، ولا يوجد ما يقومون بالتحضير عليه، مما اضطر الدكتور للسفر وشراء أفلام على نفقته الخاصة بمبلغ (١٥) ألف دولار أمريكي وذلك ليستمر البرنامج.

أيضاً توقف البرنامج بسبب التدخل الصهيوني وذلك أن الدكتور حضّر عدة حلقات عن مفاعل ديمونا النووي الصهيوني، وبرامج عن حرب المياه المستقبلية، مما جعل اليهود والسلطات الأمريكية والصهيونية تتدخل لمنع عرض هذه الحلقات، وفعلاً كان ذلك، مما اضطر الدكتور لعرضها في محطات تليفزيون أخرى، مما أدى

---

[1] انظر: مصطفى محمود والتصوف: أحمد الجزار، ص١٤١.

إلـى تحقيـق ربـح بلـغ عـام ١٩٩٥م (٥) ملايـين دولار، وفي عام ١٩٩٧م بلغ (١٠) ملايين دولار[١].

إن برنـامج العلـم والإيمـان "موسـوعة علميـة وثقافيـة شـاملة تبحـث فـي مجـالات متعـددة طبيعيـة وجغرافيـة وطبيـة وفلكيـة، وفـي علـوم النبـات والحشـرات والعلـوم البيئيـة والطبيعيـة، مـع تعليـق للـدكتور مصـطفى، تصـلح هـذه الموسـوعة لجميـع المـدارس والكليـات والمعاهـد العلمية والمراحل المختلفـة، وتعتبـر موسـوعة علميـة فـي المنــازل مـن أجـل رفـع مسـتوى ثقافـة الأسـرة جميعـاً، وعددها ثماني وخمسون اسطوانة دي في دي"[٢].

بلغت عدد حلقات هذا البرنـامج (٤٠٠) حلقـة، كانـت تُبـث أسـبوعياً كـل يـوم ثلاثــاء السـاعة التاسـعة مسـاءً، استمر عرضـها عرضـاً متواصـلاً أكثـر مـن (١٥) عامـاً، توقف بثها لظروف مثل حـرب أكتـوبر وبعـض الأحـداث الداخلية، ومنع من عرض عدة حلقات.

زاد هـذا البرنـامج مـن توثيـق العلاقـة بـين الـدكتور ومحبيـه علـى مسـاحة الـوطن العربـي والعـالم، وكـان لأسلوب الـدكتور ولغتـه، وبسـاطة مظهـره دورٌ كبيـرٌ فـي اجتــذاب المُشـــاهد، كــذلك النبـــرة الإيمانيـــة الصـــوفية

---

(١) لقاء صحفي مع آدم مصطفى محمود، نشر على صفحات جريدة المصري اليوم، يوم ٢٤ مايو، ٢٠١١م.

(٢) مصطفى محمود سؤال الوجود: لوتس عبد الكريم، ص١٣٧.

الروحانية أدت إلى الإقبال غير المتوقع على البرنامج، ومن عوامل نجاح البرنامج، القدرات العلمية والمعرفة الواسعة للدكتور في مجال العلوم الطبيعية والعلمية، لدرجة أن إحدى المجلات ذات الصلة بمثل هذه الأعمال اختارت الدكتور مصطفى محمود ضمن أشهر (١٢٠) عالماً للقرن العشرين، وموسوعة برنامج العلم والإيمان تنقسم إلى خمس مجموعات، كل مجموعة تتناول موضوعات ذات صلة ببعضها[١].

لقد أجاد الدكتور مصطفى محمود في أداء دوره من خلال برنامج العلم والإيمان، كما أجاد من قبل من خلال مؤسساته الخيرية، وكما أجاد من خلال كتبه ومنشوراته.

---

[١] المصدر السابق: ص١٣٨.

المطلب الثاني

مؤلفاته

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً، ولا درهماً، إنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر"**[(١)].

يُعد الدكتور مصطفى محمود على مستوى الساحة العربية والإسلامية من المكثرين في الكتابة والتأليف، ومن الذين تتزين المكتبة العربية والإسلامية بكتبهم، بل يُعتبر الإنتاج الفكري لهذا الرجل من أكثر الإنتاج مبيعاً وانتشاراً، ومن أكثر الكتاب في إعادة طباعة كتبهم، حتى أننا نجد أن من كتبه ما زادت طباعتها على (١٥) طبعة، وقد أشادت به مجلة الفيصل واعتبرته علامة بارزة[(٢)].

من خلال متابعة ما تركه مصطفى محمود من تراث فكري وأدبي تجاوز التسعين كتاباً في شتى صنوف الكتابة، القصة والرواية والدراسة والبحث، والمقالة والمسرحية، "تقديراً لمكانه الموقور، فقد استحق الحصول على جائزة الدولة التشجيعية في عام ١٩٧٠م، وحصل على نيشان الفنون والآداب مرتين، أولاهما من

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه: كتاب (العلم)، باب (ما جاء في فضل الفقه على العبادة)، ح (٢٨٢٣)،١٥٣/٤، وقد صححه.

(٢) مجلة الفيصل السعودية: العدد ٣٢٦، أكتوبر، ٢٠٠٣، ص٢٢.

الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، والثانية من لاحقه الرئيس المرحوم أنور السادات"[١].

وحيـاة مصـطفى محمـود الإبداعيـة تنقسـم إلـى مرحلتين:

المرحلة الأولى تشمل النصف الأول من حياته من عام ١٩٥٠م، حتى عام ١٩٧٠م، ويغلب عليها الطابع الأدبي وتتمثل في إبداعاته الأدبية التي أصدرها، من قصة قصيرة ورواية ومسرحية وأدب رحلات وأدب خواطر، وإن تخللتها بعض المؤلفات التي يغلب عليها طابع الدراسات العلمية والفلسفية، ويُمكن حصر هذه الأعمال فيما يلي:

أولاً. القصص القصيرة: وتمثلت في المجموعات القصصية التالية:

١. أكل عيش (١٩٥٣-١٩٥٤م).

٢. عنبر ٧ (١٩٥٥-١٩٥٧م).

٣. شلة الأنس (١٩٦٢-١٩٦٤م).

٤. رائحة الدم (١٩٦٥-١٩٦٦م).

ثانياً. الروايات: وتمثلت في الروايات التالية:

---

[١] مصطفى محمود سؤال الوجود: لوتس عبد الكريم، ص٨٦.

١. المستحيل (١٩٦٤م).
٢. الأفيون (١٩٦٤م).
٣. العنكبوت (١٩٦٥م).
٤. الخروج من التابوت (١٩٦٥م).
٥. رجل تحت الصفر (١٩٦٦م).

ثالثاً. المسرحيات: وتمثلت في المسرحيات التالية:

١. الإسكندر الأكبر (١٩٦٣م).
٢. الزلزال (١٩٦٣م).
٣. غوما (١٩٦٨م).
٤. الشيطان يسكن بيتنا (١٩٧٣م).

رابعاً. أدب الرحلات: وتمثلت في الكتب التالية:

١. الغابة (رحلة إلى أفريقيا الاستوائية – ١٩٦٣م).
٢. مغامرات في الصحراء (رحلة إلى الصحراء الكبرى – ١٩٦٩م).
٣. المدينة أو حكايات مسافر (مجموعة سفريات إلى أوروبا بين عامي ١٩٥٦- ١٩٦٨م).

خامساً. المقالات الأدبية والوجدانية: وهي خواطره الأدبية وتأملاته الوجدانية والفكرية وتحليلاته وردوده على رسائل القراء العاطفية التي كان ينشرها في مجلة صباح الخير، وتتمثل في الكتب التالية:

١. في الحب والحياة (١٩٦١-١٩٦٦م).
٢. يوميات نصف الليل (١٩٦١-١٩٦٦م).
٣. اعترفوا لي (١٩٥٦-١٩٥٩م).
٤. ٥٥ مشكلة حب (١٩٦٠-١٩٦٦م).
٥. اعترافات عشاق (١٩٥٦-١٩٦٩م).

وقد تخللت هذه المرحلة من حياة مصطفى محمود الأدبية عدة مؤلفات تمثل الإرهاصات الأولى للجانب الفكري والتأملي والعلمي الذي سيتضح في النصف الثاني من حياته، وتمثل ذلك في المؤلفات التالية:

١. الله والإنسان (مجموعة مقالات كتبت عام ١٩٥٥م).
٢. إبليس (دراسة كتبت عام ١٩٥٧-١٩٥٨م).
٣. لغز الموت (دراسة كتبت عام ١٩٥٨-١٩٥٩م).

٤. لغز الحياة (دراسة كتبت عام ١٩٦٧م).

٥. الأحلام (دراسة كتبت عام ١٩٦١م).

٦. آينشتاين والنسبية (دراسة كتبت عام ١٩٦١م).[(١)]

من الملاحظ لهذا الإنتاج الغزير، والمتنوع للدكتور مصطفى محمود أنه لم يخل من الأفكار الفلسفية والرؤى الدينية، غير أنها تعبر عن موقف فكري للأديب الفنان الذي يُجسد لنا قصة الصراع بين العلم والدين، فيعارض الفهم الخاطئ للدين، ويؤكد على أن الفهم العلمي والمعرفة العلمية لا تناقض جوهر الدين الصحيح.[(٢)]

في هذه المرحلة الإبداعية حاول مصطفى محمود أن يخوض في القضايا الرئيسية للإنسان، مثل موقف الإنسان من الطبيعة، وموقفه من الله، وموقفه من الروح والجسد، إلا أنه يكتشف في كل مرة أن العلم لم يُقدم الحل النهائي لمشكلة الإنسان في هذا الوجود، فما زالت هناك مجهولات كبرى تواجه العقل الإنساني، هذه المجهولات حاول في النصف الثاني من عمره أن يبحث لها عن إجابات.[(٣)]

---

(١) انظر: مصطفى محمود مشوار العمر: محمد رضوان، ١٨-٢٠.

(٢) المصدر السابق: ص٢١.

(٣) المصدر السابق: ص٢٢.

والباحث إذ يقوم بتتبع ما كتبه مصطفى محمود فهذا ليس معناه الموافقة على ما ورد في هذه الكتب من أفكار وآراء، وليس من صميم عمل الباحث نقد كل ما كتب الرجل.

المرحلة الثانية من الحياة الإبداعية لمصطفى محمود ما بين عامي (١٩٧٠-٢٠٠٩م)، وهي ما يُسميها برحلة اليقين، وقد سبقت هذه المرحلة حينما قام بنشر كتابه (القرآن محاولة لفهم عصري)، عام ١٩٦٩م، وقد أثار هذا الكتاب جدلاً كبيراً في الساحة الفكرية والثقافية، قام بالرد عليه مجموعة من العلماء على رأسهم الشيخ عبد المتعال الجبري، وبنت الشاطئ، والشيخ مصطفى الحديدي الطير، بعد ذلك توالت كتاباته وأعماله الفكرية والتي خاض في غمارها القضايا الجدلية الشائكة متسلحاً بعمق إيمانه، وثبات يقينه بعد أن وصل إلى شاطئ الإيمان الصادق بعد رحلة مضنية في دروب الشك والتساؤل والحيرة والضياع.[1]

ومن ثمرة هذه المرحلة:

١. رحلتي من الشك إلى الإيمان (١٩٧٠م).
٢. الطريق إلى الكعبة (١٩٧١م).
٣. الله (١٩٧٢م).

---

(١) المصدر السابق: ص٢٧.

٤. التوراة (١٩٧١م).

٥. الشيطان يحكم (١٩٦٥-١٩٧٠م).

٦. رأيت الله (١٩٧٣م).

٧. الروح والجسد (١٩٧٣م).

٨. حوار مع صديقي الملحد (١٩٧٤م).

٩. الماركسية والإسلام (١٩٧٥م).

١٠. محمد صلى الله عليه وسلم (١٩٧٥م).

١١. السر الأعظم (١٩٧٥م).

١٢. الطوفان (١٩٧٦م).

١٣. الوجود والعدم (١٩٧٧م).

١٤. من أسرار القرآن (١٩٧٧م).

١٥. لماذا رفضت الماركسية (الثانية ١٩٧٦م).

١٦. نقطة الغليان (١٩٧٧م).

١٧. عصر القرود (١٩٧٧م).

١٨. القرآن كائن حي (١٩٧٨م).

ثم انهمرت مؤلفاته بعد ذلك، فكانت كالنهر الجاري المليء باللآلئ والكنوز، وهي كما يلي:

١٩. الإسلام في خندق (١٩٩٤م).

٢٠. زيارة للجنة والنار.

٢١. عظماء الدنيا وعظماء الآخرة. (الطبعة السادسة – ١٩٩٦م).

٢٢. علم نفس قرآني جديد (١٩٩٨م).

٢٣. الإسلام السياسي والمعركة القادمة (١٩٩٧م).

٢٤. المؤامرة الكبرى.

٢٥. عالم الأسرار.

٢٦. على حافة الانتحار (الخامسة ١٩٩٦م).

٢٧. أكذوبة اليسار الإسلامي (١٩٧٨م).

٢٨. نار تحت الرماد (٢٠٠٨م).

٢٩. أناشيد الإثم والبراءة (السابعة ١٩٩٩م).

٣٠. جهنم الصغرى (٢٠٠٥م).

٣١. من أمريكا إلى الشاطئ الآخر (٢٠٠٨م).

٣٢. أيها السادة اخلعوا الأقنعة.

٣٣. الإسلام، ما هو (٢٠٠٨م).

٣٤. هل هو عصر الجنون.

٣٥. وبدأ العد التنازلي (الخامسة ٢٠٠٢م).

٣٦. حقيقة البهائية (الثانية ١٩٩٢م).

٣٧. السؤال الحائر (٢٠٠٨م).

٣٨. سقوط اليسار (الثالثة ١٩٩٨م).

٣٩. قراءة للمستقبل (١٩٩٧م).

٤٠. السيرك السياسي (١٩٩٧م).

٤١. على خط النار (٢٠٠٠م).

٤٢. كلمة السر.

٤٣. الشفاعة (١٩٩٩م).

٤٤. الطريق إلى جهنم.

٤٥. الذين ضحكوا حتى البكاء (١٩٩٧م).

٤٦. المسيح الدجال (٢٠٠٤م).

٤٧. حياتي وفكري، آرائي ومواقفي.

٤٨. سواح في دنيا الله (٢٠٠٠م).

٤٩. إسرائيل البداية والنهاية.
٥٠. ماذا وراء بوابة الموت (١٩٩٩م).
٥١. الغد المشتعل (الثالثة ١٩٩٥م).
٥٢. تأملات في دنيا الله.
٥٣. المؤامرة الكبرى.
٥٤. إسرائيل النازية ولغة المحرقة (٢٠٠١م).
٥٥. على حافة الزلزال (٢٠٠٢م).

ومن خلال النظرة السريعة على مؤلفات المرحلة الثانية من حياة مصطفى محمود نجد أنها كانت تتمحور في "الدعوة إلى المواءمة بين الدين والعلم، أو بمعنى أدق أن العلم لا يناقض الدين، بل إن الإسلام في جوهره يدعو إلى العلم والتفكير والابتكار، بالإضافة إلى مواجهته غير المسبوقة للصهيونية.

والرد على الدعاوى التي تزعم أن هناك تعارضاً وتصادماً بين الدين والنظريات العلمية، ونحن في عصر المخترعات والمكتشفات العلمية الباهرة"(١).

لقد قام الدكتور مصطفى محمود من خلال كتبه "يكشف الضلال الذي بثه أدباء وعلماء الغرب في

(١) مصطفى محمود مشوار العمر: محمد رضوان، ص٢٨.

مؤلفاتهم، والذي انبهر به بعض المسلمين للأسف الشديد، مثل فكر سارتر وصموئيل بيكيت[١]، وكل منهما حائز على جائزة نوبل في الأدب، وهما من الملحدين المنكرين لوجود الله، وعالم النفس فرويد[٢]، الذي ما زالت نظرياته تدرس للطلبة في المدارس والجامعات، وداروين صاحب نظرية التطور، وامتد جهاد كاتبنا في كشف الحقائق أمام القارئ إلى تناول أكبر شاعر عربي هو المتنبي بالدراسة، وتنبيه القارئ إلى شخصية المتنبي الخافية على أكثر الناس، والذي ملأ الدنيا وشغل الناس، وتناول أيضاً الفن والشعر الحديث وأموراً كثيرة"[٣].

بعد هذا العرض لمجمل ما كتب الدكتور مصطفى محمود ما بين قصص وروايات ومسرحيات وأدب رحلات ومقالات تأملية ووجدانية، وكتب فكرية

---

[١] صمونيل بيكيت: (١٩٠٢ _ ١٩٨٩)، روائي ايرلندي، ولد في مدينة دبلن، من رواد الحركة التجريبية الأدبية في القرن العشرين، وكاتب مسرحي، وناقد و شاعر، اشتهر بالكتابة للمسرح العبثي، يغلب على كتاباته التشاؤم والكآبة والسواد، له كثير من المؤلفات، نال عام ١٩٦٩م جائزة نوبل للآداب. (ويكبيديا الموسوعة الحرة).

[٢] فرويد: (١٨٥٦_ ١٩٣٩ م) عالم نفسي نمساوي، مؤسس مدرسة التحليل النفسي، كان يعالج مرضاه بالمخدرات حتى أنه أخذ جرعة زائدة فأدت إلي موته، صاحب القول بعقدة أديب، له كتب كثيرة منها (تفسير الأحلام)، و(مدخل إلى التحليل النفسي)، وغيرها كثير. (الموسوعة العربية،١٢٩٧/٢) .

[٣] مصطفى محمود والتصوف: أحمد الجزار، ص٢٨.

ودراسات نقدية، بعد هذا التجوال تبدو للباحث مجموعة من الحقائق أجملها فيما يلي:

- أن مصطفى محمود يعتبر موسوعة أدبية وثقافية أثْرت بها المكتبة العربية إثراءً واضحاً.
- التحول الذي حدث للكاتب في منتصف حياته الإبداعية، كان تحولاً إيجابياً.
- كان جل اهتمام مصطفى محمود أن يوصل فكرة معينة للناس، وهي أنه لا صراع بين الدين والعلم، وأن الإسلام دين علم ومعرفة.
- يُؤخذ على مؤلفات مصطفى محمود أحياناً ضعف التأصيل الديني لبعض القضايا التي يطرحها، وهذا يرجع إلى أن الرجل ليس عالم دين أو شيخ أزهري، بل هو أديب ومفكر رغب في أن يخدم دينه ومجتمعه.
- سهولة أسلوب الكاتب وطريقته في طرح القضايا والقدرة على الإقناع، لعب دوراً كبيراً في نجاح الكاتب.
- التزامن في النجاح لما كان يكتب، ولبرنامجه التلفزيوني (**العلم والإيمان**)، زاد من التواصل بين الناس والرجل.
- ساعدته بعض الظروف السياسية، الأولى خلافاته مع عبد الناصر، والثانية صداقاته مع أنور السادات.

المطلب الثالث

منهجه في الكتابة والتأليف

يُعتبر مصطفى محمود من أكثر الكتاب والمؤلفين إنتاجاً وإبداعاً، من ناحية التنوع في الموضوعات المطروحة، ومن ناحية الكم الكبير الذي كتبه من الكتب والمؤلفات، فقد كتب في العديد من العلوم والموضوعات، وقد بلغت كتبه الـ (٩٨) كتاباً، ومقالاته بلغت المئات.

وقد تميزت كتابته بمميزات خاصة به ميّزته عن غيره من الكتاب المعاصرين له، ومن خلال دراستي لتراث الرجل توصلت لجملة من الأمور منها:

١. سهولة أسلوبه وقدرته على تطويع الكلمات مما جعل كتاباته تلقى رواجاً على جميع المستويات العمرية والمثقفين وغيرهم، ومثل هذه النوعية من الكتابة يكون تأثيرها واضحاً ومجدياً.

٢. بُعده وتجنبه لإثارة نقاط الخلاف خلال طرحه لأي قضية دينية أو فكرية، ومحاولته توصيل المعلومة للقارئ دون إرهاق ومتاهات الخلاف.

٣. تناوله للقضايا الملحة في حياة القارئ، بعيداً عن عالم الخيال والوهم الخادع، فهو يحرص على ما ينفع وهذا يتوافق مع توجيهات النبي عليه السلام.

٤. إعلاء قيمة العقل ومحاولة إقحامه في كل الأمور، وعدم التفريق فيما للعقل له علاقة وما لا علاقة للعقل فيه.

٥. أحياناً كثيرة يعيد تكرار الموضوع نفسه في أكثر من كتاب دون زيادة أو تغيير.

٦. طباعة كتبه طبعات عدة دون إضافة أو إعادة نظر أو تصحيح لما يلزم تصحيحه.

٧. يعاب عليه عدم توثيقه للمعلومة المنقولة من غيره، وبالتالي الصعوبة في الرجوع إلى مصادره الناقل عنها، بالإضافة إلى عدم إحالة الأقوال لأصحابها.

٨. عدم وجود ثبت بالمراجع التي استعان بها أثناء كتابته لموضوعاته.

المطلب الرابع

أقوال المعاصرين فيه

نادراً ما تنال شخصية عامة الاتفاق على الاحترام والتقدير كما نال مصطفى محمود من احترام وتقدير، مع الحق في الاختلاف معه، كان مصطفى محمود عَلماً من أعلام الفكر والأدب والصحافة والدعوة والأعمال الخيرية، التف من حوله كل من قرأوا له كتاباً أو شاهدوا له برنامجاً تليفزيونياً، أعجبوا به وأظهروا له أثناء حياته وبعد مماته، أظهروا له الحب والاحترام ورثوه بعد موته بأصدق الكلمات.

ولا ينقص من قدر الرجل بعض الأخطاء الاجتهادية التي وقع فيها، وكانت سبب خلافات كبيرة بينه وبين بعض العلماء في لحظة معينة.

أولاً. أقوال من مدحه: لقد مدحه معاصروه وقالوا فيه مقالة حق، سأقتصر على بعضهم:

١. قال عنه الشيخ نصر فريد واصل، مفتي الديار المصرية:

"الدكتور مصطفى محمود رجل علم وفضل ومشهود له بالفصاحة والفهم وسعة الاطلاع، والغيرة على الإسلام، فما أكثر المواقف التي أشهر قلمه فيها للدفاع عن الإسلام والمسلمين والذود عن حياض الدين، وكم

عمل على تنقية الشريعة الإسلامية من الشوائب التي علقت بها، وشهدت له المحافل التي صال فيها وجال دفاعاً عن الدين"[١].

٢. قال عنه الشيخ حسن مأمون، شيخ الأزهر الشريف:

"الكاتب عني بتمجيد العقل والعلم والحرية، وإظهار أثرها في تقدم الفرد والأمة، وهذه دعوة لا ننكرها عليه، ولا ينكرها الدين الإسلامي، وهو يدعو إلى تعاون السياسي اليقظ والمفكر الحر ورجل الدين العصري"[٢].

٣. قال عنه الكاتب والأديب كمال النجمي [٣]

"تحدثت إليه كثيراً، وناقشته مراراً، بحثت عن دوافعه وحوافزه إلى الكتابة عن الدين والتصوف لعلي أجد في هذه الدوافع الحوافز خبيئاً، أو أكشف وراءها دليلاً على التصنع والتلاعب بالكلام، ولما فاتني هذا المطلب منه صبرت حتى رأيته يواجه بزهده وتصوفه موقف اختبار أو موقف اختيار حاسم، فيكشف فيه الزاهد والمتصوف، وقد أثبت بالفعل لا بالقول إنه زاهد في كل مظاهر الدنيا

---

[١] دار الإفتاء المصرية: ١٩٩٩/٥/١٥م.

[٢] دار الإفتاء المصرية: فتوى رقم (١١١٦)، بتاريخ، ١٩٥٧م.

[٣] كمال محمد النجمي: (١٩٢٣-١٩٩٨م)، شاعر وصحفي مصري، تنقل في عدة بلدان، له كثير من الأعمال الشعرية والنثرية، فازت أعماله بأكثر من جائزة، من الشعراء الذي ذاعت شهرتهم لعذوبة شعرهم. (ويكبيديا الموسوعة الحرة).

التي رأينا بعض المفكرين وحملة الأقلام من أبناء جيلنا يسكرون بها حتى الثمالة"[1].

٤. ويقول الكاتب المتصوف أحمد كمال الجزار:

"مصطفى محمود أحد المبدعين، جهل حقيقته كل من كتبوا عنه، ولم يعرفوا السر الذي يكمن وراء بساطته وعفويته وسهولة فهم عبارته ومضمون أعماله الإبداعية، وحب الناس له، الصغير منهم والكبير، حتى أصبح قدوة لكثير من أولادنا وشبابنا الصادقين، ونجا من الفخ الذي ينصبه الشيطان لكل صاحب موهبة إبداعية"[2].

٥. قال عنه الشيخ الإمام محمد زكي إبراهيم[3]

"مصطفى محمود رجل ظلمه الأدباء لدينه، وظلمه العلماء لأدبه، وما يحسبونه عليه من أخطاء هي له وليست عليه" [4].

---

[1] مصطفى محمود مشوار العمر: محمد رضوان، ص١٠١.

[2] مصطفى محمود والتصوف: أحمد الجزار، ص٤١.

[3] محمد زكي إبراهيم: (١٩١٦-١٩٩٨م)، صوفي مصري، ولد في القاهرة، في بيت علم شرعي وتصوف، حفظ القرآن، وتخرج من الأزهر، برع في علوم القرآن وعلوم الحديث والفقه، اشتغل بالتدريس الجامعي، له كثير من الكتب والمؤلفات. (ويكيبيديا الموسوعة الحرة).

[4] مصطفى محمود والتصوف: أحمد الجزار، ص٦.

٦. قال عنه الكاتب ثروت أباظة:

"وجد الدكتور مصطفى محمود نفسه في النهج الذي انتهجه، ووجد الشباب فيه ضالتهم التي كانوا يتلمسون، فتوافق على يديه العلم الحديث والإيمان العميق، وقد توفرت عند الدكتور مصطفى كل الأدوات التي تمكنه من مخاطبة الشباب، فهو طبيب في دراسته، فنان في هوايته، صوفي في عقيدته، وبهذه المقومات جميعاً خاطب الشباب فأحبوا ما يكتب "[١].

٨. **قال عنه عمر بطيشة:**[٢] "هو أحد اثنين والثاني هو الشيخ الشعراوي، استطاعا النفاذ إلى كل عقل وقلب في هذا العصر، فمؤلفاته من أكثر الكتب توزيعاً، وأحاديثه يلتف حولها الصغير والكبير، والمتعلم وغير المتعلم، والمسلم وغير المسلم"[٣].

ثانياً. أقوال انتقده:

١. قال عنه الدكتور عبد المهدي عبد الهادي – من علماء الأزهر:

---

(١) مصطفى محمود مشوار العمر: محمد رضوان، ص١١٥.

(٢) عمر بطيشة: (١٩٤٣- م)، شاعر وإذاعي مصري، ولد في دمنهور، تخرج من جامعة الإسكندرية، كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية، له مجموعة من دواوين الشعر، وله برنامج إذاعي (شاهد على العصر)، نال عدة جوائز تقديرية. (ويكبيديا الموسوعة الحرة).

(٣) شاهد على العصر: عمر بطيش، أخبار اليوم، ١٩٨٤م، الأولى، ص٧٠.

إن مشكلة الدكتور مصطفى محمود وغيره من منكري الشفاعة والسنة أنهم يكتبون في غير تخصصهم، لهذا ليس عنده تصور لما يكتب فيه. [1]

٢. قال عنه الشيخ مصطفى الحديدي الطير:

أخرج الدكتور مصطفى محمود القرآن عن ظاهره في أمور خطيرة، وأن المخالفات التي جاءت في كتابه كانت ناشئة عن أن ما عالجه لم يكن واضح الصورة لديه "[2].

٣. قال عنه الدكتور حسن الحويني – من علماء الأزهر:

العجيب أنه نصب نفسه عالماً من علماء الدين وهو بعيد عن ذلك غاية البعد، يتشدق في جرأة يحسها المرء، ويلمسها في لهجته ووقع عبارته، فهو يلفق الأحاديث المختلفة في نص واحد، يستخف فيه بعقول العامة. [3]

٤. قال عنه عبد المتعال الجبري:

"سر الخطأ عدم ارتباطه بقواعد اللغة العربية في فهم القرآن، وعدم تعرف وجوه القراءات"[4]

---

[1] انظر: الرد على مصطفى محمود: عبد المهدي عبد الهادي – ص٢٤.
[2] انظر: اتجاه التفسير في العصر الحديث: مصطفى الحديدي الطير، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ١٩٧٤م، ص١٧١.
[3] الرد على مصطفى محمود : حسن الحويني – ص٩-١١.
[4] شطحات مصطفى محمود : عبد المتعال الجبري – ص٤٧.

الفصل الثاني

مصطفى محمود وموقفه من التيارات الفكرية المعاصرة

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: موقفه من اليهودية الصهيونية.

المبحث الثاني: موقفه من الماركسية.

المبحث الثالث: موقفه من الوجودية.

المبحث الرابع: موقفه من البهائية.

المبحث الخامس: موقفه من الداروينية.

المبحث السادس: رأيه في الحضارة الغربية المعاصرة.

المبحث الأول

موقف مصطفى محمود من اليهودية الصهيونية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف اليهودية الصهيونية.

المطلب الثاني: أهم أفكار اليهودية الصهيونية.

المطلب الثالث: موقف مصطفى محمود من اليهودية الصهيونية.

المطلب الأول

تعريف اليهودية الصهيونية

اليهودية الصهيونية مصطلح يتكون من لفظتين: اليهودية والصهيونية، ولكل لفظة تعريفها الخاص، وللمصطلح دلالاته عند الباحثين.

١. حقيقة اليهودية

تعددت تعريفات الباحثين لليهودية، كل حسب المنطلق الذي ينطلق منه، إن كان سياسياً أو دينياً أو عرقياً، ومن هذه التعريفات:

عرّفها عبد الوهاب الكيالي بأنها: "أقدم الأديان القائلة بالتوحيد، وهي مجموعة من الشرائع والآثار والعقائد الواردة في العهد القديم، أو في التوراة الذي أعاد جمع ما جاء في العهد القديم"[١].

وعرّفها دربالة بأنها: "ديانة العبرانيين المنحدرين من إبراهيم والمعروفين بالأسباط من بني إسرائيل، الذي أرسل الله إليهم موسى مؤيداً بالتوراة، وقد تكون نسبة إلى يهوذا أحد أبناء يعقوب، وعمت على الشعب على سبيل التغليب"[٢].

---

[١] موسوعة السياسة: عبد الوهاب الكيالي، ٤٤٦/٧.

[٢] موسوعة الفرق والأديان: إسلام دربالة، ٤٣٦.

واليهود يعيشون حالة من التناقض في تعريف اليهودي واليهودية، ما بين التعريف الديني والتعريف العلماني، حتى ما بين السفارديم[1] والأشكنازيم[2][3].

٢. حقيقة الصهيونية:

هي: "حركة دينية سياسية عنصرية متطرفة، ترمي إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين تحكم من خلالها العالم كله"[4].

وعرّفها الكيالي بأنها: "دعوة وحركة عنصرية دينية استيطانية إجلائية مرتبطة نشأة وواقعاً ومصيراً بالإمبريالية العالمية، تطالب بإعادة توطين اليهود وتجميعهم وإقامة دولة خاصة بهم في فلسطين"[5].

---

(١) السفارديم: كلمة تدل على اليهود الذين عاشوا في اسبانيا والبرتغال، ثم توسع المدلول لهذا المصطلح حتى شمل يهود المشرق، بعد طرد اليهود من اسبانيا انتقلوا إلى الدولة العثمانية وسكنوا في سالونيكا واتخذوها عاصمة لهم، كان لهم دور كبير في سقوط الدولة العثمانية وتسهيل الهجرة إلى فلسطين، لم تولهم الحركة الصهيونية اهتماماً كبيراً، وجودهم في الدولة الصهيونية غير مؤثر في سياسة الدولة. (الموسوعة المفصلة: ٧٤/٢).

(٢) الأشكنازيم: هم يهود فرنسا وألمانيا وبولندا، ويعتبروا المرجعية اليهودية وصاحبة التأثير والنفوذ، وبيدهم القرار السياسي، ينضم إليهم حسب التعريف الديني يهود روسيا والخزر وأمريكا وأكرانيا وأغلبهم يتكلم لغة الإيدش، الكثير من مشاهير اليهود من الاشكيناز. (الموسوعة المفصلة: ٧٨/٢).

(٣) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: عبد الوهاب المسيري، ١٤٠/٢.

(٤) الموسوعة المفصلة: حسن عبد الحفيظ أبو الخير، ٢٠٧/٢

(٥) الموسوعة السياسية: الكيالي، ٦٥٩/٣.

ولفظة الصهيونية مشتقة من لفظة "صهيون"، وهي رابية في أورشليم كان قد أقام عليها اليبوسيون[1] أبناء عمومة الكنعانيين[2] حصناً قبل ظهور بني إسرائيل بحوالي ألفي عام، ولذا تكون اللفظة كنعانية وليست عبرية يهودية.

والحركة الصهيونية في نشأتها قديمة، إلا أن ظهورها كحركة منظمة ذات فكر ورؤية سياسية فلسفية تزامن مع المؤتمر الصهيوني في مدينة بازل السويسرية سنة ١٨٩٧م، والذي قادها "ثيودور هرتزل"، والذي دعا إلى إقامة وطن لليهود[3].

مما تقدم نصل إلى أن اليهودية عقيدة دينية، والصهيونية حركة سياسية عنصرية متطرفة استغلت اليهودية لما وجدت فيها من المقومات المشتركة معها، لهذا نجد كثيراً من المفكرين اليهود وغير اليهود

---

(١) اليبوسيون: قبيلة كنعانية سكنت القدس قبل دخول بني إسرائيل إليها، هزمهم يوشع بن نون واحتل رجال يهوذا مدينتهم، وسكنوا المدينة مع اليهود، وعلى أرضهم أقام داود مدينته وبنى مسجده (الهيكل)، اشتهروا بالشدة والقوة والثبات، استعملهم سليمان عليه السلام بالسخرة في خدمته – (قاموس الكتاب المقدس، ص١٠٥٢).

(٢) الكنعانيون: سكان أرض فلسطين منذ القدم، يتصلون بسام بن نوح، ولغتهم لغة سامية، كانوا على صراع متواصل مع بني إسرائيل، حروب وغزوات، تذكرهم التوراة بالشر والقبح، يشكلون أشد أعداء اليهود، لهم آلهة كثيرة، منها بعل وعشتاروت وإيل – (قاموس الكتاب المقدس، ص٧٩٠).

(٣) انظر: الصهيونية بإيجاز: محمد با خريبة، مكتبة الخبر، الأولى، ٢٠٠١م، ص١٦.

يُحذرون من قيام هذا الترابط والتعاون ما بين اليهودية والصهيونية[(١)].

لهذا نجد الجمعية العامة للأمم المتحدة تصدر قرارها (٣٣٧٩) في نوفمبر سنة ١٩٧٥م، بأن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري، وطالب القرار جميع الدول الأعضاء بمحاربة الصهيونية لأنها تشكل خطراً على الأمن والسلم العالميين[(٢)].

وقد تشابهت أساليب اليهودية والصهيونية في الوصول إلى أغراضهم قديماً وحديثاً.

وللصهيونية نشاط سري وآخر علني، تعمل على اغتصاب الأراضي من أصحابها، والتغلغل داخل القوى السياسية الكبرى لتحقيق أطماعها[(٣)].

وعن التداخل بين اليهودية والصهيونية يقول الشيخ طنطاوي: "اليهودية والصهيونية في الحقيقة اسمان لمسمى واحد، إلا أنه جرت عادة بعض الباحثين أن يعبر عن الصهيونية بأنها الجانب السياسي أو الوجه القومي لليهودية، أو هي الجهاز التنفيذي لليهودية العالمية، التي تسعى إلى تدمير العالم، والتحكم في مصيره"[(٤)].

[(١)] انظر: أبحاث في اليهودية والصهيونية: أحمد سوسة، دار الأمل، الأردن، ٢٠٠٣م، ص١٨١.

[(٢)] انظر: الصهيونية بإيجاز: محمد با خريبة، ص٤٦.

[(٣)] اليهود الموسوعة المصورة: طارق السويدان، مكتبة الإبداع الفكري، الكويت، الأولى، ٢٠٠٦م، ص٢٣٦.

[(٤)] بنو إسرائيل: محمد سيد طنطاوي: دار الشروق، القاهرة، الأولى، ١٩٩٧م، ص٧١٧.

المطلب الثاني

أهم أفكار اليهودية الصهيونية، وأهدافها

تعتمد اليهودية الصهيونية في بنائها الفكري والعقائدي، وخططها على جملة من المراجع الثابتة عندهم، منها ما كان عقائدياً كالتوراة والتلمود، ومنها ما كان سياسياً تنظيمياً وهو بروتوكولات حكماء صهيون، وقبل الحديث عن أفكار اليهودية الصهيونية، أرغب ببيان أهم أهدافها، **والتي منها**:

١. الدعوة لكسب المؤيدين لها خصوصاً رجالات الفكر والسياسة والحكم.
٢. حمل اليهود على اعتناق الفكر الصهيوني والعمل على تحقيقه.
٣. إغراء الدول الكبرى بتوثيق علاقاتها باليهود، وربط مصالحهم بها.
٤. جعل العالم المسيحي تابعاً لليهود من خلال الصهيونية غير اليهودية.
٥. إقامة دولة لليهود في فلسطين يتجمع فيها يهود العالم[١].

---

(١) انظر: الصهيونية بإيجاز: محمد با خريبة، ص٤١.

وبناءً على هذه الأهداف نستطيع أن نستكشف **أهم أفكار اليهودية الصهيونية الحديثة**[1]:

١. رفض فكرة اندماج اليهود في المجتمعات التي يعيشون بين ظهرانيها.

٢. إنكار أحقية الشعب الفلسطيني في وطنه فلسطين.

٣. اعتبارها الصهيونية لجميع يهود العالم على أنهم أعضاء في جنسية واحدة وهي الجنسية الإسرائيلية.

٤. العمل بكل الوسائل لسيطرة اليهودية الصهيونية على العالم بأجمعه.

٥. إغراق غير اليهود بالرذائل والفتن السياسية، ونشر الحروب والمخدرات.

٦. استحلال كل الوسائل بغض النظر عن مشروعيتها أو عدم مشروعيتها للوصول إلى أهدافهم.

ويستطيع الباحث أن يتعرف على أفكار الصهيونية اليهودية وذلك من خلال مقررات مؤتمر بازل، والتي هي في نفس اللحظة أهداف الصهيونية، **ومنها**[2]:

١. العمل على استعمار فلسطين.

٢. تنظيم اليهودية العالمية وربطها بواسطة منظمات محلية ودولية.

٣. تقوية الشعور والوعي القومي اليهودي.

٤. اعتبار اللغة العبرية لغة رسمية للتخاطب فيما بين اليهود في جميع دول العالم.

---

(١) انظر: الموسوعة الفلسطينية: ٦٥/٣.

(٢) انظر: أبحاث في اليهودية والصهيونية، ص١٤٦.

ومن أهم أفكار اليهودية الصهيونية[1]:

١. اليهود هم العنصر الذي يجب أن يسود كل شعوب العالم.

٢. تسخير الحرية السياسية للسيطرة على الجماهير، وبالتالي على العالم.

٣. العمل على إنهاء سيطرة الدين ورجاله، وجعل السيطرة للمال والاقتصاد.

٤. استمداد فكرهم من كتبهم المقدسة، وخصوصاً بروتوكولات حكماء صهيون.

٥. خداع الجماهير بشعارات الحرية والمساواة والإخاء.

٦. السيطرة على زعامات العالم السياسية، والتحكم فيمن يصل إلى سدة الحكم.

٧. السيطرة على مراكز الإعلام: الصحافة والكتاب وغيرها، وحديثاً التلفاز والإذاعة والإنترنت.

٨. افتعال أزمات اقتصادية، وحروب محلية، وجعل العالم كله بحاجة لليهود.

٩. بعث النعرات العرقية والطائفية والدينية، ودعم الجميع ضد بعضه بعضاً.

١٠. العمل على تفكيك روح الأسرة، وإعلاء قيمة الفردية والذاتية.

---

[1] انظر: موسوعة الفرق والأديان: إسلام دربالة، ص٢٨٨.

وقد نجحت اليهودية الصهيونية للوصول إلى تحقيق أهدافها وذلك من خلال العمل المتواصل، وبشتى الوسائل التي تراها مناسبة، ومنها[١]:

١. إقامة الأحزاب اليهودية الصهيونية في كل مكان.

٢. رسم الخطط المستقبلية، والعمل على تنفيذها.

٣. تأسيس الصندوق القومي اليهودي لدعم الحركات اليهودية.

٤. إنشاء اتحادات للصهيونية في دول أوروبا.

٥. إنشاء مجموعة من الهيئات والمنظمات العالمية والدولية لنشر الفكر اليهودي الصهيوني والعمل على خدمة دولة إسرائيل.

٦. إنشاء دولة لليهود في فلسطين.

ومن أجل نجاح المخطط اليهودي الصهيوني اعتمد اليهود على مجموعة من المنظمات والجمعيات، العلنية منها والسرية، لتنفيذ مخططاتها، والوصول لغاياتها، **ومن هذه المنظمات والجمعيات**[٢]:

١. المحافل الماسونية: ومن خلال شعاراتها البراقة الخادعة "الحرية والإخاء والمساواة" تمكنت الماسونية من الوصول إلى أهم الشخصيات الحاكمة والمتنفذة، ومما ساعدها على ذلك انتشارها في أغلب بلاد العالم وتركيزها على فئات معينة في المجتمع.

---

[١] انظر: الجذور التاريخية للعنصرية الصهيونية، خالد القشطيني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الأولى، ١٩٨١م، ص١٣١.

[٢] انظر: الصهيونية بإيجاز، محمد با خريبة، ص٨٣.

٢. نوادي الروتاري : وهي محافل علنية اجتماعية وإنسانية، تعمل في ظاهرها على نشر روح الأخوة الإنسانية، وغيرها من الشعارات البراقة .

٣. وكان لهذه المحافل دوراً كبيراً في تجنيد الأعضاء للعمل لخدمة الصهيونية اليهودية.

٤. نوادي الليونز: وهي ذات صبغة اجتماعية تعاونية، تهتم بالأعمال الخيرية، وتركز في اختيار الشخصيات المنضمة إليها على أن يكونوا من أصحاب النفوذ الحكومي والسياسي والمالي والاجتماعي والعلمي والإعلامي، وهذه النوادي وسابقتها تنتشر كثيراً في العالم العربي والإسلامي.

٥. جماعة شهود يهوه: وهي جماعة تعاليمها خليط بين العهد الجديد والقديم، يهودية تخدم الصهيونية اليهودية علناً، وذلك من خلال نشر الأفكار التوراتية بين المسيحيين، وأكثر انتشارها في أمريكا وبعض البلدان الغربية.

أهم زعماء الحركة الصهيونية:

١. **ثيودور هرتزل:** ولد في بودابست بالمجر في أسرة يهودية ثرية، اشتغل بالصحافة، واستغلها لصالح قضيته استغلالاً كبيراً، لصالح حركته الصهيونية.

ركز في كتاباته على فكرة العداء للسامية، واضطهاد اليهود في العالم، دعا لإقامة وطن قومي لليهود ودعا العالم لمساعدتهم في ذلك.

أصدر كتابه (**الدولة اليهودية**) عام ١٨٩٤م، وفيه الدعوة لإقامة كيان لليهود تحت وصاية الدولة البريطانية، لقي الكتاب رواجاً كبيراً خصوصاً بين اليهود، مما جعله يشكل جماعة من الأنصار دفعه فيما بعد لعقد أول مؤتمر صهيوني عالمي في أغسطس ١٨٩٧م في بازل[١] بسويسرا.[٢]

تم انتخاب هرتزل رئيساً للحركة الصهيونية، ووضعوا مخططاً للمستقبل، وشكلوا في هذا المؤتمر ما سُمي بالوكالة اليهودية، بعدها بدأ هرتزل بالتحرك في دول العالم يدعو لأفكاره، زار تركيا والتقى بالخليفة العثماني عبد الحميد وعرض عليه المساعدات المالية مقابل الحصول على موطئ قدم لليهود في فلسطين، إلا أن كل ذلك فشل أمام رفض السلطان عبد الحميد، مما جعل هرتزل يتوجه إلى بريطانيا، وأثمرت جهوده فيما بعد بما سُمي بوعد بلفور.

من البلاد التي زارها مصر وفلسطين، وكان من المخططين لإنشاء مدينة تل الربيع.

مات سنة ١٩٠٤م، ودُفن بالمجر، ونقل رفاته إلى فلسطين سنة ١٩٤٩م.

---

(١) بازل: مركز صناعي ومالي تقع في الجزء الشمالي الغربي من سويسرا، تقع على نهر الراين، وهي من مدن أوروبا القديمة، ومن أكثر مدن سويسرا كثافة سكانية، مقر لكثير من المؤتمرات الدولية. (موسوعة المورد : البعلبكي، ٣٥/٢).

(٢) انظر: الجذور التاريخية للعنصرية الصهيونية، خالد القشطيني، ص ١٣٥.

لـم يحقـق هرتـزل كثيـراً مـن النجـاح للفكـرة الصـهيونية أثنـاء حياته، إلا أن من واصلوا الطريق من بعده فعلوا كل شيء[1].

٢. **حاييم وايزمـان:** (١٨٧٤-١٩٥٢م)، ولـد فـي ولايـة بنسك التابعـة لروسـيا البيضـاء، فـي أسـرة يهوديـة متدينـة وثريـة، تلقـى تعليمه في بلدته ثم انتقل إلى مدينة بنسك لدراسة الكيميـاء، بعدها انتقل إلى ألمانيا ونال درجة الدكتوراه في الكيمياء سنة ١٨٩٩م، عمل في التدريس الجامعي في سويسرا ثم انتقل إلى بريطانيا.

في بريطانيا جمع حولـه مجموعـة مـن الصـهاينة وكونـوا نـواة الحركة الصهيونية، وفـي المؤتمر الثاني للصـهيونية كـان لـه دورٌ بارزٌ، سافر بعدها لزيارة فلسطين، كانت له علاقات جيدة برجال السياسة في بريطانيا، مما كـان لـه الأثـر الكبيـر فـي صـدور وعد بلفور في نوفمبر عام ١٩١٧م.

بعدها انتخب رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية عام ١٩٢٠م، واستمر حتى ١٩٤٦م، لعب دوراً كبيراً في صدور قرار التقسيم ١٩٤٧م.

في سنة ١٩٤٨م انتخب وايزمـان رئيسـاً للمجلس الصـهيونـي الأعلـى، وفـي سنـة ١٩٤٩م انتخـب رئيسـاً لدولـة إسرائيل، كتـب سـيرة حياتــه فــي كتابــه (التجربــة والخطــأ)، كــان لمخترعاتــه واكتشافاته العلمية دورٌ كبيرٌ في المساومة لتأييد بريطانيا لليهود، فقد اكتشـف مـادة النيتروجليسرين شـديدة التفجير وقد اسـتعملتها بريطانيـا أثنـاء الحـرب العالميـة الأولـى، ويعتبر هذا الرجل من

---

[1] انظـر: فلسـطين: القضـية والشـعب والحضـارة: عجـاج نـويهض، دار الاستقلال للدراسات والنشر، بيروت، الأولى، ١٩٩١م، ص٣٣٨، والعقيدة اليهوديـة وخطرهـا علـى الإنسـانية: سـعد الـدين صـالح، دار الصـفا للطباعـة والنشر، القاهرة، الثانية، ١٩٩٠م، ص٧٩.

أخطر الرجال الذين لعبوا دوراً في قيام دولة إسرائيل، مات في فلسطين سنة ١٩٥٢م[١].

٣. **زئيف جابونسكي** : (١٨٨٠-١٩٤٠م)، ولد في أوكرانيا : انتقل إلى فيينا للدراسة، تركها فيا بعدها إلى تركيا للعمل في الصحافة، حتى أصبح سنة ١٩١٩م مسؤولاً عن الصحافة الصهيونية.

أسس الصندوق القومي اليهودي في عام ١٩٢١م انضم إلى اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية، أسس في باريس اتحاد الصهيونيين الإصلاحيين، اشتهر بالتطرف، وهو صاحب نظرية الجدار الحديدي التي تعتمد على تكبيد العدو خسائر كبيرة تجعله يستسلم أو يكون معتدلاً، كان من الدعاة إلى رفض فكرة التقسيم، وعدم الاكتفاء بفلسطين دولة لليهود، بل يضم إليها الأردن والصحراء السورية، من أكثر اليهود دعوة للقتل وارتكاب المجازر، جاء إلى فلسطين وشارك في الأعمال الإرهابية، حكم عليه بالسجن لمدة (١٥) عاماً سنة ١٨٢٠م، أفرج عنه في نفس السنة، تقرب إلى وايزمن مما جعل الأخير يضمه إلى الإدارة الصهيونية العامة، أنشأ في سنة ١٩٢٥م حزب الصهيونية التصحيحية مما جعل بريطانيا تمنعه من دخول فلسطين، هاجر إلى أمريكا، وهناك مات سنة ١٩٤٠م، نقل رفاته هو وزوجته إلى فلسطين سنة ١٩٦٤م، ودفن في مدافن مدينة القدس[٢].

---

(١) انظر: كيف يفكر زعماء الصهيونية: أمين هويدي، دار المعارف، القاهرة، الأولى، ١٩٨٦م، ص٢١٤، وموسوعة المورد، منير البعلبكي، ١٣٩/١٠.

(٢) انظر: انهيار إسرائيل من الداخل: عبد الوهاب المسيري، دار المعارف، القاهرة، الأولى، ٢٠٠٢م، ص٥٨.

المطلب الثالث

موقف مصطفى محمود من اليهودية الصهيونية

من خلال متابعة الباحث لما يكتبه الباحثون والصحفيون عن فلسطين والقضية الفلسطينية، وجد أن هناك قلة من الباحثين والكتاب من يواصل الكتابة حول هذه القضية دون كلل أو ملل، ومع تغير الظروف والمواقف.

ومن خلال متابعة الباحث وجد أن كاتباً من بين هؤلاء الكتاب الكثيرين على الساحة يُكثر من الكتابة وكأنها قضيته الشخصية، ومن هنا بدأ الباحث يهتم بما يكتب، يقرأ ويجمع ما يقع تحت يديه، كل ذلك من حقبة سبعينيات القرن الماضي، إنه الدكتور مصطفى محمود.

لم يحدث أن كتب كاتب عن القضية الفلسطينية ومن الزاوية الدينية والعقائدية والسياسية بحجم ما كتب مصطفى محمود، ولا حتى بالصدق الذي توفر عند الدكتور، أو التحليل الدقيق الذي يُحلل به الأحداث.

كَتب مصطفى محمود جملة من الكتب عن اليهود والصهيونية، وقضية فلسطين، وهي جمعها كتب مطبوعة ومتوسطة الحجم (٢٤/١٦)، **منها**:

١. إسرائيل البداية والنهاية: طبع عدة طبعات آخرها صدر عن مؤسسة أخبار اليوم سنة ٢٠٠٣م، وتبلغ صفحاته (١٩٨) صفحة.
٢. الغد المشتعل: طبع عدة طبعات عن دار المعارف المصرية، آخرها صدر عن مؤسسة أخبار اليوم سنة ١٩٩٥م، وتبلغ صفحاته (٢٠٥) صفحات.
٣. على حافة الانتحار. طبع عدة طبعات عن دار المعارف المصرية، آخرها صدر عن مؤسسة أخبار اليوم سنة ١٩٩٦م، وتبلغ صفحاته (١٧٤) صفحة.
٤. قراءة للمستقبل: طبع عدة طبعات عن دار المعارف المصرية، آخرها صدر عن مؤسسة أخبار اليوم سنة ١٩٩٧م، وتبلغ صفحاته (١٣٣) صفحة.
٥. إسرائيل النازية: طبع عدة طبعات عن دار المعارف المصرية، آخرها صدر عن مؤسسة أخبار اليوم سنة ٢٠٠١م، وتبلغ صفحاته (١٧٥) صفحة.
٦. على خط النار: طبع عدة طبعات عن دار المعارف المصرية، آخرها صدر عن مؤسسة أخبار اليوم سنة ٢٠٠٠م، وتبلغ صفحاته (١٥١) صفحة.
٧. وبدأ العد التنازلي: طبع عدة طبعات عن دار المعارف المصرية، آخرها الطبعة الخامسة صدرت سنة ٢٠٠٢م، وتبلغ صفحاته (١٤٧) صفحة.
٨. على حافة الزلزال: طبع عدة طبعات عن دار المعارف المصرية، آخرها صدر عن مؤسسة أخبار اليوم سنة ٢٠٠٢م، وتبلغ صفحاته (١٦١) صفحة.

٩. التوراة: طبع عدة طبعات عن دار المعارف المصرية، آخرها الطبعة الخامسة صدرت سنة ٢٠٠٦م، وتبلغ صفحاته (٩٦) صفحة.

١٠. السيرك السياسي: طبع عدة طبعات عن دار المعارف المصرية، آخرها صدر عن مؤسسة أخبار اليوم سنة ١٩٩٦م، وتبلغ صفحاته (١٣٥) صفحة.

١١. المؤامرة الكبرى: طبع عدة طبعات عن دار المعارف المصرية، آخرها صدر عن مؤسسة أخبار اليوم سنة ٢٠٠١م، وتبلغ صفحاته (١٨١) صفحة.

هذا غير عشرات المقالات في الصحف اليومية، والدورية؛ المصرية والعربية.

وبالتالي يكون مصطفى محمود قد وضع نفسه في مواجهة الفكر اليهودي الديني والسياسي، وفي مواجهة اغتصاب اليهود لفلسطين ومجازرها ضد الشعب الفلسطيني، وقد جر هذا الموقف العظيم للدكتور كثيراً من المشاكل عليه، من وقفه عن الكتابة أو إذاعة برنامجه "العلم والإيمان" من القنوات المصرية الحكومية، وقد بينت ذلك في الفصل الأول بشكل مفصل.

يخلص مصطفى محمود إلى أن اليهود والصهيونية هم وراء كل مصيبة سياسية ومالية وأخلاقية، وفتن بين الطوائف والأديان، وبالتالي واجب الدول والشعوب أن تحذر منهم، وأن لا تترك لهم الحرية ليفعلوا ما يرغبون

فعله، وإلا خربت الأوطان والديار، وزعزعت قيم الخير في نفوس الناس، واهتزت قيم الدين والعقيدة.

١. موقفه من التوراة:

يشكك مصطفى محمود في كون التوراة الموجودة بين أيدي اليهود اليوم هي التوراة المنزلة على موسى عليه السلام لما فيها من أفكار منحرفة، يقول: "القراءة المتأنية للتوراة المتداولة لا يخرج منها القارئ أنه أمام كتاب أوحى به الله، فالأنبياء الذين تعارفنا على إجلالهم واحترامهم نراهم في التوراة عصبة من الأشرار، سكيرين وزناة وكذابين ومخادعين وقتلة، وإله نراه يفعل الفعل ثم يندم عليه، ويختار رسوله ثم يكتشف أنه قد أخطأ الاختيار، وكأنه لا يدري من أمر نفسه شيئاً ولا يعرف ماذا يُخبئه الغيب.

ونرى الله في التوراة ينام ويستيقظ.

والرب في التوراة يخلق العالم في ستة أيام ثم يتعب ويحل عليه الإرهاق فيستريح، أما الأنبياء فقد قارفوا جميع الخطايا"[١].

"إن الخطر حقيقي، والعداوة حقيقية، هي في توراة هؤلاء الناس وعقائدهم وفي دمائهم، وإسرائيل دولة يهودية وليست دولة علمانية، إنها موعود التوراة بالنسبة لهؤلاء"[٢].

---

[١] التوراة: مصطفى محمود، دار المعارف، القاهرة، الأولى، ١٩٧١م، ص٨.

[٢] على حافة الانتحار: مصطفى محمود، ص٢٠.

٢. تحريف التوراة:

يحدثنا مصطفى محمود عن تحريف التوراة فيقول: "لا يحتاج من يريد إثبات التحريف والتفسير والتبدل في التوراة إلى أدلة من الخارج، فالتوراة ذاتها تعطيه المفتاح وتعطيه الأدلة على تحريفها بصريح آياته، إننا أمام نصوص لا يثق فيها أصحابها، ونحن لم نأتي بجديد، ولا نروج لشك مختلق، بل إن الشك قائم وموجود"(١).

هذا ما حدثنا عنه الدكتور مصطفى محمود وهو حديث لا يحتاج إلى تعليق، فإن الأساس الذي يقوم عليه دين اليهود أساس باطل، مكذوب، وبالتالي ما هم فيه باطل.

والقرآن يشهد على تحريفهم لكتابهم: (**أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**). (سورة البقرة: ٧٥)، وقوله تعالى: (**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمْ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**). (سورة البقرة :١٧٤).

---

(١) المصدر السابق: مصطفى محمود، ص٨١.

٣. الله كما تصوره التوراة:

يحدثنا مصطفى محمود عن انحراف تصور التوراة عن الله سبحانه وتعالى، فيقول: "الصورة التي صورتها التوراة لله صورة مليئة بالتشويش والتناقض وسوء الفهم في معظم صفحات الكتاب، إله ندمان يفعل الفعل ثم ما يلبث أن يدرك أنه أخطأ ويندم عليه ويرجع عنه، وهو الله مادي يفرح برائحة الشواء على المذابح ويدركه التعب، إذا اشتغل بعض الوقت فيحتاج إلى الراحة، وهو إله عنصري متحيز لا يعرف من مخلوقاته إلا بني إسرائيل، وهو يشرع الفضائل للتداول الداخلي بين أفراد هذه العشيرة الإسرائيلية[١] .

"فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه"[٢]، و**"كان كلام الرب إلى صموئيل قائلاً: ندمت على أني قد جعلت شاول ملكاً لأنه رجع من ورائي ولم يقم كلامي"**[٣] .

في حين يقول القرآن عن الله أعظم وصف:**(لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ)**.(سورة آل عمران ١٨١).

---

(١) المصدر السابق: مصطفى محمود، ص٣٥.

(٢) سفر الخروج: ١٤/٣٢

(٣) سفر صموئيل الأول: ١٠/١٥

٤. نظرة التوراة للملائكة:

يُبين مصطفى محمود أن حديث التوراة عن الملائكة هو من باب التجديف الذي لا يُراعي قيمة أو احتراماً، وبالتالي هو حديث افتراء وكذب، يقول: "ونأتي إلى الملائكة فنجد أن التوراة جدفت عليهم كما جدفت على الله وأكثر.

فنرى الملائكة الذين جاؤوا يبشرون إبراهيم بميلاد إسحاق يأكلون العجل المشوي واللبن والزبد الذي قدم لضيافتهم.

وهذا كلام غير ما يرويه القرآن عن هذه الزيارة، وكيف أن إبراهيم قدم العجل لضيوفه من الملائكة: **(فلما رأى أيديهم لا تمتد إليه فكرهم)**"[١].

ماذا تقول التوراة: "**وظهر له الرب عند بلوطات ممراً وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار، فرفع عينيه ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه، فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض، وقال : يا سيد إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك، ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة، فأخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم ثم تجتازون لأنكم قد مررتم على عبدكم، فقالوا : هكذا نفعل كما تكلّمت، ثم أخذ زبداً ولبناً والعجل الذي**

---

[١] على حافة الانتحار: مصطفى محمود، ص٤٥.

عمله ووضعها قدامهم وإذا كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة أكلوا" [1].

ولكن ما قول القرآن الحق في هذه المسألة: **(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ، إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلاماً قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ، فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ، فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ، فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ، فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ، قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ، قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ، قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ، لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ، مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ، فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الأَلِيمَ).** (سورة الذاريات: ٢٤-٣٧).

وصف التوراة لجبريل بأنه شيطان:

يحدثنا مصطفى محمود قائلاً: "الفرية الثانية نجدها في سفر الملوك الأول، إصحاح (٢٢)، حيث تدعي التوراة على الروح القدس أنه يملك أن يقوم بوظيفة الشيطان، فيرسله الله للتدليس على الأنبياء.

الروح القدس الذي وصفه الله بالروح الأمين يجعل من نفسه روح كذب، ويجعل منه الله روح كذب يدلس على الأنبياء، لماذا؟ وأين إبليس وأين دوره، وهو إمام

---

[1] سفر التكوين: ١٨/١-١٧

الغوايـة، أهنـاك أزمـة فـي الشـياطين والأرواح الشـريرة والجن والمردة وهواتف الضلال ورسل الغواية.

هذه مسألة يرفضها الذوق.

ومن وصفه الله بالروح الأمين يلزم لنـا أن ننزهـه عن أن يكون روحاً للكذب"[1].

ورد في سفر الملوك الأول: **"ثم خرج الروح ووقف أمـام الـرب وقـال أنـا أُغويـه وقـال لـه الـرب بمـاذا فقـال أخرج وأكون روح كذب في أفواه جميع أنبيائـه فقـال إنك تغويه وتقتدر فاخرج وأفعل هكذا"**[2].

لكـن مـاذا يقـول القـرآن الكـريم: **(وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ، يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)**. (سورة النحل: ٤٩-٥٠).

نظرة التوراة للأنبياء:

بين مصطفى محمود أن اليهود كانوا أقبح الأمم فـي معاملتهم مع الأنبيـاء قولاً وفعلاً، وأنـه لم يجد نبـي من قومه مثل ما وجد أنبياء بني إسرائيل من أقوامهم : "أمـا الأنبياء فهم كبش الفداء في التوراة، كلما اشتدت وطأة الاضطهاد على اليهود لم يجدوا أمامهم غير أنبيـائهم ينزلون فيهم قتلاً وتشريداً وتلطيخاً وتحريفاً وتزييفاً، لم ينجح واحد من الأنبياء الأول الأكابر من التلطيخ، فنوح يسكر حتى يفقد وعيه، ولوط يضاجع بناته وهو سكران،

---

[1] على حافة الانتحار: مصطفى محمود، ص٤٦.

[2] سفر الملوك الأول: ٢٢/٢٠-٢٢.

ويعقوب يسرق البركة والنبوة والأغنام والمواشي، ويهوذا يزني بامرأة ابنه، وداود يشتهي زوجة الضابط أوريا فيزني بها ويرسل زوجها للقتل ليتخلص منه، أما بيت داود النبي فهو أشبه ببيت عري، الأخ يغتصب الأخت والابن يضاجع زوجات أبيه في عين الشمس وأمام جميع إسرائيل، أما سليمان فيختم حياته المجيدة بعبادة الأصنام، وهارون يصنع العجل الذهب ويعبده، حتى موسى تقول التوراة أنه خان ربه ولم يقدسه لهذا يحرمه الرب من دخول الأرض الموعودة، ويموت في سيناء هو وهارون.

ولم يسلم واحد من الأنبياء الأول العظام الذين بنوا صرح الدولة اليهودية من التلطيخ، وكلها خطايا غليظة مما يُستنكر على الرجل العادي فما بال النبي"[١].

٦. اليهود وراء كل الفتن:

يرى مصطفى محمود أن اليهود على مدار تاريخهم كانوا وراء الفتن والحروب التي تحل بالشعوب وهم المروجون لها، والنافخون فيها: "التاريخ يعيد نفسه، والزمان قد استدار إلى حيث كان أيام البعثة المحمدية، حينما راح يهود الجزيرة يؤلبون الأحزاب ليجتمع عسكرهم في حملة واحدة تنقض على المسلمين لتقضي على الإسلام في مهده.

---

[١] على حافة الانتحار: مصطفى محمود، ص٤٧.

وها هم يهود اليوم يفعلون نفس الشيء، يؤلبون العالم كله في حملة دعائية منظمة لإدانة الإسلام واتهامه تحت مسمى الأصولية ثم يحركون دول حلف الأطلنطي نفسه ليصدر تصريحاً هو أقرب للتهديد لكل ما هو أصولي إسلامي، والتخطيط والتحضير مستمر، والنشاط وراء كواليس السياسة على أشدّه"[1].

٧. استغلال اليهود للمال:

قصة اليهود مع المال قصة مشهورة ومعروفة للجميع: "اليهود نبغوا في جمع المال، ونبغوا في فنون الاستغلال، وهم الذين قننوا الاستغلال، وجعلوا له شرعية وأشكالاً قانونية ومؤسسات، وذلك عن إدراك عميق بأن المال هو السبيل إلى القوة والهيمنة، وأن المال يمكن أن يشتري الذمم ويشتري الولاء ويشتري السلطة، والسلطة كانت دائماً هدفهم بحكم كونهم أقلية مضطهدة"[2].

ثم يقول: "وهي تدفع بأموالها ومخابراتها لتأجيج هذا الغليان السياسي لتعجل بالانهيار الذي ترتجيه، والتفكك العربي والأضغان التي تحملها الدول العربية بعضها لبعض، تقدم جميعها مناخاً مواتياً لتلك الفتن، بل إنها تنفق عليها وتسلحها"[3].

---

(١) الغد المشتعل: مصطفى محمود، ص١٥٢.

(٢) المصدر السابق: مصطفى محمود، ص١٨٩.

(٣) الإسلام السياسي: مصطفى محمود، ص٢٧.

٨. موقف مصطفى محمود من الصهيونية:

يُعرف مصطفى محمود الصهيونية بأنها: "هي التنظيم السياسي الدموي وراء هذا الهرم الخفي من الشخوص المتسللة التي تحرك خيوط الحوادث.

وقد ظلت تعمل ببطء ومثابرة وخفاء حتى صنعت إسرائيل، ثم أدخلت في وهم أمريكا أن حياة أمريكا هي في حياة إسرائيل، وقوتها في قوة إسرائيل، ومصالحها في مصالح إسرائيل، وأن إسرائيل هي الولاية الأمريكية الخمسون في الشرق الأوسط"(١).

لهذا نجد الدكتور يكشف عن غايات الصهيونية ويتخذ منها موقفا في غاية الوضوح والصراحة: "أنا ضد الصهيونية لأنها مبدأ عدواني توسعي يقوم على مزاعم كاذبة وصك ملكية توراتي مزيف يهدف إلى إقامة إسرائيل كبرى على أشلاء دول عربية لها وجود وحرمة ومصداقية في هيئة الأمم المتحدة.

والعجيب أن الصهاينة الكبار الذين أسسوا المذهب والذين يلوحون بهذا الصك التوراتي لا يؤمنون بالتوراة، ولا بموسى ولا برب موسى، بل هم ملاحدة لا يؤمنون ببعث ولا بآخرة، وقد أعلنوا إلحادهم، مثل ثيودور هرتزل، وبن جوريون، وإنما سياسيون أصحاب فلسفات سياسية وأطماع توسعية ومفكرون أصحاب نظريات مثل ماركس وإنجلز ولينين.

---

(١) الغد المشتعل: مصطفى محمود، ص١٨٩.

وللصهيونية صحف وكتب ومنظمات ضغط بلا عدد في الكونجرس وفي دور النشر، وفي وزارات الإعلام وفي شركات التليفزيون والسينما والمسرح وفي كل منافذ صنع القرار.

والصهيونية إخطبوط سرطاني منتشر لا يسلم موقع من امتداد ذراع من أذرعته الملتفة لتحيط به وتسيطر عليه وتتحكم في أهله"[١].

ومن وجهة نظر الدكتور فإن لليهود الصهاينة دوراً خطيراً على مدار تاريخها الطويل: "أما الأصولية الصهيونية فكانت أم الفتن، وكانت تآمراً تاريخياً مبيتاً وكانت الورقة التي وضعها ثيودور هرتزل أمام عيون حكام أوروبا أن تأسيس دولة إسرائيل سوف يكون فيه تحقيق لمصالح دول أوروبا كلها وأن إسرائيل ستكون الحصن المتقدم للحضارة الغربية في مواجهة البربرية الشرقية"[٢].

٩. وسائل الصهيونية للوصول إلى أهدافها:

يستمر مصطفى محمود في كشف خفايا الصهيونية مبيناً أنها تستغل وتستخدم في طريق تنفيذ مخططاتها كل ما تستطيع من وسائل: "وصلت إلى ذلك بامتلاك

---

(١) على خط النار: مصطفى محمود، ص٥٦.

(٢) الإسلام السياسي: مصطفى محمود، ص٧٢.

"الميديا"[١] جميعها، الصحف والإذاعة والتلفزيون ودور النشر والأقمار الفضائية والسينما والمسرح والكتاب، وبالتالي الرأي العام في كل مكان تلونه كما تشاء، فضلاً عن امتلاكها المسبق للبورصات والبنوك ومؤسسات المال ثم امتلاكها للتنظيمات الأخرى الخفية تحت الأرض، المافيا وصالات القمار وبيوت الدعارة وعصابات المخدرات"[٢].

ثم يزيد مصطفى محمود الأمر توضيحاً : "والصهيونية هي قمة التسييس الديني الإجرامي للعالم، العالم كله، فقد أقامت لها سفارة في كل دولة وأقامت لها انتداباً في كل تشكيل عصابي وممثلاً في كل نظام مخابرات وعضواً في كل مؤسسة بنكية وفي كل بورصة، وتوكيلات في كبرى شركات الإنتاج السينمائي والمسرحي والتليفزيوني وفي دور النشر والصحافة وفي أكاديميات الفن والموضة وفي أروقة الكونجرس وفي كل شيء، إنها تنظيم أخطبوطي متسلل إلى كل بؤر التحكم وإلى كل سراديب صنع القرار، وكل تعديات إسرائيل تحظى بالضوء الأخضر من أمريكا الأب الروحي لإسرائيل"[٣].

---

[١] الميديا: (media) وسائل الإعلام. (قاموس المورد: انجليزي – عربي – منير البعلبكي – دار العلم للملايين – بيروت – الخامسة والعشرون – ١٩٩١م – ص ٥٦٧).

[٢] الغد المشتغل: مصطفى محمود، ص١٨٩.

[٣] الإسلام السياسي: مصطفى محمود، ص٧٢.

ثـم يكشـف لنــا مصـطفى محمـود حقيقــة الصــهيونية فيقول: "السيطرة والتحكم في مقدرات العالم هو هدف الصهيونية الحقيقي وليس صحيحاً أن هدف الصهيونية هو إنقاذ اليهود من الشتات أو جمعهم في وطن، وإنما الهدف هو التسلل إلى مقاعد الصدارة وقيادة العالم بالخداع والرشوة والغواية، وما حكايات موسى والتوراة والجنس المختار إلا وسائل للتغطية على هذا الطموح المجنون، فكل قادة الصهيونية ملاحدة لا دين لهم ولا إيمان وكل هدفهم الدنيا والفوز بها"[١].

وبالتالي "سوف تلجأ الصهيونية إلى وسائلها القديمة، وإشاعة الانحلال، ونشر المخدرات والجريمة والعنف والفيلم الهابط والفن الداعر والإعلام المخرب، وتهديد كل من يكتب في حرية بتهمة المعاداة للسامية والتشجيع على الإرهاب.

وسوف نرى مزيداً من الكتب التي تُعلي من شأن القيم الدنيوية وتكرّس المادية، وتروج للعلمانية وتشكك في الدين وتهزأ بالغيب، وسنرى نماذج من الحفاوة بأمثال سلمان رشدي[٢]، ونسرين تسليمة[٣]، ونصر أبو زيد[١]. [٢].

---

[١] على حافة الانتحار: مصطفى محمود، ص٦٧.

[٢] سلمان رشدي: (١٩٤٧-م)، كاتب انجليزي من أصل هندي، تخرج في جامعة كامبردج بريطانيا، صاحب كتاب آيات شيطانية، أثارت كتبه ضجة كبيرة حوله، اتهم على أثرها بالكفر والردة. (ويكيبيديا: الموسوعة الحرة).

[٣] نسرين تسليمه: (١٩٤٧- م)، طبيبة وكاتبة بنغالية، انتقدت الإسلام في كتاباتها، تقيم حالياً في فرنسا، من كتبها: العار ولا شيء و طفولتي وتلك

١٠. موقف مصطفى محمود من العنصرية اليهودية:

المتابع للفكر اليهودي، وحتى الدين اليهودي يرى فيه بوضوح بروز الجانب العنصري، لهذا نجد كاتبنا يتناول هذا الأمر بمزيد من التوضيح: "عقدة العنصرية وأوهام السيادة ومنهجية التفرد والتفوق في كل شيء عند اليهود، وقد صاحبتهم هذه العقدة بسبب العصبية والعزلة والحرص على عدم الاختلاط وعلى نقاء السلالة وعلى عدم التزاوج بالآخرين إلا لمصلحة ضرورية، ولهذا تصوروا أن الله هو رب خاص بهم، فهو إله بني إسرائيل ساهر على بني إسرائيل وحدهم.

وعنصريتهم وعصبيتهم ظلت تلازمهم، ولا يمكن أن تخرج من هذه العنصرية ومن تلك العصبية القبلية أي

الأيام السوداء وريح عاصف، أثارت كتبها ضجة كبيرة حولها، اتهمت على أثرها بالإلحاد، وصدر ضدها عدة أحكام وفتاوى. (ويكيبيديا: الموسوعة الحرة).

(١) نصر حامد أبو زيد: (١٩٤٣-٢٠١٠م)، أكاديمي مصري، ولد في طنطا، تخرج في جامعة القاهرة كلية الآداب قسم اللغة العربية، حاز على الدكتوراه من نفس الجامعة عام١٩٧٩م، عمل في التدريس الجامعي، له العديد من المؤلفات أثارت ضجة كبيرة حوله، اتهم على أثرها بالإلحاد والردة، ترك مصر إلى هولندا عمل هناك في محاضرا في جامعات هولندا، مات بعد عودته إلى مصر بإسبوعين، من كتبه: فلسفة التأويل، والتفكير في زمن التكفير. (ويكيبيديا: الموسوعة الحرة).

(٢) على حافة الانتحار: مصطفى محمود، ص١٤٢.

عالميـــة، أو أي رســـالة إنســـانية تـــدعو إلـــى خيـــر عـــام للكل"[١].

ونجـد الـدكتور يقـارن ويـربط فـي نفـس اللحظـة بـين النازيـة الصـهيونية وغيرها من أشكال النازيـة فالنازيـة والعنصـرية الإسـرائيلية هـي شـبيهة بالعنصـرية النازيـة "إن عقدة العنصرية اليهودية والسيادة والرياسة ما زالت تتحكم فـي كل تصرف تسلكه إسرائيل، إننـا أمام نازيـة جديـدة وجـنس مختـار مـن نـوع آخـر يريـد أن يسـود ويفرض شروطه"[٢].

١١. تعريف الإرهابي عند مصطفى محمود:

تناول مصطفى محمود القضية الفلسطينية كثيراً فـي كتبـه ومقالاتـه، وكـان دائمـاً يقـف مـع الحـق الفلسـطيني وخصوصـاً أنـه واكـب القضية منذ بداياتها، (أربعينيـات القـرن الماضـي)، فهـو أحـد الشـهود علـى الأحـداث، وبالتـالي يتصـف تحليلـه بالمصداقية: "اختلطـت الأوراق وأصبح السؤال الصعب والمحير، بل والمستحيل أحيانـاً، من هو الإرهـابي؟، ومن هو الظـالم ومن المظلـوم، من المعتدي ومن المعتدى عليه، من يرهب من؟، الفلسطيني الـذي سُـرقت أرضـه ونُسفت بيوتـه ودُمـرت ممتلكاتـه، حتـى شربة المـاء مد اليهـود الأنابيب من تحت الضفة (الغربية)، وسحبوها وعبأووها فـي زجاجـات، وباعوهـا

---

(١) المصدر السابق: مصطفى محمود، ص١٢٢.

(٢) المصدر السابق: مصطفى محمود، ص١٢٧.

لـه وهـو صـاحبها، ثـم طـردوه واعتقلـوه وألقـوا بـه فـي السجون، حتى إذا ضاقت به الدنيا ولـم يجد سوى جسده يُفجره في وجه السجان، قالوا هو إرهابي مجرم أثيم، ومـا الاستشـهاد إلا الإرهـاب الإسـلامي بعينـه، وهـم وحدهم الإسلاميون، هم الإرهابيون بعينهم، والسؤال، من كان يرهب الآخرين طول الوقت، ومن كان يملك طـائرات الـ إف ١٦، ومـن كـان يُمطـر الفلسـطينيين بالقذائف والمتفجرات من السماء، ومن كان يُسقي الآخر الذل والعذاب والعلقم والهوان، ومن كانوا يضعون الموت في عبوات من القنابل والصواريخ للآخرين"[١].

والمجال يطول مع أستاذنا مصطفى محمود، إلا أنني اكتفيت بما ذكرت من مواقف الكاتب ضد اليهودية الصهيونية العنصرية.

كان للدكتور دور كبير في توضيح الخطر اليهودي، وكان هو وبعض إخوانه يؤدون دوراً كبيراً ضد حملات التطبيع التي تحاولها إسرائيل، لهذا لم يتركه اليهود، بل حرّضوا عليه الدولة والحكومة المصرية، لدرجة أن الجميع تجاهله في آخر سنوات عمره، ولم توله الدولة مع قيمته وقدره، لم توله أي اهتمام، ولما مات لم يحضر أي مسؤول تشييعه أو الصلاة عليه، رحمه الله.

---

[١] على حافة الزلزال: مصطفى محمود، ص٦٨.

المبحث الثاني

موقف مصطفى محمود من الشيوعية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الشيوعية.

المطلب الثاني: أهم أفكار الشيوعية.

المطلب الثالث: نقض مصطفى محمود للشيوعية.

المطلب الأول

تعريف الشيوعية

عرّفتها الموسوعة المفصلة بأنها: "مذهب فكري يقوم على الإلحاد، وأن المادة هي أساس كل شيء، ويفسر التاريخ بصراع الطبقات، وبالعامل الاقتصادي.

وهي تصور شامل للكون والحياة والإنسان والألوهية، وعن هذا التصور الشامل ينبثق المذهب الاقتصادي ثم هي من جهة أخرى مذهب اقتصادي واجتماعي وسياسي وفكري مترابط متشابك لا يمكن فصل بعض عن بعض"[1].

وعرّفها الكيالي: "مجموعة أفكار وعقائد ورؤى اشتراكية ثورية ماركسية تنادي بضرورة وحتمية إطاحة النظام الرأسمالي وإقامة مجتمع المساواة والعدل في إطار أممي مرتكز على الملكية العامة لوسائل الإنتاج وخال من التمييز الطبقي والاجتماعي، وبحيث تختفي الفروق والتفاوتات بين المدينة والريف وبين العمل الذهني والعمل اليدوي، وبين المرأة والرجل، ويتم إلغاء الدولة"[2].

---

(1) الموسوعة المفصلة: ٩٢٣/٢.

(2) الموسوعة السياسية: عبد الوهاب الكيالي، ٥٣٤/٣.

وأصحاب الفكر الشيوعي يُسمون نظريتهم العامة المادية الجدلية، ويسمون تفسيرهم للتاريخ: التفسير المادي للتاريخ.

ومن أقوالهم: لا إله والكون مادة، وحدة العالم تنحصر في ماديته، المادة سابقة في الوجود على الفكر، لم يكن هناك وقت لم تكن المادة موجودة فيه، وليس هناك وقت لا تكون المادة موجودة فيه، الإنسان نتاج المادة، الفكر نتاج الدماغ والدماغ مادة"[1].

وعرّف الميداني الشيوعية بأنها: "مذهب فلسفي مادي إلحادي غير أخلاقي، استبدادي، يرى أن المادة هي أصل وأساس كل شيء، ويفسر التاريخ تفسيراً مادياً يرجعه إلى العوامل الاقتصادية وصراع الطبقات"[2].

وقد تأثرت الشيوعية بكثير من الأفكار السابقة عليها، وعلى رأسها اليهودية والصهيونية، "فقد صدر من الأسبوع الأول للثورة الشيوعية قرار ذو شقين بحق اليهود:

● يعتبر عداء اليهود عداء للجنس السامي يعاقب عليه القانون.

● الاعتراف بحق اليهود في إنشاء وطن قومي في فلسطين.

---

(١) الموسوعة المفصلة: ٩٢٣/٢.

(٢) الكيد الأحمر: عبد الرحمن الميداني، دار القلم، دمشق، الأولى، ١٩٨٥م، ص٩.

كذلك تأثرت بمدرسة "هيجل" العقلية المثالية، ومدرسة "كونت" الحسية الوضعية، ومدرسة "نيورباخ" الإنسانية الطبيعية، ومدرسة "باكونين" صاحب المذهب الفوضوي المتخبّط"[1].

أبرز شخصيات الفكر الشيوعي:

من أهم وأبرز الشخصيات التي كان لها دوراً كبيراً في ظهور الفكر الشيوعي رجلان، أحدهما منظّر للفكر والآخر منفذ لهذا الفكر على أرض الواقع، الأول كارل ماركس، والثاني لينين.

١. كارل ماركس: (١٨١٨-١٨٨٣م)، عالم اقتصاد وفيلسوف ألماني.

ولد في مقاطعة الراين لأسرة يهودية، اعتنق والده المسيحية، ودرس ماركس القانون في جامعتي بون وبرلين، مال لدراسة الفلسفة، حصل على الدكتوراه في القانون، عمل في الصحافة، بعد زواجه انتقل إلى باريس وعمل في الصحافة، إلا أنه لم يستمر فيها طويلاً، عكف على دراسة الاقتصاد، واتصل بالمفكرين الاشتراكيين، التقى عام ١٨٤٥م بإنجلز، انتقل بعدها إلى بروكسل وهناك تواصل مع صديقه إنجلز، كان له دور كبير في إنشاء اتحاد العمال الدولي.

---

[1] موسوعة الفرق والأديان: دربالة، ص٢٨٢.

كتب عدة مؤلفات منها: رأس المال، والصراع الطبقي في فرنسا، وبؤس الفلسفة، والمسألة اليهودية، وبيان الحزب الشيوعي.

اتصل ماركس بفيلسوف الصهيونية "موشيه هيس"، وتأثر به، من صفات ماركس أنه قصير النظر، متقلب المزاج، حاقد على المجتمع، مادي النزعة، كسول لا يحب العمل[1].

٢. لينين (فلاديمير بوليانوف): (١٨٧٠-١٩٢٤م)، مؤسس الاتحاد السوفييتي.

ولد في مدينة "سيميرسك" من مدن روسيا البيضاء، في أسرة متوسطة الحال، عاش حياة عادية، ظهر عليه الاجتهاد وحب العلم منذ صغره، درس القانون، تأثر بأخيه الأكبر الذي أعدم من قبل الدولة لاتهامه بمحاولة اغتيال القيصر، انضم إلى نادي ماركسي ودرس كتاب رأس المال الماركسي، انتقل إلى مدينة سانت بطرسبرغ وفيها انضم للثوار وكتب أول كتبه "من هم أصدقاء الشعب" عام ١٨٩٤م، اعتقل عدة مرات، أفرج عنه وسافر إلى سويسرا، وهناك انضم للثوار المنفيين.

بعد قيام ثورة ١٩١٧م عاد إلى روسيا، مات في يناير ١٩٢٤م.

وقد اشتهر لينين بقسوة القلب، الاستبداد بالرأي، الحقد على البشرية، قيل إن أصله يهودي، علاقاته باليهود

---

(١) انظر: الموسوعة المفصلة: ٢/٩٢٥.

كانت قوية لدرجة أن المكتب السياسي للثورة كان يتكون من سبعة أشخاص ستة منهم يهود، وهذا يدلل على العلاقة القوية ما بين الشيوعية واليهودية.

يعود الفضل لهذا الرجل في أن جعل للشيوعية دولة وكياناً، وجعلها قيد التنفيذ، جُمعت كتبه وخطبه ضمن مجموعة سمّيت مجموعة المؤلفات الكبرى[١].

(١) انظر: الموسوعة السياسية: الكيالي، ٦٠٣/٥، وموسوعة المورد: البعلبكي ١٠٦/٦، والموسوعة المفصّلة، ٩٢٥/٢.

المطلب الثاني

أهم أفكار الشيوعية

تعتمد النظرية الشيوعية على جملة من الأفكار التاريخية والفلسفية والاقتصادية.

أولاً: ففي الجانب الاقتصادي تقول الشيوعية بجملة من الأفكار، **منها:**

١. نظرية الفائض:

وخلاصتها أن الربح الذي يتبقى لصاحب المصنع أو المزرعة بعد إخراج نفقاته على الآلات والمواد وأجور العمال ليس من حق صاحب العمل، إنما هو من حق العمال، يقسم بينهم وبين صاحب العمل، لهذا يجب أن يكون العمال شركاء لصاحب العمل(١).

وهذه النظرية أقرب ما تكون للجانب العاطفي منها للنظرية الاقتصادية، فمن حق العمال المطالبة بزيادة الأجور وتحسين ظروفهم المادية، وليس من حقهم المطالبة بمشاركة صاحب العمل مكسبه وربحه.

٢. نظرية صراع الطبقات:

تركز الماركسية الشيوعية على فكرة الصراع ما بين العمال (البروليتاريا)، وأصحاب العمل (البرجوازية)،

---

(١) انظر: الشيوعية والشيوعيين في ميزان الإسلام: عبد الجليل شلبي، دار الشروق، القاهرة، الأولى، ١٩٧٦م، ص٨٠.

وفـي نـهايـة المطـاف لا بـد أن تستسـلم البرجوازيـة لتحـل محلهـم طبقـة العمـال وبالتـالي تختفـي طبقـة الإقطـاعيين، وهـذا الصـراع سـيولد لنـا طبقـة جديـدة وهـي أصـحاب المصانع والمزارع (الرأسماليين)[1].

٣. اختفاء الطبقة الوسطى:

وهـذا يكـون نتيجـة الصـراع الواقـع مـا بـين العمـال والمـزارعين وأصـحاب العمـل، فالنتيجـة لهـذا الصـراع اختفاء الطبقة الوسطى، لأن أفرادها إما أن يتحولـوا إلـى رأسماليين أو إلى طبقة الفقراء المعدمين، والنهاية يصبح المجتمع يتكون من طبقتين فقط العمال والرأسماليين.

وهذا الكلام هراء، يرده واقع الحياة فـي المجتمعات الزراعيـة والصـناعية، الأمـر الآخـر أن الطبقـة الوسـطى ليست فقط هي فئة العمـال والمـزارعين، بـل هـي متكونـة من شرائح مجتمعية أخرى[2].

٤. نظرية الشيوعية العامة (دكتاتورية العمال)

قـات، فالصـراع يستمر بين العمـال وأصـحاب العمل (الرأسماليين)، وحينهـا يسيطر العمـال فـي ثـورة عارمـة علـى المصـانع والمـزارع وتختفـي طبقـة الرأسـماليين، وبالتــالي تقــوم حكومــة البروليتاريــا (العمــال)، هــي الشــيوعية والتــي لا حاجــة فيهــا للحكومــة والقضــاء والشرطة.

---

[1] المصدر السابق: عبد الجليل شلبي، ص٨٢.

[2] حوار مع الشيوعيين: عبد الحليم خفاجي، دار الأنصار، القاهرة، الثانية، ١٩٧٧م، ص١٣٤.

فالناس يعيشون في ظلها في تعاون لا أغنياء ولا فقراء، بل مساواة كاملة[1].

هذه هي أهم المرتكزات الاقتصادية للنظرية الشيوعية، وهي أقرب للخرافة منها للمنهج العلمي، وقد تنبأت الماركسية بقيامها في المجتمع الإنجليزي، إلا أن الأحداث التاريخية جاءت بعكس ما أراد ماركس، فكان انتصار الشيوعية في روسيا المتخلفة، وقد أثبتت الأيام فشل هذه النظرية التي قامت على القتل والظلم والإجبار، فأدت إلى انهيار روسيا وعودتها لما كانت عليه دولة فقيرة متخلفة.

ثانياً: وفي الجانب الآخر تقوم النظرية الشيوعية الماركسية على فكر فلسفي جدلي متخلّف[2]:

١. نظرية المادية الجدلية:

وهي تصور عام للدين والحياة والإنسان تعتمد على أساس أن المادة هي أساس الوجود وأن كل ما في الكون ومن فيه منبثق عن المادة ومحكوم بقوانين المادة، ولا وجود له خارج نطاق المادة، كما يقوم هذا التصور من جهة أخرى على أساس وجود التناقض في طبيعة المادة ومن ثم في كل ما ينبثق عنها من مخلوقات ومن كيانات بما فيها ذلك الكيان الإنساني فهو كيان مادي من جهة ومحكوم بصراع المتناقضات من جهة أخرى.

---

(١) انظر: الشيوعية والشيوعيين: عبد الجليل شلبي، ص٨٣.
(٢) انظر: الموسوعة المفصلة، ص٢/٩٢٦.

تعتمد هذه النظرية على إلغاء الجانب الآخر للحياة من الغيبيات والروحانيات، وهذا مخالف لفطرة الإنسان، ثم من الذي قال أن المادة هي أساس وجود الحياة، فهذا قول بالغيب، لم يطلع عليه أحد من الناس، خصوصاً أن العلماء يقولون أنه لا يوجد شيء اسمه مادة، فكل شيء حي متحرك.

ماذا يتبقى للإنسان حينما نصف حياته بالمادة، وأنها هي المتحكمة والمحركة لحركته وحياته، وما المستفاد حينما نلغي الدين من حياة الإنسانية[١].

٢. نظرية المادية التاريخية:

"وهي محاولة لتفسير التاريخ البشري على أسس المادية، أي على أساس أن المادة أزلية أبدية، وأنها هي الخالقة لكل ما في الكون من مخلوقات، وأن الإنسان نتاج المادة، والفكر نتاج المادة، وأن قوانين المادة هي بذاتها التي تحكم حياة البشر الاجتماعية، ولأن المادة في حالة تطور فكذلك الفكر والمشاعر في حالة تطور بحكم ارتباطها بالمادة"[٢].

وللشيوعية مجموعة من الأفكار غير ما سبق ذكره، **منها:**

ا. **إنكار وجود الله تعالى وكل الغيبيات**: وذلك على أساس أن الحياة مادة، ومن هنا فإنهم يحاربون الدين ويعتبرونه وسيلة لتخدير الشعوب، وخادماً للرأسمالية

---

[١] انظر: حوار مع الشيوعيين: عبد الحليم خفاجي، ص٢٠٣.

[٢] الموسوعة المفصلة: ٩٢٦/٢.

والإمبريالية والاستغلال، مستثنين من ذلك الدين اليهودي، والسبب أن اليهود شعب مظلوم يحتاج للدين ليستعيد حقوقه المغتصبة.

ب. **محاربة الأسرة ككيان اجتماعي**: "فالأسرة كما تقرر الشيوعية هي مؤسسة برجوازية ومصلحة اقتصادية، نشأت من اعتماد المرأة في معيشتها وإعالتها على الرجل الذي يملك وسائل الإنتاج ويفرض على المرأة تبعاً لذلك أن تكون له وحده دون شريك"[(١)].

وقد دعت الشيوعية إلى مشاعية المرأة، فهي لجميع الرجال، والأولاد ملك للدولة تقوم على تربيتهم، وهذا ما صرح به مفكر الشيوعية إنجلز"[(٢)].

والشيوعية تحارب الأسرة لأنها حسب زعمها ترسخ قيم الملكية الفردية، وهذا ما لا تؤمن به الشيوعية، وهي أيضاً تقوم على ولاء الزوجة للزوج والأولاد للأب، والولاء يجب أن يكون للشيوعية وليس لغيرها.

والأسرة تربي أبناءها على الفضيلة والقيم الأخلاقية، وهذا ما لا ترغب فيه الشيوعية[(٣)].

---

(١) واقعنا المعاصر والغزو الفكري: صالح الرقب، ص٢٥٥.
(٢) انظر: أصل العائلة: إنجلز، ص٩٣.
(٣) انظر: واقعنا المعاصر: الرقب، ص٢٥٦.

يبقى السؤال المهم لماذا تحارب الشيوعية الدين؟[1].

١. يرى منظرو الشيوعية أن الإيمان بالدين ينقض فكرة المادة كأصل للحياة.

٢. وأن الدين يعتمد على الغيبيات، ومنها الإيمان بالله الخالق، وهم يقولون أن المادة هي الخالق.

٣. الدين في أساسه هو خرافة قديمة آمن بها الإنسان القديم حينما عجز عن مواجهة الطبيعة.

٤. الدين يرسخ قيم المذلة وقبول الظلم والاستسلام للأغنياء.

٥. الدين هو المنظومة الوحيدة القادرة على نقض الشيوعية، أما النظريات الفلسفية أو الاقتصادية فهي أعجز في المواجهة.

وهذا الذي تدعيه الشيوعية قد يكون بعضه صحيحاً حينما تكون المواجهة مع المسيحية أو اليهودية أو الأديان البدائية، أما في مواجهة الإسلام فهو كلام هراء.

وحينما قالت الشيوعية ما قالت، إنما من خلال تجربة قاسية مع الدين المسيحي الذي تحكم فيه رجال الكهنوت النصراني والكنيسة، أما الإسلام الذي يُعلي قيمة الفرد، ويضمن حريته، والذي يقيم شريعته على العدل والرحمة وكفالة حقوق الإنسان، والذي يرفض الظلم والاستغلال

---

[1] انظر: حوار مع الشيوعيين: عبد الحليم خفاجي، ص٣٧.

والاستبداد، والذي ينظر إلى الدين على أنه شيء فطري لا يمكن الاستغناء عنه لتسيير حياة الإنسان(١).

نهاية الشيوعية:

تابعنا وتابع العالم أجمع كيف انهارت المنظومة الشيوعية، وكيف تفككت مجموعة الدول التي كانت تشكل قصراً ما يُسمى بالاتحاد السوفييتي، وكان هذا الانهيار دون مواجهة عسكرية، أو مؤامرة خارجية.

فقد "انهارت الشيوعية في معاقلها بعد قرابة سبعين عاماً من قيام الحكم الشيوعي، وبعد أربعين عاماً من تطبيق أفكارها في أوروبا الشرقية، وأعلن كبار المسؤولين في الاتحاد السوفييتي قبل تفككه أن الكثير من المبادئ الماركسية لم تعد صالحة للبقاء، وليس بمقدورها أن تواجه مشاكل ومتطلبات العصر، مما تسبب في تخلف البلدان التي تطبق هذا النظام عن مثيلاتها الرأسمالية"(٢).

وسبب تراجع الشيوعية وعدم نجاحها يرجع إلى:

١. عدم واقعيتها.
٢. عدم القدرة على متابعة التطور الصناعي والعلمي وتدهور الوضع الاقتصادي.
٣. هدمها للقيم الاجتماعية مما سبب انتشار الحرمان والظلم.
٤. مصادمتها مع الفطرة ومحاربتها للدين.

---

(١) انظر: أفيون الشعوب: عباس العقاد، ص٥٠.

(٢) الموسوعة المفصلة ص٩٢٨.

٥. مصـادرتها للحريـة الخاصـة والعامـة، وبالتـالي تأخر الإبداع والعمل والإنتاج.
٦. الاستبداد والظلم الواقـع مـن الحـزب الشـيوعي، والطبقة الجديدة الحاكمة.
٧. حالة الفقر التي يعيشها المجتمع والفرد الشيوعي مقابـل الثـراء الـذي يعيشـه زميلـه فـي المجتمعـات الرأسمالية الأخرى[1].

السـؤال الحـائر: مـا مصـير الـذين قتلـوا وشـردوا وصدرت أموالهم وكُممت أفواههم؟

ما مصير المليارات من الدولارات التـي أنفقت علـى مشاريع وهمية خاسرة؟

ما مصير السنوات الطويلة من عمر هذه الشعوب؟

هـذا هـو فكـر الإنسـان، المنـاقض لمـنهج الله تعـالى، ولفطرة البشر.

علاقة الشيوعية بالصهيونية:

يحـدثنا التـاريخ أنـه قبـل قيـام الثـورة الاشـتراكية فـي روسيا كان هناك جماعات يهوديـة تـدعو إلـى الشـيوعية، وأن الماركسيين استفادوا منها كثيراً.

وأن الفكر الماركسي هو في أساسه فكر يهودي بحكم كون مـاركس مـن سلالة يهوديـة، وأعوانـه كـانوا يهـوداً، فالشيوعية في أصلها فكر يهودي بحت ولا يهدف اليهود من وراء الدعوة الماركسية إلى إصلاح ولا إلى مساواة،

---
[1] المصدر السابق: ص٩٢٨.

لأنهم هم كبار الرأسماليين في العالم، وإنما هدفهم التخريب والتحطيم للوصول إلى السيطرة على العالم.

والتاريخ يحدثنا أن الأحزاب الشيوعية في العالم العربي وخصوصاً مصر وسوريا والعراق وفلسطين من أنشأها هم اليهود والمال الذي يدعمها ويمولها مال يهودي.

لقد حكم روسيا بعد الثورة اليهود، والحزب الشيوعي الأمريكي أغلب زعماؤه من اليهود الصهاينة[1].

أين حكم الفكر الشيوعي؟

النـاظر للخريطة السياسية للعالم يجد أن الشيوعية تمركزت بشكل بارز في عدة دول، **منها:**

الاتحاد السوفييتي، والصين، وتشيكوسلوفاكيا، والمجر، وبلغاريا، وبولندا، وألمانيا الشرقية، ورومانيا، ويوغسلافيا، وألبانيا، وكوبا.

ومعلوم أن كثيراً من هذه الدول دخل تحت سيطرة الشيوعية بالقوة والقهر والانقلابات، وبالتالي لم يطل حكم الشيوعية في كثير منها، وما حدث في رومانيا وبولندا وألمانيا الشرقية وتشيكوسلوفاكيا دليل واضح على أن رغبة الشعوب في وادي وسيطرة الحكومات بالنار والحديد في وادي آخر[2].

أما الدول التي سارت في ركب الشيوعية حيناً من الزمن كمصر واليمن الجنوبي وليبيا وسوريا والعراق وكثير من دول أفريقيا وأمريكا الجنوبية، فإن الناظر إلى أوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية يرثي لحالها.

---

[1] انظر: الشيوعية والشيوعيين: عبد الجليل شلبي، ص٢٥٢.

[2] انظر: موسوعة الفرق والأديان: دربالة، ص٢٨٣.

المطلب الثالث

نقض مصطفى محمود للشيوعية والماركسية

واكب مصطفى محمود ظهور الشيوعية في العالم العربي منذ البدايات الأولى لظهور هذه الأحزاب في مصر والعالم العربي، وكان من ضمن ما قرأه في شبابه الماركسية والشيوعية، إلا أنه كما ذكرت سابقاً في الفصل الأول أن صاحبنا لم يقتنع بهذا الفكر، وبالتالي لم ينضو تحت أي حزب من الأحزاب الشيوعية.

"حينما بدأت أكتب في الخمسينات كانت الماركسية هي موضة الشباب الثائر في ذلك الوقت، وكنا نقرأ منشوراتها في نهم فتحرك مثالياتنا بما تعد به من فردوس أرضي وعدالة ورخاء وغذاء وكساء للعامل والفلاح، ومحاربة للإقطاع والاستغلال وتحرير للجماهير الكادحة.

وكانت موسكو تبدو لنا في ذلك الحين الكعبة الأم لهذا الدين الجديد الذي يشع بالخير والرفاهية لكل من يدور في فلكه.

وكانت أول صحوة لنا من ذلك الحلم حينما سافرنا إلى الخارج ورأينا الخراب والبؤس والوجوه الكئيبة

المتجهمة في المجر ورومانيا وألمانيا وكافة البلاد الشرقية التي تجري في هذا الفلك.

وبحثنا عن الرخاء والرفاهية والحرية والفردوس الأرضي فلم نجد له أثراً.

وكانت الصدمة الثانية الأعظم حينما فتح خرتشوف ملف ستالين وأعلن على رؤوس الأشهاد المظالم التي ارتكبها ستالين والملايين من العمال والفلاحين والمثقفين الذين قتلهم في السجون والمعتقلات وأعدمهم بالرشاشات وألقاهم للموت في جليد سيبيريا وأسلمهم لآلات التعذيب.

ويومها قالوا لنا إنه التطبيق.

الذنب في التطبيق السيء ولكن النظرية بريئة مبرأة من هذا كله.

واحتاج الأمر مني إلى سنوات من القراءة والدراسة والعكوف على المجلدات الأصلية للمذهب لكي أكتشف أن الفساد ليس في التطبيق ولكن الفساد في المذهب نفسه وأن تلك الأفكار الثورية لم تكن أكثر من تحشيد وتحريض ودفع لكتل الجماهير نحو ثأر تاريخي يخرج العالم من ظلم ليلقي به في ظلم أفدح وأشمل وأعم"(١).

ولما عمل في الصحافة وبدأ يكتب في قضايا مجتمعه كان من ضمن ما كتب مقالان تحت عنوان: سقوط اليسار، والخروج من مستنقع الاشتراكية، تسبب هذين

---

(١) لماذا رفضت الماركسية: مصطفى محمود، ص٧.

المقالين في منعه من الكتابة لمدة عام كامل بأمر مباشر من الرئيس جمال عبد الناصر[١].

فيما بعد كتب مصطفى محمود مجموعة من الكتب في مواجهته للماركسية والفكر الشيوعي، **منها:**

لماذا رفضت الماركسية، وأكذوبة اليسار الإسلامي، وسقوط اليسار، والماركسية والإسلام، هذه وغيرها كثير من المقالات.

حمل مصطفى محمود سيف القلم فكان حرباً لا هوادة فيها في مواجهة الفكر الماركسي الشيوعي، بل كان من وجهة نظر الماركسيين والشيوعيين أكثر عداءً من كثير من المؤسسات الدينية.

ويمكن رصد موقفه المعادي للشيوعية من خلال فهمه للعديد من القضايا، **والتي منها:**

١. موقف الماركسية من الدين:

يحدثنا كاتبنا عن عداء الشيوعية للدين فيقول: "تاريخ الشيوعية مع الدين تاريخ مثير يستحق التحليل والتأمل، فالمذهب الماركسي في أصل منهجه يرفض الدين والغيبيات، ولا يعترف بإرادة أو مشيئة خارجة عن الكون المادي".

ثم يتابع قوله: "بدأ تاريخ الشيوعية بالحملة على الدين، فهدم ستالين الكنائس واعتقل الرهبان وطارد القساوسة وألغى التعليم الديني من المدارس واستبدله

---

[١] مذكرات مصطفى محمود: سيد الحراني، الحلقة السادسة.

بتدريس الإلحاد وجعل من الإلحاد شرطاً أساسياً للعضوية في الحزب"[1].

والباحث يسأل وكيف كان حال الإسلام والمسلمين؟، إن ما فعلته الشيوعية في المسلمين في الدول ذات الأصول الإسلامية من قتل وتشريد ونقل قصري إلى أماكن أخرى وإغلاق للمساجد أو هدمها ومنع تداول القرآن، إغلاق المدارس والمعاهد والجامعات الإسلامية، أشر مما فعل بالنصارى وكنائسهم[2].

"لقد جعل ماركس القضاء على الأديان على رأس مخططه وبدأت الثورة البلشفية بهدم المساجد والكنائس وإحراق الأناجيل والمصاحف واعتقال رجال الدين وإلغاء التربية الدينية من المدارس وتدريس الإلحاد والماركسية كمادة إجبارية للأطفال والكبار"[3].

وكأن الماركسيين والشيوعيين استبدلوا ديناً أرضياً بالدين السماوي، فماذا إذن فعلوا وماذا غيروا، جعلوا ارتباط الإنسان بدل أن كان مع الله، مع السماء، جعلوه مربوطاً بالإنسان، وبالأرض، كأنهم استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير.

٢. علمية النظرية الماركسية:

تدعى الماركسية أنها نظرية علمية، هكذا يسمونها، لكن هل هي كذلك "ومن أكثر الأكاذيب شيوعاً، قولهم

---

(١) أكذوبة اليسار: مصطفى محمود، ص٧.

(٢) انظر: الشيوعية والشيوعيين: عبد الجليل شلبي، ص٢١.

(٣) لماذا رفضت الماركسية: مصطفى محمود، ص١٠.

الدائم الدائب بأن الماركسية علم، ودعواهم بأن كلامهم هو الكلام العلمي وفكرهم هو الفكر الموضوعي وإطلاقهم وصف الاشتراكية العلمية على مجموعة الأفكار الظنية والمنشورات التحريضية التي يروجونها.

ولم يكن كارل ماركس علمياً حينما انتقى من التاريخ بضع مراحل على هواه ولفق منها مذهباً طبقه اعتسافاً على التاريخ كله، وكان حاله حال اليهودي الآخر فرويد الذي أخذ من دفتر الهستيريا بضع حالات ولفق منها مذهباً في الغريزة الجنسية طبقه اعتسافاً على كل الأصحاء الأسوياء من البشر، فجعل من البشر مجموعة من القرود تلهو بأعضائها التناسلية في جبلاية، كما تصور شقيقه الآخر كارل ماركس عجلة التاريخ تحركها يد الصراع الطبقي.

وتعمد كارل ماركس إسقاط مراحل كاملة من التحول التاريخي لأنها ناقضت مذهبه، فهل كان علمياً في استقرائه"[1].

ثم يستطرد مبيناً بطلان القول بالحتمية التاريخية والحتمية العلمية، "وهذه الدعوى الزائفة للماركسيين بحتمية قوانينهم، وكأنها قوانين منزلة من اللوح المحفوظ هي دعوى أخرى غير علمية، فلا حتمية في الإنسانيات، وإنما هناك على الأكثر عناصر ترجيح وظن وتخمين واحتمالات متفاوتة"[2].

---

[1] أكذوبة اليسار الإسلامي: مصطفى محمود، ص٢٦.

[2] المصدر السابق: مصطفى محمود، ص٢٩.

ويستكمل مصطفى محمود قائلاً: "من أين جاءوا بأن المادة سبقت الفكر في هذا الكون، ومن كان منهم حاضراً في مبدأ الكون ليزعم أن شهادته علمية، إنهم ما قالوا ذلك إلا رجماً بالغيب، مع أنهم يصرخون بأنهم ضد غيب وغيبية، ثم إذا قالوا إن المادة قديمة وبأنها جاءت بلا خالق، ألا يسقطون بذلك قانون السببية، ويسقطون بالتبعية العلم كله الذي يقوم على السببية"[١].
(مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً). (سورة الكهف: ٥١).

٣. اليسار[٢] والأمة العربية:

المتابع للأحداث يرى أن اليساريين ممن حكموا البلاد العربية تحت شعار الوحدة والتقدمية والحرية والعلمية، أساء هؤلاء أكثر من غيرهم "لقد اتفق الكل على إزهاق أنفسنا وتشتيت شملنا، واختلفت أسلحتهم وأدواتهم من استعمار سافر يحتل الأرض إلى استعمار مذهبي يحتل

---

[١] المصدر السابق: مصطفى محمود، ص٢٩.

[٢] اليسار: من التعابير التي أصبحت مرتبطة بنظم الحكم والمذاهب والأحزاب السياسية المعاصرة، نفس الأمر بالنسبة لليمين، أول استعمالات هذا اللفظ كان مع مطالع العام (١٧٨٩م)، الذي مهد للثورة الفرنسية، فكان الأشراف يجلسون عن يمين منصة الشرف، وممثلو الشعب يجلسون عن اليسار، لهذا أصبح عرفاً أن يجلس ممثلو الأحزاب الراديكالية التقدمية على اليسار والمحافظون على اليمين، ثم توسع استعمال اللفظ بقيام الأحزاب السياسية. (الموسوعة السياسة: الكيالي – ٤١١/٧).

العقول، إلى استعمار اقتصادي ينهب الثروات، لم تشهد البلاد العربية في تاريخها فُرقة وانقساماً كما نرى حولنا اليوم، وقد أصبح العداء وتبادل الاتهامات هو تحية الصباح بين كل جارين، اليمن الجنوبية واليمن الشمالية، عدن والسعودية، الكويت والعراق، العراق وسوريا، سوريا ولبنان، مصر وليبيا، ليبيا والمغرب، المغرب والجزائر، وينطلق الرصاص على الحدود ويموت الإخوة بلا قضية، لأن أحدهما كان على اليسار والآخر على يمينه.

ولا نهاية لهذه الانقسامات فكل يسار على يساره يسار، وكل يمين على يمينه يمين، ولا يتكلم الرفاق ولا يتحاورون ولا يحاولون الوصول إلى تصفية فكرية، وإنما يتكلم الرصاص ليصل إلى تصفية شخصية"[١].

وعن طليعة الأحزاب الشيوعية يحدثنا مصطفى محمود: "الطليعة التقدمية التي قامت على أكتافها الحركة الشيوعية المصرية من كانوا؟ هنري كوربيل، روزيث كوربيل، مارسيل إسرائيل، هليل شفارنز، ديدار، روسانوا، إيميه مسيتون، ريمون اسطنبولي جوزيف هازان، شحاتة هارون، جوماتالون، جويس بلو، جاكوب كومب، وديمون أغبون، كلهم يهود.

تلك حقيقة حفظتها ذمة التاريخ، وما كان خالد محيي الدين وفؤاد مرسي وإسماعيل صبري الذين حكموا

---

[١] أكذوبة اليسار: مصطفى محمود، ص٥٠.

مصـــر أيـــام عبـــد الناصـــر إلا تلاميـــذ هـــؤلاء اليهـــود وتربيتهم"[١].

٤. سقوط الماركسية الشيوعية وانهيارها:

كـان انهيـار الشيوعية مـن أكبـر المفاجـآت فـي أواخـر القرن العشـرين، فكـان كالصـاعقة علـى كثيـر ممـن تغنـى بالماركسية والشيوعية في بلادنـا العربيـة "انهـزم الفكـر اليسـاري فـي جميـع معاقلـه، وخلـع الرفـاق شـاراتهم الحمـراء، وسـمعنا عـن زعمـاء شـيوعيين مثـل جـارودي خلعـوا الملـة الشـيوعية كلهـا ونبـذوها، وقبـل جـارودي مفكرون كبـار أمثـار ريتشـارد درايـت، وسـتيفن سبندرا، ولـويس فيشـر، واجنـاز يوسـيلوني واندريـه جيـد وآرثـر كسـلر، كـانوا ماركسـيين، ثـم نبـذوا الماركسـية وانقلبـوا ضـدها، بـل سـمعنا أصـواتاً مـن الصـين ذاتهـا تهـاجم ماركس والماركسية.

وهكـذا رأينـا غـروب الفكـر الماركسـي، ورأينـا أفـول المـذهب الـذي يـزعم أنـه سـوف يغيـر التـاريخ فغيـره التـاريخ، ولـم تعد لـه أرجـل يمشـي عليهـا ولا قـدرة ذاتيـة ينتشر بها، ولم تبق له وسيلة انتشار سوى القوة العسكرية السافرة"[٢].

ثم نجده يقول: "ولقد جاءت حركـة التـاريخ علـى عكس مـا تصـور كـارل مـاركس علـى طـول الخـط لتثبـت خطـأ المـنهج الـذي اسـتخدمه فـي جميـع تنبؤاتـه، فحـروب اليـوم

---

(١) وبدأ العد التنازلي: مصطفى محمود، ص٨٥.

(٢) المصدر السابق: مصطفى محمود، ص٨٤.

هي بين الشيوعيين أنفسهم والصراعات والعداوات تمزقهم فرقاً وطوائف، كل يسار يظهر على يساره يسار يحاربه، ولا نهاية للانقسامات التي أصبحت بعدد أهواء الناس ومطامعهم، والذي يبقى في كرسيه يبقى بالقمع والإرهاب وبسلطة أجهزة الزبانية التي يسمونها اليوم أجهزة الإعلام الشمولي التي تقوم بغسل مخ المواطن من كل شيء إلا ما يريده الحكام والحق ضائع في ضوضاء الإذاعات وجلبة الشعارات.

إن الماركسية لم تكن إلا مجموعة الذرائع التي تذرع بها الانقلابيون الجدد بدعوى التغيير ليصلوا إلى السلطة، ثم بعد السلطة لم يتغير شيء، خرجت طبقة وجاءت طبقة، وانتهى ظلم وبدأ ظلم أظلم، هذه المرة ظلم شمولي يجثم على الملايين بليله البهيم ولا أحد فيه يستطيع أن يصرخ"[١].

ويستمر كاتبنا في الحديث عن السقوط والانهيار: "دار الزمان دورته ولم يعد الشيوعي يستطيع أن يقول إنه تقدمي، وأن غيره من المذاهب رجعي، ولا عادت الماركسية تستطيع أن تدعي أنها الوعد المأمول بالرجاء لكل الشعوب، فأكثر الدول التي اختارت الماركسية أصبحت أسوأ فاترينة للمذهب، والواقع في كل مكان أصبح يقول شيئاً آخراً غير ما تقوله المنشورات، ومعظم

---

[١] نار تحت الرماد: مصطفى محمود، ص٣٥.

الشعارات التي عشنا على أوهامها في الخمسينات أصبحت أكاذيب.

ولقد ادعت الشيوعية منذ ميلادها أنها ستقوم بهذا الاندفاع العلمي والصناعي والتكنولوجي، ولكن خطواتها كانت قصيرة، ونفسها كان قصيراً، لأنها اندفعت من نقطة صراع ومن بداية قهرية قمعية، فما كادت تتقدم خطوات حتى توقفت، وما لبثت اليابان الرأسمالية وأمريكا الرأسمالية بل وحتى ألمانية الغربية المنهزمة في الحرب أن سبقتها وتقدمت عليها.

وتحولت روسيا إلى الطرف الرجعي والذي يستورد الخبرة والتكنولوجيا من بلاد الخصوم"[١].

٥. ماذا تبقى للشيوعية والماركسية؟

الحق أنه لم يبق لهم شيء، الشعارات التي خدعت الملايين من البسطاء، والآمال العريضة التي حلمت بها الملايين ذابت كما يذوب الجليد، "ومنظر الشيوعيين وهم يتسولون شعارات الانفتاح والديمقراطية والحرية الدينية، ويرفعون لافتات الاعتدال بحثاً عن أرض جديدة يقفون عليها بعد الخسف الأرضي الذي أصاب أفكارهم، هو منظر مأساوي، والراية الحمراء التي أصبحت الآن راية بمبية والمطرقة والسندان وهما ينزلان على رأس ماركس وأنجلز وليس على مخ الرأسمالية الغربية، أشبه بلوحة كاريكاتورية.

---

[١] السؤال الحائر: مصطفى محمود، ص٤٧.

والشيوعية كفكر الآن انتهت ولم يبق منها إلا القوة العسكرية تمارس عملها كدولة كبرى إمبريالية وليس كفكر أو فلسفة أو دعوة، والمثال أفغانستان.

ولم يبق للدول الصغرى التي تدور في فلك الإشتراكي ولا للأحزاب الأوروبية الشيوعية الصغيرة إلا دور العميل.

والفعل الذي تبقى لليسار في العالم هو إثارة الاضطرابات وتمويل الانقلابات ونشر الفتن ودفع عجلة الإرهاب في كل مكان دون فكر أو فلسفة، والمشهد تاريخياً هو مشهد غروب كامل للفكر الماركسي بعد ليل دامس حالك"[1].

وهكذا كان الدكتور مصطفى محمود قلم أزال الغشاوة عن هذا الفكر الفاسد، وكشف للمخدوعين الباطل والضلال والجهل والاستبداد الذي ينطوي عليه الفكر الشيوعي.

وضح كم هو مخالف للفطرة، متعارض مع العلم، يدعو إلى العنصرية والتخلّف، يستبدل ظلماً بظلم، وقهراً بقهر.

---

[1] سقوط اليسار: مصطفى محمود، ص٩٢.

المبحث الثالث

موقف مصطفى محمود من الوجودية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الفلسفة الوجودية.

المطلب الثاني: أهم أعلامها وأفكارها.

المطلــب الثالــث: رفــض مصــطفى محمــود للوجودية.

المطلب الأول

حقيقة الفلسفة الوجودية

تعددت تعريفات الباحثين للوجودية، والسبب أن كل باحث ينطلق في دراسته للوجودية من منطلق خاص به، مختلف عن غيره من الباحثين، "ليس ثمة شك في أن من أصعب الأمور التي يواجهها الباحث في الفلسفة الوجودية هي وضع تعريف لها، فلا أشق على المفكر من هذه المهمة الصعبة، ويرجع ذلك إلى ما اتسمت به الوجودية من اختلافات شاسعة بين مفكريها، اختلافات وصلت إلى حد التناقض الصارخ في كثير من الأحيان حتى أصبح من العسير أن نصنع تعريفاً جامعاً مانعاً لهذا النمط من التفكير يضم كل هذه الاختلافات تحت وحدة واحدة"[1]، **ومن التعاريف التي وجدتها للوجودية:**

عرّفها الدكتور محمد غيث بأنها : "حركة فلسفية حديثة، لها جذورها القديمة في تاريخ الفكر الإنساني، تنظر إلى حقيقة الكائن التي تتحدد عن طريق الوجود في

---

[1] مشكلة الحرية في الفلسفة الوجودية: سعد عبد العزيز صابر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م، ص٣٣.

مرحلة معينة وتتميز بالاستخفاف بالمجردات، وتقديس التجربة الإنسانية الفردية"[١].

وعرّفتها الموسوعة المفصلة بأنها: "اتجاه فلسفي أدبي إلحادي يغلو في قيمة الإنسان، ويبالغ في التأكيد على تفرده، وأنه صاحب تفكير وحرية وإرادة واختيار، ولا يحتاج إلى موجه، فهو يلغي رصيد الإنسانية من الأديان وقيمها الأخلاقية"[٢].

عرفتها الكاتبة الأمريكية مسز جرين بأنها: "جهد لإدراك الطبيعة الإنسانية في حدود إنسانية ودون اللجوء إلى ما هو فوق الإنسانية، أو إلى ما يمكن أن ندعوه ما تحت الإنسانية"[٣].

وهناك غير هذه التعريفات الكثيرة مما عزفنا عنه لعدم وضوح فكرته.

والوجودية كأي فلسفة إنسانية تأخذ قيمتها من صاحبها، اتجاهه، رؤيته، تأثيره، لهذا تعددت الرؤى والاتجاهات في الفلسفة الوجودية حتى وجدنا من الباحثين[٤]، من يقسم الوجودية إلى:

١. وجودية مؤمنة
٢. وجودية ملحدة.

---

(١) قاموس علم النفس: محمد عاطف غيث، الهيئة المصرية، العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩م، ص١٦٧.

(٢) مشكلة الحرية في الفلسفة الوجودية: سعد عبد العزيز صابر، ص٣٦.

(٣) المصدر السابق: سعد صابر، ص٣٧.

(٤) الدكتور محمد غلاب.

ولهذا نجد البعض يعتبر "أن الوجودية في أساسها مذهب محترم مقبول أو مذاهب محترمة مقبولة لا يستدعيها قيام المذاهب الهدامة التي تلغي وجود الفرد واستقلاله في غمار الجماعات التي ينتمي إليها، وإنما قامت الوجودية كأنها رد فعل لتلك المذاهب يحفظ للفرد كيانه واستقلاله ويعرفه بحقوقه وواجباته بين قومه وبين إخوته من بني الإنسان في جميع الأمم وجميع الحقب، ولكن هذه الوجودية قد تنحدر مع المنحدرين بطبائعهم حتى تصبح ضرباً من العدمية أو ضرباً من الإباحية التي لا تعترف بشيء غير شهوات الفرد ودوافع الأثرة والأنانية.

ومن الوجودية التي تستحق اسم العدمية تلك العقائد التي تنكر معنى الوجود وتقطع الوشائج العميقة بين وجود الإنسان ووجود هذه الأكوان في آزالها وآبارها التي لا حقيقة وراءها ولا معنى لكلمة العبث إن نسبت إليها"[١].

وهكذا يريد أن يقول لنا العقاد أن الوجودية مذهب منه ما هو مقبول نافع، ومنها ما هو مرفوض مردود، والفلسفة الوجودية هي فلسفة عن الذات أكثر منها فلسفة عن الموضوع، وتعد جملة من الاتجاهات والأفكار

---

[١] أفيون الشعوب: عباس العقاد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، الثانية، ص٧٩.

المتباينة التي تتعلق بالحياة والموت والمعاناة والألم، وليست نظرية فلسفية واضحة المعالم"[1].

نشأتها وظهورها:

ظهرت الفلسفة الوجودية بعد الحرب العالمية الثانية كرد فعل للآثار الخطيرة التي أحدثتها الحروب في أوروبا، والنتائج الضخمة التي أصابت الأسر والأمم بفقد زهرة شبابها وخيرة أبنائها، حتى لم يعد بيت في أوروبا بدون قتيل أو جريح، ومن ثم علت الصيحة إلى الفزع من الخطر الذي تفرضه أخطار السياسة وصراع الدول على المجتمعات الآمنة بما يهدد الحياة ويجعل أهلها يعيشون في خطر الحرب الدائم.

فلما أحس الناس بخطر الحرب تأكل الملايين ثارت في النفوس الرغبة إلى مزيد من الاندفاع نحو الترف والمتعة حيث لا توجد غاية واضحة للحياة إلا الرفاهية والحرية[2].

هذا بالإضافة إلى أنها ردة فعل على تسلط الكنيسة وتعسفها باسم الدين، مضافاً إليها تأثير العلمانية على روح المجتمعات الغربية.

أول ظهور للوجودية كان في ألمانيا ثم انتشرت بشكل كبير في فرنسا وبين شباب دول أوروبا على العموم.

---

(1) الموسوعة المفصلة: ٢/٩٠٤.

(2) الوجودية: أنور الجندي، دار الاعتصام، القاهرة ١٩٧٦م، ص٣.

المطلب الثاني

أهم أعلامها وأفكارها

كما ذكرت سابقاً إن للفلسفة الوجودية جناحين، أحدهما وجودية مؤمنة، والآخر وجودية ملحدة، والمقصود بالإيمان، الإيمان بالنصرانية وعقائدها، فلا ينسحب هذا على الإسلام إطلاقاً، حتى أننا نجد الباحثين العرب الذين يتحدثون عن الوجودية المؤمنة يتحدثون عنها من منطلق الإيمان الغربي المسيحي.

ويمثل الوجودية المؤمنة جملة من الفلاسفة منهم: سورين كيركجور، وجابرييل مارسيل، ولويس لافيل.

ويمثل الوجودية الملحدة جملة من الفلاسفة منهم: جان بول سارتر، وهيدجير، وسيمون دي بفوار.

أولاً: الوجودية المؤمنة:

سورين كيركجورد: (١٨١٣-١٨٥٥)، فيلسوف دانمركي

تلقى تعليمه اللاهوتي على المذهب البروتستانتي، حصل على الدكتوراه في فلسفة سقراط، عاش في بيت شديد التدين والصرامة، له عدة كتابات طابعها القلق واليأس والتهكم.

عارض في فلسفته الفلسفات الموجودة، وتبنى فلسفة خاصة تقوم على فكرة أن الذاتية هي الحقيقة الثابتة،

عارض الكنيسة واتهمها بأنها حولت الدين المسيحي إلى مذهب ومؤسسة الكهان فيها موظفون[1].

فلسفته: يرى كيركجورد أن الحقيقة ذاتية، أي منسوبة إلى ذات معتقدها، فالوجدان يخلق ما هو حق، وأن الحقيقة هي عمل الحرية، وبالتالي تكون أفعال الإنسان مدفوعة بالهوى، وأن نتائج الهوى هي الوحيدة الجديرة بأن تعتقد وبأن يعثر فيها على مسوغ، وهنا كان تأثيره كبيراً على سارتر فيما بعد.

وعن علاقة العقل بالعقيدة: يرى كيركجورد أن العقل مهم جداً خصوصاً في قضايا اللاهوت، وأنه يجب أن نستعمل العقل في كل أمر له علاقة بالإنسانية، وفيما يتعلق بقضايا الاعتقاد يعترف أن العقل يعجز كثيراً عن التعرف على خفاياها، لكن فيما دون ذلك يجب استخدام العقل دون انقطاع، وعن الأخلاق يقول إن العالم بلا أخلاق يصبح غير قابل للتعقل أو الحياة.

وعن العلاقة مع الله يقول إن الله فوق المقولات الأدبية البشرية والتعقيدات الفلسفية، وأن هناك من البشر من ظفر بالتعلق والوصول إلى الله، ليس عن طريق الاعتزال أو التمرد الفوضوي، ولكن عن طريق النقاء القلبي والشفافية الباطنية[2].

---

(1) موسوعة أعلام الفلسفة: روني إيلي إلفا، ٣١٢/٢.

(2) انظر: الوجودية المؤمنة والوجودية الملحدة: محمد غلاب، الدار القومية، القاهرة، الأولى، ١٩٦٦م، ص٤.

يُعتبر كيركجورد أبا الفلسفة الوجودية فقد تأثر به أساتذة الفلسفة الوجودية: كارل يسبرز، وهيدجر، وكما ذكرت سابقاً تأثر به أيضاً سارتر.

وغني عن القول أن كيركجورد يتدين على سنة في الدين غير سنة العرف المتفق عليه بين سواد الناس، لأنه يؤمن بأن حق الفرد في اختيار عقيدته أعظم من حق الكنيسة وحق الجماعة، ويؤمن بأن وجود الفرد وحدة غير قابلة للتكرار، وكل ما يستطيعه المؤمن للمؤمن أن يريه بالمثل المحسوس أن باب الاختيار مفتوح وأنه إما أن يختار وجوده بإلهام ضميره أو يضيع.

والذي نراه أن مكان كيركجورد بين كبار المتعبدين وذوي الشاعرية أصح وأدفق من مكانه بين كبار الفلاسفة، لأنه كان حساساً ثاقب الذكاء عميق الوجدان، ولم يكن من أصحاب العارضة القوية والفكر الواسع المحيط بآفاق القضايا العظمى[١].

ومن أكثر الأفكار تأثيراً لكيركجورد في الفلسفة الوجودية، وفيمن جاء من بعده:

● الدعوة إلى الإشادة بالفردية، وتقويم الشخصية الإنسانية، واحترام القيم الإنسانية الخالصة.

---

[١] انظر: أفيون الشعوب: العقاد، ص٨٥.

●العنايــة بتحليــل المعــاني الأساســية فــي الوجــود الإنساني، من قلق وخوف وخطيئة ويأس وفناء ووحدة فردية، وحرية أساسية لا سبيل إلى استلابها.

●تمجيده للوجدان والانفعال إلى جانب العقل، بل وفوق العقل، بوصف الوجدان أقدر على أن يحيا الحياة، من العقل الذي يتأمل الحياة من خارج ولا يعيشها من باطنها.

●فــي اتخــاذ التجــارب الحيــة موضــوعات للتفســير والتفلسف، بدلاً من الاقتصار على التصورات العقلية المجردة.

●في معاناة المشاكل من الداخل، بدلاً من معالجتها من الظاهر[1].

هذا هو الجانب المؤمن من الفلسفة الوجودية، وهي فلسفة اقتصر تأثيرها على قلة من الباحثين لا يعرفها أحــد مــن عامــة النــاس لا علــى المســتوى الغربــي أو العربــي، فقــد كــان التــأثير والانتشــار للفــرع الثــاني للوجوديــة وهــو الفــرع الملحــد الــذي كــان علــى رأس مفكريه جان بول سارتر فمن هو؟

---

(1) انظر: دراسات في الفلسفة الوجودية: عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت، الثالثة، ١٩٧٣م، ص٣١.

ثانياً: الوجودية الملحدة:

جان بول سارتر: (١٩٠٥-١٩٨٠) مفكر وأديب فرنسي، ولد في باريس وتلقى تعليمه فيها، وعمل مدرساً، شارك في الحرب ضد الألمان، وتم أسره، بعد أن أُطلق سراحه اشترك في مقاومة الاحتلال الألماني في عام ١٩٥٠م، أصدر مجلة العصور الحديثة التي نشر من خلالها أبحاثه ودراساته عن الوجودية، عُرف بميوله للصهيونية واليهودية، شارك في المظاهرات المؤيدة لليهود والكيان الصهيوني، زار الكيان الصهيوني ضمن جولة لدول المنطقة، أصدر عدداً خاصاً من مجلة العصور الحديثة عن الصراع العربي الصهيوني، أظهر فيه انحيازه لليهود، منحته الجامعة العبرية عام ١٩٧٩م الدكتوراه الفخرية.

له كثير من المؤلفات الأدبية والفلسفية والمسرحية، منها الغثيان، وسبل الحرية، والوجود والعدم، والذباب، استخدم الأدب لنشر أفكاره الوجودية الملحدة المسرفة في اللامعقول[١].

وتقترن الوجودية في أذهان عامة الناس باسم الفيلسوف والكاتب القصصي والمسرحي والناقد الفرنسي سارتر، والعلة في هذا الاقتران أنه قد أذاع هذه الفلسفة في مختلف الأوساط بعد أن كانت مقصورة على

---

[١] انظر: كشوف وزيوف: عبد الرحمن الميداني، دار القلم، دمشق، الثانية، ١٩٩١م، ص٣٥٩، والموسوعة السياسية: الكيالي، ٧٨/٣.

أهل الفلسفة فحسب، وعلة هذا الذيوع أنه أديب وناقد مسرحي.

ونصيب سارتر الحقيقي في تكوين المذهب الوجودي الفلسفي لا يتكافأ أبداً مع الشهرة التي نالها بوصفه من أعلام الوجودية[1].

ولقد تأثر سارتر كثيراً في فكره وفلسفته بالفيلسوف الألماني مارتن هيدجر، وخصوصاً في الجانب الإلحادي.

من الأفكار والمعتقدات التي روجها سارتر[2]:

- جعل الوجودية مذهباً إلحادياً، لا يؤمن بإله أو قيم دينية على الإطلاق.
- الإنسان هو الذي يخلق ماهيته، فالوجود عنده أسبق من الماهية.
- الإنسان هو الذي يصنع مقاييس الحق والخير والجمال، فهذه ليس لها مرجعيات غير الإنسان نفسه.

والملاحظ على هذا الفكر أنه اعتمد اعتماداً كلياً على نفي فكرة الدين والألوهية، فليس لهذا الكون الذي يعيش فيه خالق، لأن الوجود عنده أسبق على الماهية وهذا يتنافى مع أبسط بديهيات العقل والفطرة، وخالف فيها أيضاً ما قالت به الفلسفة على مدار تاريخها الطويل "وقد أجمع كثير من الفلاسفة على أن الصورة تسبق الوجود

---

(1) انظر: دراسات في الفلسفة الوجودية: عبد الرحمن بدوي، ص٢١٤.

(2) انظر: كشوف وزيوف: الميداني، ص٣٦٦.

وأن الوجود للشيء دليل على وجود مثالي تصوري له سابق عليه، واستدل كثير من الفلاسفة من ذلك على وجود الله إذ أن وجود الصورة نقيض وجود المصور لأنه هو الذي ينشئ الكائن على هذه الصورة التي وصفها[١].

ومعنى أن الإنسان هو الذي يضع مقاييس الحق والخير والجمال، معناه أن يكون لكل وجودي فيه قوانينه دون علاقة بالآخرين، وهذا مخالف لقيم الدين خصوصاً الإسلام الذي تقوم قيمه على التعاون وأنه فرد ضمن مجموعة، وأن الإنسان عليه التزامات تجاه الآخرين.

ومثل هذا القول يجعل من الأخلاق والقيم الجميلة تبعاً للهوى ونوازع النفوس، وهذا ما نجده وما نراه في حياة الإنسان العربي، لم يعد للقيم قيمة ولم يعد للفضائل وجود، ولم يعد للروابط الأسرية والمجتمعية اعتبار، "ليس غريباً أن يفرز مثل هذه السموم القواتل، وهو يهودي صهيوني، فهذه الأفكار وأشباهها قد عرفناها تماماً في المخططات اليهودية الرامية إلى تدمير البشرية من الأمم غير اليهودية، وقد رأينا آثارها عند كل صانعي الأفكار المدمرة من اليهود وأحزابهم ومنظماتهم"[٢].

---

[١] الوجودية والإسلام: محمد لبيب البوهي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٠م، ص٧.

[٢] كشوف وزيوف: الميداني، ص٣٧٥.

إن مصدر القيم عند سارتر الإنسان، ومصدر القيم عند المسلمين الإسلام ذاته (القرآن والسنة)، وهذا هو الفارق الرئيسي، ومن ثم فبقية الفروق تندرج تحته.

وسارتر يزعم أن الإنسان هو الذي خلق فكرة الله، لأن الإنسان له الحرية الكاملة في اختيار صفاته وتحقيق وجوده، وهذه الحرية غالية الثمن وصعبة في ممارستها، وتكلفه هموماً ومتاعب ومسؤولية، فالإنسان في طور من أطوار عجزه أراد أن يريح نفسه من أنه غير قادر على تحقيق رسالة فاعتنق فكرة وجود الله لينسب إليه أسباب فشله الذاتي، وعلى هذه الصورة يزعم سارتر أن الله غير موجود ولكن الإنسان هو الذي خلقه"[1].

حتى الحب، هذه المشاعر الطيبة والجميلة يعتبرها سارتر سقوط الذات لأنها سلمت مقودها إلى شيء ليس لها إرادة في اختياره، فالوجودية تعادي من يحاول أن يجذبها إلى نظم الحياة ويذيقها برد الراحة، بينما هي تريد أن تظل تضرب على غير هدى[2].

ومكمن الخطأ في فكر سارتر أنه يضع فروضاً ينسجها من بنات خياله، ثم يحاول أن يسقطها على الحياة والوجود ويتعامل معها بعد ذلك على أنها مسلّمات، فهو حينما ألقى بنفسه في طريق القلق والضياع، وعزل ما بينه وما بين فطرته، وأنكر الغيبيات، جعل من نفسه ريشة في مهب الريح، ونسي

---

(١) الإسلام والوجودية: البوهي، ص٦١.

(٢) انظر: المصدر السابق: البوهي، ص٦٧.

أن الإيمان بالله وما يتلوها من معتقدات هي الركيزة القوية في الأمن والسلام والحياة الطيبة[1]، ثم ينتهي الأمر بسارتر إلى أن يبقى "يتخبط حتى يضل وينتهي بالرد على نفسه بما لا يحوجنا إلى تعليق، فيقول إن الإنسان يستحيل عليه أن يحقق ذاته كما ينبغي فيظل هائماً وراء الوجود المثالي الذي يستحيل عليه تحقيقه وذلك هو سر قلقه.

فليظل هكذا ما دام كذلك قد وجد"[2].

أهم أفكار الفلسفة الوجودية:

كما ذكرت في المطلب الأول عن مدى صعوبة تحديد تعريف للوجودية، نفس الصعوبة تواجه الباحث عند تحديد أفكار للفكر الوجودي، يستطيع الباحث من خلالها يقول ويدّعي أن هذه هي معالم هذا الفكر، فقد تخبط فلاسفة الوجودية في آرائهم حتى وجدنا أن المفكرَيْن الاثنين منهم يتناقضان في الرأي حول القضية الواحدة، "ولا ريب أن الوجودية ظاهرة زمنية عابرة لم يلبث الإنسان أن يتخطّاها وهي كما يقول جاك بيرك : ليست روحاً وهي فلسفة عدمية سلبية من ألفها إلى يائها، تود أن تقتل في الإنسان التفكير وتشل القدرة على استعمال العقل والمنطق وتقول : إذا أردت خلاصاً فاقتل في

---

(1) مناهج البحث في العلوم الإنسانية: مصطفى حلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ٢٠٠٥م، ص٢٨٧.

(2) الوجودية والإسلام: البوهي، ص٦٧.

نفسك العقل والمنطق، هذا فضلاً عن إنكار الخالق والدين"[1].

والأفكار الوجودية هي أفكار شخصية، مستمدة من فكر أعلامها، وليس قواعد عامة كأي مذهب فكري أو فلسفي، إلا أن الباحثين بعد جهود كبيرة استطاعوا أن يجملوا لنا أهم أفكار هذه النزعة الإنسانية، **ومن هذه الأفكار**[2]:

١. كفرهم بالله ورسله وكتبه، وبالغيبيات وكل ما جاءت به الأديان.

٢. الإيمان بالوجود الإنساني، فهو المنطلق لكل فكر.

٣. وجود الإنسان سابق على ماهيته، وأنه أقدم شيء في الوجود وما قبله كان عدماً.

٤. القول بحرية الإنسان المطلقة، وله الحق أن يثبت وجوده كما يشاء ويهوى دون قيود.

٥. لا وجود لقيم ثابتة تضبط سلوك الإنسان، وإنما له أن يفعل ما يريد.

٦. سيطرة فكرة القلق واليأس والانطوائية على فكرهم.

٧. أدى هذا الفكر إلى شيوع الفوضى الخلقية الإباحية والتحلل والفساد.

٨. الوجودية تعني التمرد على الواقع والمجتمع.

---

(١) الوجودية: أنور الجندي، ص١٦.

(٢) انظر: الموسوعة المفصلة، ٩٠٤/٢.

٩. الاعتقاد بأن الدين والنظريات الفلسفية قديمها وحديثها لم تحل مشاكل الإنسان.

١٠. الوجودي الحق هو من لا يقبل توجيهاً من الخارج، وإنما يسير بنفسه حسب ما تملي عليه شهواته وغرائزه دون قيود أو حدود.

ومن خلال هذه الأفكار يصل بنا المطاف إلى أبرز نتائج الوجودية : القلق والتمزق والخوف من المجهول والرعب، "فقد عزلت الوجودية الإنسان عن كل ركيزة يمكن أن تحميه أو تطمئن نفسه أو تملأه بالثقة، هذه الركيزة لا تأتي إلا من مصدر واحد هو الدين، ومن ثم كان إنكار الدين منطلق للعدمية التي تفجر كل أنواع القلق والخوف والرعب، فنظرة الإسلام للإنسان هي نظرة التكامل بين رغائبه وأشواقه، بين المادة والروح، ولكن النظرة المادية الخالصة من شأنها أن تخلق طابع التشاؤم والشك الذي يحس معه الإنسان بأنه وحيد وشقي وغريب، وهذا معنى التمزق والضياع، أما حيث يحل في النفس الإيمان بالله فإنما يحل معه الثقة والتفاؤل، فالإيمان بالله قوة دافعة تعطي الأمل، وتحول دون اليأس وتبعث الثقة وتدعو إلى المعاودة في حالة الإخفاق"(١).

وإذا كانت الوجودية ليس لها لون خاص ولا قاعدة ولا توجيه ولا وصايا ولا حدود وإنما هي تختلف

(١) الوجودية: أنور الجندي، ١٦.

باختلاف مبدعيها، إلا أنها تكاد في كل صورها تجمع على شيئين هما أنه يجب نسف العقل والدين.

فالعقل عند الوجودية ليس ديموقراطياً، بل إنه أداة أرستقراطية مشحونة بأفكار سادة أرستقراطيين، هم الفلاسفة الذين عاشوا في أبراج عاجية لتغذية العقل بأفكار واتجاهات غير وجودية".

والدين عند الوجوديين خرافة يؤمن بها الإنسان الجهول ويتلقى منها أوامر ينسبها إلى واعظ غير موجود وغير مرئي يسميه الله، ثم يخر ذلك الإنسان في حماقته ساجداً في رهبة لذلك المجهول الذي خلقه خياله، وإذا كان الله موجوداً فإن الإنسان هو الذي خلقه"[1].

هذا ما يريد أن يوصلنا إليه الفكر الوجودي: القلق والضياع، والكفر والانحلال.

السؤال: ما المستفاد من ذلك ؟ هل هو خدمة اليهودية الصهيونية العالمية، أعتقد ذلك.

إن الوجودي يتساءل هذا السؤال الأساسي: بما أن الله غير موجود فما الذي يترتب على ذلك، وما هي نتائجه الكاملة، غير أن الأساس الذي ترتكز عليه الوجودية أكثر من مجرد إنكار وجود الله.

إذ يضاف إلى ذلك إنكار لكل غاية ومنطق وخطة ومعنى في الوجود، كما يرى الوجودي أن الحياة البشرية بلا غاية أو معنى، ولنقل إن الوجود عارض، لا

---

[1] الوجودية والإسلام: البوهي، ص٧٩.

معقول، وكل الكائنات البشرية لا ضرورة لها، ولا حكمة من وجودها، ناهيك بأن من الممكن الاستغناء والاستعاضة عنها"[١].

الوجودي يضحي بكل شيء في سبيل تحقيق ذاته ورغباته، في حين نرى العقيدة تدفع الإنسان إلى أن يضحي في سبيل مجتمعه وقضاياه الكبيرة: الأسرة والوطن العرض، ويعتبر ذلك فداء وشهادة.

الوجودية تعتبر الحب ضعف وسلب للذات الموجودة، ولا يجب أن ينتهي بالزواج كما فعل أستاذهم كيركجورد الذي طلق خطيبته قبل الزواج حتى يبقى يحتفظ بحبها، وكما فعل سارتر مع سيمون ذي بفوار، أي فكر هذا الذي يعارض الفطرة أشد معارضة، ويتعارض مع طبيعة النفس الإنسانية.

إنه الانحراف والتفلت من كل القيم المجتمعية[٢].

وهكذا نجد أن الذين تغريهم الوجودية ويُعجَبون بها فإنهم ينساقون وراء أهوائها فحسب، حيث يرون فلسفة تبرر الانحراف بدعوة القيم وتجرد الإنسان من القيم الأصيلة، وتطلق له عنان الأنانية، وليس الإنسان منطلقاً في الحركة في هذه الحياة على النحو الذي يريده لأهوائه ورغباته[٣].

---

[١] الفلسفة: أنواعها ومشكلاتها: هنترميد، ترجمة فؤاد زكريا، دار نهضة مصر، القاهرة، الثانية، ١٩٧٥م، ص٤٠٧.

[٢] انظر: الوجودية والإسلام : البوهي، ص٨٩.

[٣] الوجودية: أنور الجندي، ص٣٠.

المطلب الثالث

رفض مصطفى محمود للوجودية

ذكر الباحث في الفصل الأول كيف أن مصطفى محمود قرأ الوجودية من ضمن ما قرأ في بداية ظهورها في نهاية أربعينيات وبداية خمسينيات القرن الماضي، إلا أنه لم يجد فيها ما يلبي رغبته ونهمه للعلم.

وقد وقف كاتبنا من هذه الفلسفة موقف الرافض لها والمبين لخطرها، **من خلال:**

أولاً: رفضه لها كفكر إلحادي ضار غير نافع "ومن قبل ذلك منشورات الماركسية وكتب الوجودية وفلسفات الإلحاد وما فعلته من نسف الأساس الذي تقوم عليه حضارتنا الإيمانية"[١].

فهو هنا يرى أن "الوجودية كالماركسية فلسفة تتعارض مع قيم الإيمان وحضارة الإسلام، وأن أفكارها أفكار هدامة، وأن أتباعها مخربون لا موقف لهم، والوجوديون والعبثيون من أهل الحياة مع الهوى واللحظة، فهؤلاء يقولون إنهم اختاروا أنفسهم، فالحياة الحقة عندهم هي أن تكون نفسك، لا تعبأ بعرف أو تقليد أو دين، أو أخلاق، وإنما تعيش لحظتك كما تحب وتهوى، فأنت لا تملك غير لحظتك، واللحظة التي

---

(١) عظماء الدنيا وعظماء الآخرة: مصطفى محمود، ص٧٦.

تمضي لا تعود، فأنت لا تملك غير لحظتك، والحق أن كلاً منهم قد اختار حيوانه، وأطاع غريزته، وأسلم لنزوته، واستلهم فكرته، فهو الآخر عبد وإن تصور أنه حر، عبد لآلهة كثيرة تتجاذبه وتتقاسمه، ثم إنه هو وآلهته عبيد الله دون أن يدري، فالكل منه وإليه"[١].

ومصطفى محمود يعتبر الفكر الفلسفي للوجودية، وما تبعه من سلوك منحرف، ما هو إلا أثر من آثار التبعية لليهود والصهيونية، وقد رأينا أثر التوجيه اليهودي في الفلسفات العبثية والعدمية والمادية والوجودية، سارتر وفرويد وماركس وماركوز كلهم يهود[٢].

ويذكر العقاد تأثير اليهود على الفلسفة الوجودية "وحجته في ذلك أن سارتر نصف يهودي أو أكثر من نصف يهودي لأنه أمه يهودية ومعظم أيامه يقضيها مع اليهود، ولن تفهم المدارس الحديثة في أوروبا ما لم تفهم هذه الحقيقة التي لا شك فيها، وهي أن أصبعاً من أصابع اليهود كامنة وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية وترمي إلى هدم القواعد التي يقوم عليها مجتمعنا الإنساني في جميع الأزمان[٣].

وفكرة كون الوجودية متمثلة في سارتر وقد تأثرت باليهودية الصهيونية أمر مقر عند الباحثين "فهو واحد من قافلة اليهود الذين حملوا رسالة تضليل الناس

---

[١] ماذا وراء بوابة الموت: مصطفى محمود، ص٣٢.
[٢] انظر: وبدأ العد التنازلي: مصطفى محمود، ص٤٤.
[٣] مناهج البحث العلمي في العلوم الإنسانية: مصطفى حلمي، ص٢٨٦.

وإغـوائهم علــى مــنهج إبلــيس لتحقيــق أهــداف اليهــود العالميــة التـــي رســمتها بروتوكــولات مشــيختهم الــذين مردوا على كل إثم وشر وتضليل"[1].

ثانياً: أبان فساد الوجودية وضلال أفكارها من خلال دراسـته لفكـر كبيـرهم "سـارتر" لهـذا نجـد مصـطفى محمـــود يـــدرس بعـــض أعمـــال "ســـارتر" الأدبيـــة والمسرحية ويعلـق عليهـا، ومـن خـلال مـا يطرحـه مـن أفكار وقيم، وسارتر له نظرية خاصة في الصداقة، إنـه يعتقد أنها تحتوي على العداوة والخوف، والتربص، كل واحد يتربص بالآخر ليستولي عليه ويبتلع إمكانياته وهو يشعر بالحاجة إليه، بالخوف منه في نفس الوقت.

والحـب فـي نظـر سـارتر مـا هـو إلا قنـاع لإرادة الامـتلاك والسـيطرة، العاشــق لا يبتغــي إلا امــتلاك المعشـوق بكـل الوسـائل، وينتهـي الصـراع بـأن يبتلـع الواحد الآخر.

وأفكار سارتر فيها عداوة أكثر مما فيها من الصداقة، وفيهـا يـأس مـن الواقـع لا مبـرر لـه، وكـل النمـاذج التـي يعرضها سارتر فـي مسرحياته هـي نمـاذج يائسـة تنتهـي بالانتحار، ولا يمكن أن تكون هي النماذج الإنسانية التـي نشاهدها حولنا تضحك وتلعب، إن السعادة فـي الصـداقة وفـي الحـب التـي جربهـا كـل منـا تـدل علـى إمكانيـة قيـام العلاقة الإنسانية[2].

---

[1] كشوف وزيوف: عبد الرحمن الميداني، ص٣٦٠ .

[2] انظر: الأحلام : مصطفى محمود، ص١٣٤.

سارتر يريد أن يقطع الروابط الاجتماعية كلها، ويُنمي في الناس الفردية إلى أضيق حدودها، حتى يكون سبباً في تفتيت المجتمعات الإنسانية.

فحين يرى أن حب الآخرين له سلب لعالمه، وسلب لذاتيته، ويرى أن العلاقة بالناس هي التي تخلق له الشقاء، ويرى أن الآخرين هم الجحيم فإنه يدعو إلى تقطيع الروابط الاجتماعية بين الناس، ويريد أن يلغي حقيقة فطرية في الإنسان، وهي أنه مخلوق اجتماعي.

وهكذا يقلب حقائق الواقع الإنساني، ويصدر أفكاراً باطلة سخيفة في ثوب فلسفي، يمكن أن يفتن بعض مراهقي قراء الوافدات الفكرية مع سيل ما تأتي به الحضارة الغربية[1].

وهكذا يصل بنا نهاية المطاف إلى أن فكر سارتر ظل يبث القلق والغثيان والقيء والعبثية والإحساس بعدم الجدوى، وبأن الإنسان ولد ليموت وقذف به في الكون بلا رعاية وبلا عناية وأن آلامه نكتة سخيفة بلا معنى[2].

لقد كان موقف مصطفى محمود حازماً حينما رفض الوجودية كفكر، ورفضها كمفكرين على حد سواء، وكان ناصحاً لقومه وأمته في أن لا ينجروا وراء هذه الدعايات البراقة الخادعة الكاذبة، وكان يردد أنها فلسفة فشلت في بلادها فالأجدر أن تكون أكثر فشلاً في بلاد لها عقيدة واضحة وقيم طيبة وعادات حسنة.

---

[1] انظر: كشوف وزيوف: الميداني، ص٣٧٦.

[2] انظر: الماركسية والإسلام: مصطفى محمود، ص٤٨.

المبحث الرابع

موقف مصطفى محمود من البهائية

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف البابية والبهائية.

المطلب الثاني: أهم عقائد البهائية.

المطلب الثالث: جهاد مصطفى محمود ضد البهائية.

المطلب الأول

تعريف البهائية

فرقة الشيعة كانت وما زالت من أكثر الفرق خطورة على الإسلام، هذه الفرقة التي فرّخت أكثر الفرق ضلالاً وفساداً، ومنها حديثاً فرقة البابية والبهائية القاديانية.

هذه البهائية والتي هي صنيعة الاستعمار الروسي والانجليزي، ومن بعد أصبحت ربيبة اليهودية الصهيونية ولعبة في يدها، ينفذون من خلالها إلى دس الدسائس ونشر الفتن وتشويه الإسلام.

لهذا كان واجباً ضرورياً أن ينهض العلماء لبيان ضلالها وخطرها، فيحذرها الناس.

١. حقيقة البابية:

فرقة تنسب إلى علي محمد الشيرازي المولود في شيراز من مدن فارس في أكتوبر من العام ١٨١٩م، وكان والده يعمل في التجارة، مات والده وهو طفل صغير، فانتقلت كفالته إلى خاله الحاج سيد علي، أدخله الكتاب للتعلم، إلا أنه كان عزوفاً عن الدراسة، ومع هذا نزل عند رغبة خاله.

تلقى مجموعة من درس العربية والنحو الفارسي، وبرع في حسن الخط، بالإضافة في دراسته علوم العقيدة والفقه والتصوّف[1].

ترك حلقات الدراسة وانتقل لممارسة التجارة في شيراز[2] إلا أنه لم ينجح فيها، فانتقل إلى بوشهر[3] وافتتح له متجراً لبيع الأقمشة، نال شيئاً من النجاح والشهرة على صغر سنه.

في هذه الفترة كان يتردد على مسجد من مساجد المدينة للعبادة، والعزلة والاعتكاف، وكان في هذا المسجد شيخٌ مُهابٌ يُلقي الدروس على المصلين يُسمى بالشيخ "الرشتي"[4]، انضم إليهم علي محمد فتعلقت روحه وعقله بما يسمع من حديث عن الإمام المهدي المنتظر، وعن قرب ظهوره، وكان الرشتي كلما تحدث

---

(1) انظر: الأعلام: الزركلي، ١٧/٥.

(2) شيراز: مدينة في الجزء الغربي من إيران، عاصمة مقاطعة فارس، ترتفع عن البحر بـ (٤٨٧٥) قدماً، من المدن القديمة، تشتهر بصناعة السجاد. (موسوعة البعلبكي: البعلبكي، ٤٢/٩).

(3) مدينة بوشهر: تقع في جنوب إيران، على الساحل الشرقي للخليج العربي، وهي عاصمة محافظة بوشهر، تتواجد في جنوب المدينة محطة كهرباء بوشهر النووية وميناء صغير، غالبية سكانها من أهل السنة. (ويكيبيديا: الموسوعة الحرة).

(4) كاظم الرشتي: (١٧٩٣- ١٨٤٣م)، عالم وفقيه شيعي يُعد ثاني أبرز شخصية في المدرسة الشيخية، له أهمية كبيرة بالنسبة لأتباع الحركة البابية التي مهدت لظهور الديانة البهائية، ترك الرشتي عدداً كبيراً من المؤلفات. (ويكيبيديا: الموسوعة الحرة).

عـن ظهـور المهـدي نظـر ناحيـة علـي محمـد وكأنـه يقصده[1].

لما مات الرشتي (١٢٤٥هـ) ازداد تعلق النـاس بعلـي محمد على أنه المهدي المنتظر، إلا أنه أعلن يوم الجمعة الخـامس مـن جمـادي الأولـى سـنة ١٣٦٠هـ أنـه البـاب للمهدي المنتظر، ولـيس المهدي المنتظـر، فصدقه كثيـر من الناس ممن كانوا يتبعون فرقة الشيخية[2]، وكـان مـن أول وأشد النـاس إيمانـاً بـه "حسين البشـروئي"، والـذي لعب دوراً كبيراً في الدعوة للبابية، شكّل البـاب مجموعـة من أتباعه (١٨) عضواً، انطلقوا في البلاد يدعون للبـاب ودعوته[3].

والبــاب لقــب يســتعمله الشـيعة كثيـراً، وهـو متعلـق بالمهدي المنتظـر عنـدهم، ومعنـاه الواسـطة بـين المهـدي المختفـي فـي السـرداب وبـين أتباعـه، أي هـو المتحـدث باسم المهدي ونـاقل فتاواه وأوامره[4].

---

[1] انظر: البابية عرض ونقد: إحسان ضهير، إدارة ترجمان، الثالثة، ١٩٨١م، ص٥٠.

[2] الشيخية: فرقة شيعية اثنا عشرية .أوجدها وأرسى قواعدها أحمد الإحسائي، حيث تُنسب إليه يتواجد الشيخية في الكويت والإحساء وتبريز والبصرة، من أتباعها كاظم الرشتي. (ويكيبيديا: الموسوعة الحرة).

[3] البهائيـة وجـذورها البابيـة: عـامر النجـار، مركـز الدراسـات والبحـوث الاجتماعية، القاهرة، الأولى، ١٩٩٦م، ص٢٠.

[4] انظر: النحلة اللقيطة البابية والبهائية: عبد المنعم النمر، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ص٢٢.

بعد ذلك ادعى علي محمد أنه خليفة موسى وعيسى ومحمد هكذا جملة واحدة وأن الأديان كلها تلتقي فيه. عارضه العلماء، وقامت بينهم مناظرات، حكموا في نهايتها بكفره، قام أتباعه بكثير من الفتن والاغتيالات، إلا أنه كان يلقى دعماً كبيراً من الحكومة الروسية. [(١)].

كما ذكرت لم تكتف الباب بهذه الدعوى، بل تقدم خطوات أكثر جرأة وهي الادعاء بأنه المهدي المنتظر، ثم الادعاء بالنبوة، ثم كانت الطامة الكبرى لما ادعى الألوهية (أنا لست أنا، أنا مرآة فلا يُرى فيّ إلا الله)[(٢)].

سُجن وأعدم في سنة ١٢٦٦هـ، مع عدد من أتباعه.

مؤلفاته:

اهتم الباب بتأليف الكتب، وكان لكتبه ذيوع كبير بين أتباعه، ومن أخطر هذه الكتب كتاب "البيان" الذي هو الوحي الذي نزل عليه من السماء، وقد طُبع بالعربية، قسمه إلى أحد عشر باباً، عنون للأبواب بالواحد الأول، والواحد الثاني حتى الواحد الحادي عشر.

وهذا الكتاب هو كتاب البابية المقدس، نسخ من خلاله الدين الإسلامي، واستبدل به ديناً جديداً، صغير الحجم صعب اللغة، شديد الغموض.

[(١)] انظر: دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي، دار المعرفة، بيروت، الثالثة، ١٩٧١م، ٤٠٥/٥.

[(٢)] العقيدة والشريعة: جولد زيهر، دار الكتاب، مصر، ص٢٤٢.

قال عنه أنه يفوق القرآن ويتحدى أي شخص أن يأتي بباب من أبوابه[1].

٢. حقيقة البهائية:

تنسب البهائية إلى حسين علي المازندراني (١٢٣٣-١٣٠٩هـ).

ولد في بلدة نور من ضواحي ولاية مازندران بإيران، لُقب بالبهاء أو بهاء الله، اعتنق الدعوة البابية وكان من نشطائها، تلقى تعليمه على يد والده، ثم عكف على دراسة كتب التصوف، حتى أصبح من شيوخها المعدودين، حينما أُعدم الباب خلفه المازندراني بعد صراع مع أخيه يحيى صبح الأزل[2].

صلة المازندراني بالباب:

حينما اعتقل الباب تم نقله من قم[3] إلى قزوين[4] وفي أذربيجان التقى المازندراني بالباب، ولم يلتق به غير

---

(١) انظر: البهائية وموقف الإسلام منها: دخيل الله الأزوري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، جدة، ١٩٨١م، ص٨٣.

(٢) انظر: الأعلام: الزركلي، ٢٤٨/٢.

(٣) مدينة قم: تقع في الجزء الشمالي الغربي من وسط إيران، من أهم المدن الدينية والمرجعيات عند الشيعة لوجود المئات من أضرحة الأولياء فيها، تعتبر من المراكز العلمية عند شيعة العالم كله. (موسوعة البعلبكي: البعلبكي، ١٠٧/٨).

(٤) مدينة قزوين: تقع في الجزء الشمالي الغربي من إيران، من مدن إيران القديمة، كانت منطلق الجيوش الإسلامية لنشر الدعوة. (موسوعة البعلبكي: البعلبكي، ٤٢/٦).

هذا اللقاء، انتقل بعدها المازندراني للدعوة في ربوع البلاد حتى رجع إلى طهران[١].

أثناء اعتقال الباب عقد مؤتمر بدشت والذي يعتبر علامة بارزة في تاريخ البابية والبهائية سنة ١٨٤٨م، والذي تم الإعلان فيه عن الدين البابي من خلال إعلان ألقته على الحاضرين "روزين تاج" الملقبة بالطاهرة، في هذا المؤتمر ظهر نجم المازندراني بشكل واضح[٢].

بعد موت الباب انقسمت الفرقة بين مؤيد للوصي الشرعي "يحيى صبح الأزل"، والذين تسموا فيما بعد بالبابية الأزلية، وجماعة انحازت إلى حسين علي وتسمت بالبابية البهائية.

قام صراع مرير بين الأخوين انتهى بقتل حسين لأتباع أخيه فتفرقت أوجه الفرقتين، استقرت الأزلية في قبرص، وهلك هناك، وانتقلت البهائية إلى عكا بفلسطين، واستقرت فيها، وكان له فيما بعد شأن خطير[٣]، اشتهر البهاء بكثرة التأليف خصوصاً بعدما استقر بفلسطين، وكان قد تطور في دعوته من كونه باب للباب، إلى الباب شخصياً، إلى كونه المهدي فالنبي حتى انتهى إلى ادعاء الألوهية.

---

[١] انظر: الحراب في صدر البهاء والباب: محمد فاضل، دار المدني، القاهرة، الثانية، ١٩٨٦م، ص٢٥٦.

[٢] انظر: فرق وأديان معاصرة: السيد أبو يوسف، مكتبة الإيمان، المنصورة، الأولى، ٢٠٠٨م، ص٢٨٦.

[٣] انظر: الحراب: محمد فاضل، ص٢٥٧.

أهم كتبه "الأقداس" والذي هو بالنسبة لأتباع البهائية هو كتابهم المقدس الموحى به من عند الله، كتبه باللغة العربية، وأودع فيه عقيدته وشريعته، رتبه على ترتيب القرآن في ترتيب السور والآيات، نسخ به الكتب السابقة، مبيناً أنها لم تعد تنسجم مع احتياجات الإنسان في جميع أنحاء الحياة(١).

ومع كون هذا الكتاب هو كتاب البهائية المقدس إلا أنه لا يتم تداوله إلا بصورة خفية وعلى مستوى أتباعه، ولم يتعرف عليه غير البهائيين إلا في العهود القريبة.

أغلب طبعات هذا الكتاب هي طبعات سرية، وقد طبع في الهند وطهران والعراق، صغير الحجم، هو أقرب للحديث عن البهاء من كونه كتاباً مقدساً، وأكثر ما يأخذ الإنسان العجب كيف لهؤلاء الأتباع أن يقنعهم من هذا الهراء، ضعيف التراكيب، كثير الأخطاء، ركيك الأسلوب، ينم عن جهل واضعه(٢).

علاقة البهاء باليهود والصهيونية والاحتلال البريطاني:

حينما احتل البريطانيون فلسطين استقبلهم البهاء بالترحاب معلناً أن الله خلّص فلسطين من أيدي العرب

---

(١) انظر: مفتاح باب الأبواب: محمد مهدي خان، مطبعة المنار، القاهرة، الأولى، ١٣٢١هـ، ص٣٥٧.

(٢) انظر: حقيقة البابية والبهائية: محسن عبد الحميد، المكتب الإسلامي، بيروت، الثالثة، ١٩٨٥م، ص١٦٥.

لتعود إلى أصحابها الحقيقيين ويقصد بذلك اليهود، فكان أن أنعمت عليه بريطانيا بلقب "سير"، وحينما هلك البهاء كان المندوب البريطاني على رأس المشيعين للبهاء مع كبار السياسيين الإنجليز [1].

أما عن صلتها باليهودية الصهيونية فهذا معلن عنه في كتابهم "الأقدس": "هذا يوم فيه فاز الكلم بأنوار القديم، وشرب زلازل الوصال من هذا القدح الذي به سجرت البحور، وقل تالله الحق إن الطور يطوف حول مطلع الظهور والروح ينادي به الملكوت هلموا تعالوا يا أبناء الغرور هذا يوم فيه سرع كرم الله شوقاً للقائه، وصاح صهيون قد أتى الوعد، وظهور ما هو المكنون في ألواح الله تعالى العزيز المحبوب"[2].

وفي عام ١٩٦٨م عقدت البهائية مؤتمراً عاماً أعلنت فيه أن دعوتها مستمدة من الصهيونية، لهذا لا غرابة أن تستعملهم إسرائيل كجواسيس لها[3].

أهم أماكن انتشارها:

مركزها الرئيس في فلسطين (عكا)، وأكثر البلاد تنتشر فيها البهائية هي أمريكا، والهند وباكستان، وبعض دول أوروبا، وفي البلاد العربية تأخذ شكل السرية، ولا يعترف بها.

---

(١) انظر: البهائية صليبية الفرس: محمود ثابت الشاذلي، مكتبة وهبة، القاهرة، الأولى، ١٩٩٩م، ص١٧.

(٢) البابية والبهائية: محمد إبراهيم الجيوش، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٨م، ٢/ ٢٤٢.

(٣) انظر: البهائية صليبية الفرس، الشاذلي، ص١٠٤.

المطلب الثاني

أهم معتقدات البهائية وأفكارها

تحاول البهائية في دعوتها لدينها أن تجعله ديناً مستقلاً في مبادئه وعقائده، "لكن الناظر في هذه المبادئ يكتشف للوهلة الأولى أنها خليط من نِحل ومذاهب وعقائد متباينة، فهي مزيج من عقائد ومذاهب وديانات الهند القديمة والصين وفارس، واعتقادات الفلاسفة وغلاة الصوفية والباطنية والأديان والشرائع السماوية"[1].

وهم يحرصون على أن يظهروا للمعارضين والمخالفين بصور براقة خادعة، يحاولون إرضاء اليهود حينما يتحدثون لليهود، ويحاولون إرضاء المسيحيين حينما يتحدثون للمسيحيين، ويحرصون على إرضاء المسلمين حينما يتحدثون إليهم، وهم في كل هذا كاذبون منافقون.

فللبهائية أفكار يعلنون عنها، وعقائد يحاولون سترها عن غيرهم:

أولاً: أما أفكارهم المعلن عنها فهي:

١. **وحدة الأديان:** يجدب على الناس جميعاً أن ينبذوا الأديان كلها، ويجتمعوا على دين واحد وهو دين البهائيين، يقول البهاء عن دينه: "جعله الله الدرياق

---

[1] انظر: البهائية وجذورها البابية: عامر النجار، ص٧٤.

الأعظم والسبب الأتم لصحته، هو اتحاد من على الأرض على أمر واحد وشريعة واحدة"[(١)].

وسبب هذه الدعوة أن كل الأنبياء جاءوا مبشرين به، وأنهم عملوا على فرقة الأمم وليس تجمعهم، وهذا مخالف للحقيقة، فدعوة محمد صلى الله عليه وسلم جاءت للناس كافة، وأنه رحمة للعالمين. (**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**).

٢. **وحدة الأوطان:** على البشر جميعاً أن ينتموا إلى وطن واحد، دون التعصب إلى بقعة صغيرة من الأرض، فالأرض كلها موطن للبشر، ويجب أن تزول الحدود بين البلدان، وأن يصبح البشر وحدة واحدة، بدون جنسيات متعددة.

يقول عبد البهاء: "التعصب الجنسي فهذا وهم وخرافة واضحة لأن الله خلقنا جميعاً جنساً واحداً، ومنذ الابتداء لم يكن هناك حدود بين البلدان المختلفة، فلا يوجد في الأرض جزء مملوك لقوم دون غيرهم"[(٢)].

وهذا كذب واضح، وتعارض مع دين أبيه (البهاء)، الذي كان يتلهف على أرض الطاء (طهران)، ويترفع عن أرض الخاء (الخراب) وهي فلسطين، ويتأسف على غربته في العراق وتركيا وفلسطين.

---

(١) بهاء الله والعصر الجديد: أسلمنت، دار العصور، القاهرة، ١٩٢٠م، ص١٢.

(٢) المصدر السابق: أسلمنت، ص١٦١.

٣. **وحدة اللغة:** من أجل أن يتحد ويتوحد العالم لا بد من لغة واحدة تجمع عليها البشرية، يتكلمها كل البشر، وهذه الدعوة من أكبر دعاياتهم، يقول البهاء "يا أهل المجالس في البلاد اختاروا لغة من اللغات ليتكلم بها من على الأرض، وكذلك من الخطوط، إن الله يبين لكم ما ينفعكم ويغنيكم عن دونكم، إنه لهو الفضال العليم الخبير، وهذا سبب الاتحاد لو أنتم تعلمون، واللغة الكبرى للاتفاق والتمدن لو أنتم تشعرون"(١).

وهذه اللغة التي دعا المازندراني العالم لاتخاذها لغة رسمية للعالم كله هي اللغة الفارسية، وهذه الدعوى لم يدع إليها أحد من السابقين. وقد بين القرآن أن الله خلق البشر مختلفين في أشياء كثيرة من جملتها اللغة، فكيف لهذا الدعي الجاهل يدعو لهذا الأمر المستحيل.

٤. **دعوى السلام العالمي:** ظانين أنهم بدعوتهم إلى إلغاء الجهاد ونبذ الحروب والتعايش السلمي يقدمون معروفاً للبشرية، لقد سبقهم الرسل والأنبياء والمصلحون.

وحينما جعل الله الجهاد سنام الإسلام وعموده، لعلمه سبحانه لما في ذلك من عزة للإسلام والمسلمين، ودفع للمعتدين والمفسدين والمحتلين.

إن تحريم المازندراني للجهاد هي خدمة للمستعمر البريطاني ثم الصهيوني، حتى يُمكن لهم في هذه

---

(١) الأقدس: البهاء، فقرة ٢٥٢.

الأرض، وهو بهذا يخالف الفطرة والأعراف والقوانين التي ارتضاها الناس على مدار تاريخهم.

٥. **المساواة بين الرجال والنساء:** استخدم البهائيون المرأة للدعاية لمذهبهم، وقد كان لقرة العين (روزين تاج) دورٌ كبيرٌ في نشر المذهب.

وهم بهذه الدعاية إنما يخدعون الناس، ظانين أنهم سيُقبلون عليهم معتقدين بدينهم، تابعين لهم، إن البهائية لا تستطيع أن تقدم للعالم ما قدمته المذاهب الاجتماعية، والمذاهب الفلسفية، ومن قبلها الأديان السماوية.

لقد نافق البهاء ومن جاء بعده المرأة نفاقاً كبيراً وأسمعوها كلاماً معسولاً جميلاً، لكن التطبيق خالف ما قالوا، فوجدناهم يظلمونها ظلماً شنيعاً، وجارت عليها أحكام شريعتهم، وأما دعوتهم للمساواة ما هي إلا لمجرد مخالفة الإسلام ليس إلا[١].

والعجيب أن تساوي بين الذكر والأنثى في الميراث، في حين حرمها حقها من السكن والأثاث والدور، هذه أهم الدعايات التي يظهر بها البهائيون أمام العالم، لكن حقيقة عقيدتهم وشريعتهم شيء آخر مختلف.

---

(١) العقيدة والشريعة: جولد زيهر، ص٢٤٧.

ثانياً: عقائد البهائية:

١. عقيدتهم في الإلهيات:

- **القول بالحلول والاتحاد:** يقول البهاء: "قل لا يُرى في هيكلي إلا هيكل الله، ولا في جمالي إلا جماله، ولا في كينونتي ولا في ذاتي إلا ذاته، ولا في قلمي إلا قلمه العزيز المحمود، فلم يكن في نفسي إلا الحق ولا يُرى في ذاتي إلا الله"[(١)].

فهذا نص واضح يعتبر البهاء أن ذاته اتحدت بذات الله وأن الله حل في ذاته روحاً وجسداً، وهذا الذي يقوله البهائيون كفر صريح أشد من كفر النصارى وكفر اليهود، وهذا القول هو من البهتان والزور، والله منزه بذاته وصفاته وأسمائه[(٢)].

- **القول بوحدة الوجود:** يقول داعية البهائية الجرفاذقاني: "إن مظاهر أمر الله كلهم مظاهر حقيقة واحدة، وهم جميعهم في حكم إنسان منفرد، ونفس منفردة، أولهم عين آخرهم، وسابقهم عين لاحقهم"[(٣)].

هذه هي عقيدتهم في وحدة الوجود، وهي مبعث الضلال والفساد، فهي: "نحلة قامت على أساس أنه ليس لله وجود مطلق بأسمائه وصفاته التي وصف بها

---

(١) بهاء الله والعصر الجديد: أسلمنت، ص٥٠.

(٢) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ابن تيمية، مطبعة المدني، القاهرة، الأولى، ١٩٩٤م، ١٩/١.

(٣) البهائية تاريخها وعقيدتها: عبد الرحمن الوكيل، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٦٢م، ص٢١١.

نفسه في كتبه، بل أن وجوده تعالى مفتقر عندهم إلى مظاهر أمره الذي جاء بزعمهم ليبشروا بمظهره الأبهى الذي لقبوه بهاء الله"[١].

● **قولهم بتناسخ الأرواح:** وهي فكرة وافدة من أفكار الهنود، قالت بها فرق الشيعة، يقول البهاء: "ويقومون على صراط الأمر المبرم الرباني وهم في حكم نفس فردة وذات واحدة"[٢].

"ومن هذا المنطلق جعل آدم هو عين نوح وعيسى هو موسى ومحمد هو عيسى، فالأنبياء في حكم نفس فردة وذات فردة"[٣].

● **القول بألوهية البهاء:** يؤمن البهائيون إيماناً راسخاً أن البهاء إله معبود، يتوجهون إليه بالدعاء والعبادة، يقول البهاء: "اقتضى واسع رحمة من سبقت رحمته كل شيء أن يبعث جواهر القدس النورانية من عالم الروح الروحاني في الهياكل الإنسانية إلى الخلق والعالم الجسماني حتى ينبؤهم عن شؤون ذات الأزلية وأسماء وصفات وحقوق وسماء ساذج القومية، ويحاكون من حيث أنهم مرايا القدسية ومطالع الهوية"[٤].

---

[١] البهائية: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٥هـ، ص٢.

[٢] الإيقان: البهاء، ص١٣٨.

[٣] المصدر السابق: البهاء، ص١٣٨.

[٤] المصدر السابق: البهاء، ص٨٨.

ولكن كيف للعالم بعد مقتل البهاء، من يقوم ويرعاه ويحفظه، سبحانك ربي عن هذا الهراء.

٢. عقيدتهم في النبوات:

- **الأنبياء والرسل عند البهائيين هم مظاهر الله تعالى**: وأن الله يفتقر إليهم ليتجلى لعباده من خلالهم وفيهم، وأنهم جواهر قدس نورانية، وهم مهما اختلفوا في أشكالهم وتعددت أسماؤهم هم جميعاً هياكل أمر الله: "هب أن الأنبياء ظهروا في أقمصة مختلفة وتشكّلوا بالأشكال المتعددة، أليس الجميع هياكل أمر الله"[١].

فالنبي الأول هو ذاته النبي الأخير.

- **قولهم ببطلان القول بختم نبوة** محمد صلى الله عليه وسلم**:** الختم عند البهائيين هو المهر الذي تمهر به الرسائل والكتب، ومحمد خاتم لأنه هو المصدر للأنبياء والرسل من قبله، والختم أيضاً هو الزينة، ومحمد زينة الأنبياء جميعاً[٢].

- **موقف البهائية من الوحي:** هو عبارة عن المعاني التي تنحبس في قلب مظهر أمر الله بوساطة الروح القدس المتجلي فيه، ثم تظهر على هيئة الكلمات من لسانه وتنسبك في قوالب الألفاظ بنطقه وبيانه.

---

(١) الإيقان: البهاء، ص١٤٧.

(٢) الإيقان: البهاء، ص١٤٠

وهذا معناه أن الوحي ينبع من داخل نفس المظهر الذي هو البهاء لأنه هو الله غير أن المعاني صادرة عن ربوبيته أما الألفاظ فعن بشريته[1].

فالبهائيون ينكرون أي طريق للوحي خارج الوحي بالمعنى.

وهذا عندنا مخالف لصريح القرآن وأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام، وجبريل حقيقة واقعية وهو جزء من عقيدة كل مسلم وإنكارها كفر، فهو من المعلوم من الدين بالضرورة[2].

● **موقف البهائية من المعجزات:** من المآزق التي وقع فيها الباب والبهاء على حد سواء أنهما لم يجدا شيئاً يستندان عليه في موقفهما من المعجزات أو الكرامات.

"لهذا يرى البهائيون أن المعجزات الحسية ليست قرينة قوية على صدق الأنبياء والمرسلين، فالمعجزة عندهم ليست شرطاً في النبوة أو في الدلالة على صدق النبي"[3].

---

(١) البابية والبهائية: عبد الرحمن الوكيل، ص٢٢٣.

(٢) انظر: نبوة محمد في القرآن: حسين ضياء الدين، ص١٦٥.

(٣) البهائية: عامر النجار ، ص٨٤.

ويقول داعية البهائية الجرفادقاني: "على فرض صحة هذه المعجزات فإنه لم يرها إلا أعداد قليلة من أقوام هؤلاء الأنبياء، فهي غير مقنعة لغيرهم"[١].

٣. عقيدتهم في السمعيات:

● ينكر البهائيون يوم القيامة، وما يحدث فيه من قيام وحشر وحساب وجنة ونار، "فالمراد من كل ما ورد في القرآن الكريم من ألفاظ القيامة والساعة والبعث والحشر والنشر وما جرى مجراها إنما هو ظهوره (الباب) بالأمر وقيامه بالدعوة، وأن الجنة كناية عن الدخول في دينه، والنار كناية عن الكفر به، واليوم الآخر كناية عن يوم ظهوره، ولقاء الله تعالى كناية عن لقائه والنفخ في الصور كناية عن الجهر بدعوته والمناداة بها، وصعق من في السماوات والأرض كناية عن نسخ الأديان بدينه وقيام أمته مقام الأمم"[٢].

يقول الشيرازي: "إن قيامة البيان تقوم يوم ظهور من يظهره الله، واليوم الذي يظهر فيه المظهر الإلهي الآخر هو نفس يوم البعث والحشر للجميع من قبورهم"[٣].

---

[١] الدرر البهية: محمد الجرفادقاني، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٢٥، ص١٠٤.

[٢] الحراب في صدر البهاء: محمد فاضل، ص٢٢١.

[٣] البيان: الباب الشيرازي، الباب السابع من الواحد الثاني، ص١٩٥.

وهكذا الحديث عن كل أحداث يوم القيامة إخراجها عن ظاهرها إلى تأويل ممجوج غير مقبول.

وهذه العقيدة التي يعلن عنها الباب هي كفر صريح وخروج عن عقيدة الإسلام جملة وتفصيلاً، والمتأمل في العقيدة البهائية في موضوع السمعيات يجد أنها نفس عقيدة البابية، لم يتغير عندهم فيها شيء، فقط استبدال البهاء بالباب.

- **والقيامة عند البهائيين قيامتان:**

الأولى: انتهاء أمر كل رسول وأمته عند بعث رسول آخر جديد، فانتهاء أمة الرسول الذي كان قبل بعث إبراهيم عليه السلام قيامة كبرى بالنسبة لها، وهكذا مع كل رسول وأمته.

الثانية: انتهاء أمة محمد صلى الله عليه وسلم ببعث البهاء، وهذا اليوم هو أعز الأيام وأشرف الأزمان وأن هذا اليوم عبارة عن يوم قيام القائم(١).

وحديث البهائيين عن الحساب والجزاء حديث غريب وعجيب، وإنما هي أمور معنوية روحانية لا تتعلق بالأجساد.

- **أما عن عقيدتهم في الجنة والنار:** فالجنة هي حالة الكمال، والنار حالة النقص.

والجنة هي الانقياد لإرادة الله والوفاق مع الناس، والنار هي الموت الروحاني، فسرور الجنة ونعيمها أمر روحاني وآلام الجحيم عبارة عن الحرمان من هذا النعيم(٢).

وهذا الذي يتكلم عنه البهائيون هو مخالف كلياً لما عليه عقيدة الإسلام، ولما ورد في القرآن والسنة من حديث واضح وصريح وقاطع عن جنة ونعيم مادي حسي جسماني، وكذلك نار مادية حسية جسمانية: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا**

---

(١) انظر: الإيقان: البهاء ص١٣١.

(٢) انظر: بهاء الله والعصر الحديث : أسلمنت، ص١٨٦.

أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ). (سورة التحريم: ٦)، وحديث النبي عليه الصلاة والسلام: "**إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل توضع في أخمص قدميه جمرة يغلي منها دماغه**"[١].

إن إنكار البهاء وأتباعه لكل ما جاء من الأدلة والبراهين على الآخرة وما فيها، إنما هو من باب المكابرة والمعاندة ليس إلا، وهو نتاج الهوى الذي تلاعب في عقولهم وعقائدهم.

فإن الإيمان بالآخرة خير عامل لبناء الإنسانية الضالة، وهدايتها والأخذ بيدها إلى المقامات المعنوية السامية، فتحريف هذا الأصل والركن الركين يُعد لوحده خيانة كبرى بحقها وبحق الظمأى إلى تلك المقامات"[٢].

هذا عرض سريع لعقائد البهائية والبابية، وبيان لما لهم فيه من ضلال وإضلال.

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ح (٦٥٦١)، ٢٠٥٢/٤.

[٢] البابيون والبهائوين: همايون همتي، دار الهادي، بيروت، الأولى، ١٩٩٣م، ص٨٥.

المطلب الثالث

موقف مصطفى محمود من البهائية

لم تقتصر جهود مصطفى محمود على مواجهة الفكر الغربي الوافد، وبيان ضلاله وفساده، وبالتالي إظهار الحق المتمثل في الإسلام وعقائده وأخلاقه وقيمه، فقد واجه الماركسية والوجودية والفرودية والداروينية والعبثية والبراغماتية.

ومع هذه الجهود العملاقة إلا أننا نجده أيضاً يقف سداً منيعاً أمام الاختراق من الداخل، من داخل البيئة الإسلامية والشرقية، فيقف في وجه الأفكار والمعتقدات المنحرفة، الصادرة عن أفواه تتكلم العربية وترفع أحياناً رايات الإسلام.

لقد رأى مصطفى محمود في البهائية خطراً عظيماً يهدد مقومات العقيدة الصحيحة السمحة، فقام يبين زيفها ويكشف اللثام عن مؤامراتها مع العدو المحتل والمستعمر البغيض.

١. موقفه من البابية:

بدأ مصطفى محمود حديثه عن البيئة التي ظهرت فيها البابية، كربلاء[١] القديمة (أجواء أسطورية وأشواق ملتهبة)، ومساجد يجلس فيها شيوخ ليس لهم حديث إلا قرب ظهور الإمام الغائب، وبكاء ودعاء وصلاة حتى يظهر، مشاعر فياضة قد لا يستطيع الإنسان أن يسيطر عليها، في هذا الجو أعلن علي محمد نفسه الباب للمهدي المنتظر وصدّقه الشيوخ والمشائخ وكأنهم كانوا ينتظرون هذه اللحظة[٢].

وبلا أدنى شك مؤامرات استعمارية روسية بريطانية تلعب دوراً كبيراً خفياً حيناً وظاهراً أحياناً، وفي حالة من غياب العلم الصحيح، واختلاط الحق بالباطل، وجهل العامة، وظلم السلاطين، في مثل هذه الحالة لا بد أن يظهر المدّعون الكاذبون والمشعوذون[٣].

يتساءل مصطفى محمود جملة أسئلة "لا أدري لماذا سمى السيد ميرزا رسالته ديناً، وأطلق عليها الديانة البهائية، وقال إنها أُلقيت إليه من الله، لماذا لم يُسمها وجهة نظر اجتماعية ألفها تأليفاً كما يؤلف المؤلفون أفكارهم بوحي الخاطر والهوى.

---

[١] مدينة كربلاء: تقع في وسط العراق، مركز محافظة كربلاء، تبعد عن العاصمة بغداد (٨٨) كم، استشهد فيها الحسين رضي الله عنه سنة ٦١هـ، وفيها ضريحه، من المدن الدينية المهمة عند الشيعة. (موسوعة البعلبكي: البعلبكي، ٣٧/٦).

[٢] انظر: حقيقة البهائية: مصطفى محمود، ص١٤.

[٣] المصدر السابق: مصطفى محمود، ص٢٢.

إنها اختلاقات النبي الذي أراد أن يدخل منتدى الأنبياء بلا مؤهلات، ويتسلل إلى مائدة الخالدين دون أن يُمتحن، فأنكر المعجزة والغيب حتى لا يطالبه أحد بأوراق اعتماده من السفارة الإلهية التي ادعاها"[(١)].

٢. انتقاد مصطفى محمود لكتاب البيان:

يقول الباب: "أنا أفضل من محمد كما أن قرآني أفضل من قرآن محمد"[(٢)].

إن كتاب البيان أبعد ما يكون عن البيان، بل هو عماية وتخليط وركاكة، وكمٌّ هائل من الأخطاء النحوية، لهذا يحرص أتباعه على إخفاء هذه الكتب لما فيها من أخطاء وفضائح[(٣)].

ولكن كيف لمثل هذا الهراء أن ينتشر في بلاد العالم المتقدم؟ يجيب مصطفى محمود: "وقد انتشرت هذه المذاهب في أوروبا وأمريكا لجهل الناس هناك بالعربية، ولأنهم لا يكشفون من مذاهبهم إلا البضاعة التي تروق في سوق الأجنبي، مثل المحبة والسلام ونبذ الحرب ووحدة العالم، ووحدة اللغات والمساواة بين الرجل والمرأة، وشرعية الاختلاط، وخلع الحجاب، ورفع التكاليف"[(٤)].

---

(١) القرآن محاولة لتفسير عصري: مصطفى محمود، ص١٥٧.
(٢) مفتاح باب الأبواب: محمد خان، ص٢٢.
(٣) حقيقة البهائية: مصطفى محمود، ص٣٧.
(٤) المصدر السابق: مصطفى محمود، ص٣٧.

٣. كذب البهاء:

يذكر مصطفى محمود أن البهاء كان من أكثر الناس كذباً: "وقد صدق نفسه من كثرة ما ادعى، ومن كثرة ما قال وكتب، فكان إذا مشى في الأسواق أسدل برقعاً على وجهه لأنه لا أحد يطيق النظر إلى نور وجهه، ولما مات منع البهائيون نشر صورته، ولما مات قال أتباعه صعد الرب (أي البهاء) إلى مقر عزه الأقدس الأعلى، وغابت حقيقته المقدسة في هويته الخفية القصوى"[١].

٤. عمالة البهاء للاستعمار:

يبين مصطفى محمود أن البهاء كان على صلة بحكومات الاستعمار والجهات الأجنبية، وحينما قبض على رفاقه البابيين، وأُعدموا وأُحرقت قرة العين (زين تاج)، كان البهاء مختبئاً في السفارة الروسية، ورفض الوزير الروسي تسليمه، وقال إن الحكومة الروسية ترغب ألا يمسه أحد بسوء وأن يكون في حفظ وحماية تامة، وحينما قدم العراق، قدمت الحكومة البريطانية عن طريق سفيرها الجنسية الإنجليزية للبهاء، ونقلتهم إلى الهند، لكنها وجدت أن الهند ليس مكاناً مناسباً له ولرفاقه، ثم سهلت له الانتقال إلى فلسطين ومنحته لقب "سير"[٢].

---

[١] المصدر السابق: مصطفى محمود، ص٦٢.

[٢] المصدر السابق: مصطفى محمود، ص٦٦.

٥. فضح علاقته مع اليهودية الصهيونية:

علاقة البهاء ومن جاء من بعده باليهودية الصهيونية لم تكن أمراً خفياً، بل كانوا يتباهون في إظهارها، "ونلتمس أثر التوجه اليهودي في الديانة البهائية كلما تعمقنا أكثر في تعاليمها، ونفهم الدوافع أكثر حينما نتعمق أكثر وأكثر في كلمات عبد البهاء وفي قوله إن أكثر فلاسفة اليونان تعلموا الحكمة من بني إسرائيل، إن رسالة البهائية هي توحيد المسلمين والنصارى واليهود على أصل نواميس موسى، وأن عمل موسى لا يساويه عمل في التاريخ، وسوف يأتي يوم لا يجد الناس كتاباً ينقذهم إلا نواميس موسى.

ويطلق عبد البهاء على نفسه اسم "غصن" مشيراً بذلك إلى ما جاء في التوراة (ويخرج غصن من جذع يسى أي من ذرية داود يرفع العلم الإلهي على جميع الأمم)[١].

والبهائيون يعتبرون أن ظهور البهاء هو تعمير أورشليم حيث يستقبل مرفأ حيفا ألوفاً من الرجال والنساء المهاجرين إلى فلسطين.

وقد أبطل البهاء في أول بشارة له الجهاد، وقدّم ذلك خدمة للإنجليز ولليهود[٢].

---

(١) على خط النار: مصطفى محمود، ص٥٥.
(٢) من أسرار القرآن: مصطفى محمود، ص٣٦.

٦. نقد مصطفى محمود لفكرة توحيد اللغات في لغة واحدة:

وهي التي دعا إليها البهاء من أجل أن يُوحد العالم "كلام البهاء عن توحيد اللغات هو كلام خيالي وغير عملي، وأي لغة سيتوحد تحتها العالم، أهي لغة الإسبرانتو؟[١] وماذا يبقى من كتبهم البيان والأقدس والإيقان بعد أن تترجم إلى الإسبرانتو؟، ومن سيفرض على العالم لغة الإسبرانتو وبأي قوة، وماذا ستجدي اللغة الواحدة.

إنها سذاجات حضرة النقطة"[٢].

إن القول الحق هو قول ربنا سبحانه وتعالى: **(وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ)** (سورة هود: ١١٨).

وقوله تعالى: **(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ)** (سورة الروم: ٢٢).

لقد بذلت الدول الاستعمارية الجهود المضنية، والأموال الكثيرة من أجل أن تحرف الإسلام عن مساره، ومن أجل أن يطيلوا من مدة بقائها في ديار الإسلام والمسلمين، إلا أن الله يأبى ذلك، فتبقى راية الإسلام عالية، ويخرج المستعمر ذليلاً، وهم في كل يوم إلى ذبول، والإسلام في كل يوم إلى عز.

وهكذا انتهت مؤامرة البهائية والقاديانية، دون أن تصيب الإسلام في مقتل.

---

[١] **الإسبرانتو:** لغة مصطنعة سهلة، اخترعها لودفيغ أليعزر زامنهوف كمشروع لغة اتصال دولية عام 1887 م. (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة)

[٢] حقيقة البهائية: مصطفى محمود، ص٦٨.

المبحث الخامس

موقف مصطفى محمود من الداروينية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بداروين والداروينية.

المطلب الثاني: كشف مصطفى محمود لزيف الداروينية.

المطلب الأول

التعريف بداروين والداروينية

أولاً: داروين : تشارلز روبرت (١٨٠٩-١٨٨٢م)، عالم طبيعي إنجليزي.

ولد في أسرة راقية متعلمة، درس الطب في جامعة أدنبرة حسب رغبة أبيه، بعدها درس العلوم وتخصص في التاريخ الطبيعي، اهتم بدراسة الجيولوجيا وعلوم النبات، قام برحلة بحرية استغرقت خمس سنوات، كانت هذه الرحلة سبباً في بداية حياة الاستكشاف والبحث.

في عام ١٨٥٩م، وضع كتابه "أصل الأنواع"، وفي عام ١٨٧١م، وضع كتابه "أصل الإنسان والانتخاب بالنسبة للجنس"، أثر في المذاهب الفلسفية والاجتماعية كثيراً، وله تأثير في الدراسات الدينية.

اتصفت نظريته بالمادية الجدلية، وكان يشتهر بإلحاده الشديد، أثرت نظريته على زعزعة القيم الدينية وتركت آثاراً سلبية على الفكر العالمي من بعده.

لم يكن داروين يهودياً، إلا أن اليهودية الصهيونية استغلت أبحاثه استغلالاً كبيراً، حيث أن بروتوكولات صهيون ركزت على تأثيره "لا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء، ولاحظوا هنا نجاح داروين وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل، والأثر غير

الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأممي سيكون واضحاً لنا على التأكيد"[1].

ثانياً: الداروينية:

من الموضوعات الكثيرة التي تهم الإنسان، ويعمل جاهداً على أن يعرف سرها، أصل الحياة، وكيف نشأت، وأصل الإنسان، لهذا كان لنظرية داروين صدٌ كبيرٌ على كل الصُّعد العلمية والاجتماعية والدينية والثقافية، فقد شغلت العالم ولا تزال تشغله، ذلك لأنها نظرية تريد أن تقدم تفسيراً لأصل الإنسان، بل لأصل الحياة، ونشأتها على الأرض، وبلا شك أن هذا الموضوع يهم الإنسان كثيراً، فهو يهمهم من ناحيتين: من الناحية العلمية، ومن الناحية الدينية[2].

وتقوم نظرية داروين في التطور على أن الكائنات الحية تسير في تطورها من الخلية الأولية التي أصلها مواد عضوية تحولت هذه الخلية الأحادية الحية إلى الأشكال المتعددة التي لا حصر لها من أشكال الحياة، وأن هذا التحول كان صدفة، تم في مراحله المتأخرة كان عن طريق الانتخاب الطبيعي.

---

[1] انظر: موسوعة المورد: البعلبكي، ٣/١٥٥، والموسوعة السياسية: الكيالي، ٢/١٦٤٢، وموسوعة الفرق والأديان: دربالة، ٢٤٣، والموسوعة العربية الميسرة : ١/٧٧٤.

[2] داروين ونظرية التطور: شمس الدين بلوت، ترجمة أورخان محمد علي، دار الصحوة، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٥.

والإنسان بما هو عليه الآن في مكونات جسمه وهيئته هـو فـي قمـة هـذا التطـور، وأن بقـاء بعـض الأنـواع وانقراض بعضها الآخر يرجع إلى ظـاهرة الصـراع من أجـل البقـاء، فالبقـاء يكـون للنـوع المكـافح الأفضـل، والعضـو الـذي يهمل أو لا تبقى لـه وظيفـة يضـمر شيئاً فشيئاً حتى يضمحل ولا يبقى منه إلا أثر يدل عليـه، وقد لا يبقى له أي أثر[1].

وقد سحب الداورينيون نظريتهم هذه من عـالم الأحيـاء حتـى عمّموهـا علـى الوجـود كلـه، المجـرات والنبـات والحيوان، حتى أصبح مذهباً يدين به العلماء.

وهذا الذي جاء به داروين ليس أمراً جديداً علـى العلـم والعلماء، فهذه الأقوال قال بهـا فلاسفة اليونـان الأقدمون (أنيكساماندر)، وقال بها القديس (أغوسطنيوس)[2].

موقف العلماء من نظرية دارون:

وموقف العلماء من نظرية داروين هو أن مـا جـاء بـه داروين هـو فرضـيات لا ترقـى إلـى مستوى النظريـة، وأنه لم يوجد أي دليل واقعي مشـاهد ولـو معملياً يـرجح صحة هذه الفرضية، ولو بمثـال واحد من الأمثلـة التـي يصح الاعتماد عليها كأساس للتطور المقرر في النظريـة المدعاة أو المتخيلة[3].

---

(1) كشوف وزيوف: الميداني، ص٣١٨.
(2) الموسوعة السياسية: الكيالي، ص٦٤٢/٢.
(3) كشوف وزيوف: الميداني، ص٣٢١.

ولعل أخطر ما جاء في نظريات تطور الأنواع الحية العلمية هو القول بأن الإنسان يأتي طرفاً نهائياً في سلسلة كائنات حيوانية اختلفت عناصرها المتعاقبة تدريجياً، ولكن من الثابت العلمي حتى الآن غياب الدلائل الحسية القاطعة في الانتقال من مرحلة حيوانية معينة قبل الإنسان إلى مرحلة الإنسان الحيوان العاقل.

من هنا كان تأثير نظرية التطور على سلوك الناس، وكان أهم ما أخذ عنها دعوة الإنسان إلى النمو والانتشار الذاتي مستلهماً مبدأ الصراع لأجل الحياة، وجاء هذا المبدأ منسجماً مع روح الفردية، إلا أن الصراع لأجل الحياة أفضى إلى نتائج أنانية قاتلة[1]، كان نتائج هذه النظرية صراع وحروب عالمية وثورات شيوعية وأحزاب وجماعات عبثية ووجودية.

والخطورة في نظرية التطور أنها تقرر حيوانية الإنسان وماديته، والتي تنفي القصد والغاية من خلقه، وتنفي التكريم الرباني له بإفراده بين الكائنات الأخرى بالعقل والقدرة على الاختيار والقدرة على التمييز فضلاً عن المزايا الأخرى الإنسانية.

فخطورة أن يكون أصل الإنسان حيواناً أو هو امتداد لسلسلة التطور الحيواني، هنا لا قيمة للعقيدة ولا مكان للقيم الأخلاقية.

---

(1) الموسوعة الفلسفية العربية: معن زيادة، معهد الإنماء العربي، الأولى، ١٩٨٦م، ص٢٧٣.

إن فكرة التطور وما ينتج عنها من قيم لعبت بها اليهودية الصهيونية حتى وصلت من خلالها إلى مجتمعات بلا دين أو قيم أو أخلاق[1].

الآثار السلبية لنظرية داروين:

١. من أخطر ما أثرت نظرية داروين أن نقلت الحياة في المجتمعات الإنسانية من الروحانية نسبياً، إلى المادية المطلقة، فلم تعد القيم الإنسانية والأخلاقية ذات قيمة في العلاقات بين الأفراد وبالتالي انتقلت إلى علاقات الشعوب والحكومات، وبالتالي ظهرت فلسفات مادية إلحادية، أوصلت الشعوب إلى الحروب الطاحنة، وما الحرب العالمية الأولى والثانية إلا نتاج هذا الفك.

٢. أيضاً حرفت الناس ناحية الإلحاد والكفر بالقيم الدينية والعقائد، وأصبح العلم هو الإله المعبود.

٣. أخذت هذه النظرية الناس إلى اليأس والتشاؤم والضياع، وظهرت مذاهب فلسفية ومذاهب فكرية وأدبية تدور في فلك هذه القيم.

٤. مهدت هذه النظرية الطريق لظهور مدارس ومذاهب مثل فرويد صاحب مدرسة التحليل النفسي، وسارتر منظر الوجودية الملحدة، وماركس صاحب النظرية المادية والشيوعية الإلحادية، ودوركايم ونظرياته الاجتماعية[2].

---

[1] انظر: مذاهب فكرية معاصرة : محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، الأولى، ١٩٨٣م، ص٩٧.

[2] انظر: الموسوعة المفصلة: ٩١٩/٢.

هذه النظريات أفسدت على الإنسان فطرته، ومسخته إلى قرد وخلية أولية، كل ذلك بعد أن كرّمه الله سبحانه، وخلقه على أحسن صورة.

موقف الفكر الإسلامي من نظرية التطور:

إذا كانت النظرية المراد منها التطور الذاتي الذي لا يخضع لقدرة الله وخلقه وإرادته فهي مرفوضة كلياً، ولا مجال لمناقشتها.

ثم نشأة الحياة الأولى هي سر من أسرار الخلق، لم يُطلع الله عليه أحد من خلقه: **(مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً)**. (سورة الكهف: ٥١)، والقرآن يدعو الإنسان إلى النظر الهادئ في الخلق من خلال الإيمان بقدرة الخالق سبحانه تعالى **(قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير)**. (سورة العنكبوت: ٢٠).

صورة خلق الإنسان: هناك صورتان لخلق الإنسان:

إحداهما: خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه، وعلمه الأسماء كلها وأسجد له ملائكة السماء، خلقه في أحسن تقويم وخصه بالتكريم بين العالمين، حرّم دمه وماله وعرضه إلا بالحق، أرسل إليه رسله وأنزل عليه كتبه، فهيأه بذلك للكمال وأعده لسعادة الحال والمآل، أخبر عن خلقه وتكوينه وكرامته ومآله، وخالقه وأنبيائه الذين أرسلوا إليه.

الثانيـة: خلـق بواسـطة النشـوء والارتقـاء فـي أقـبح صورة، ثم تدرج في ملايين السنين إلـى أن أصبح قرداً ثم ترقـى إلـى حيوان أرقـى من القرد في ملايين أخرى من السنين، ثم صار إنساناً بعد ملايين السنين، أخبر عن خلقـه ونشـوئه وتكوينـه كبـار الملاحـدة وشـرار النـاس، وأكثرهم فساداً وفجوراً، ومآله الهلاك والدمار فلا خلود له ولا بقاء[1].

فأيهما أكرم، وأيهما أفضل، وأيهما الحق؟

بلا أدنى شك فإن من يرفع من قدر هذا الإنسان والذي تعترف كل الديانات أنـه خليفة الله فـي الأرض، وأن الله خلقـه علـى أحسـن صـورة؛ بـلا شـك هـذا يكـون أكـرم وأفضل وأليق من قول الذين يقولون إن أصـل الإنسـان قرد، **(ولقد كرمنا بني آدم وحملناه في البر والبحر)**، ثم ما المستفاد من هذا القول؟ الحقيقة العلميـة، ومـاذا ستفيد مثل هذه الحقائق العلمية؟

هناك الكثير من موضوعات البحث والتـي يُنفق عليهـا الملايـين دون أن يكـون لهـا طائـل أو منفعـة، إن العلـم النافع هو العلم الذي يضيف إلـى رصيد الإنسـانية شيئاً جديداً نافعاً.

---

(١) انظر: إنسان المؤمنين وإنسان الملحدين: محمد ماضي أبو العزايم، دار الكتاب الصوفي، القاهرة، الأولى، ١٩٩٣م، ص١٢.

المطلب الثاني

كشف مصطفى محمود لزيف الداروينية

مع بدايات القرن العشرين، وزيادة الانفتاح المصري والعربي على بلاد الغرب وخصوصاً بريطانيا وفرنسا، انتقل كثير من فكر ومذاهب هذه البلاد إلى الوطن العربي، عن طريق الطلاب العرب الدارسين في بلاد الغرب، أو عن طريق الترجمة التي قام في أغلبها رجال غير متخصصين فيها، أو من باب الغزو، ومن الأفكار والمذاهب والنظريات التي نُقلت نظرية داروين، وكان من أكبر المتحمسين لنقل ونشر هذه النظرية رجلين أحدهما نصراني ملحد وهو شبلي شميل[1]، وآخر ادعى النهضة ونشر العلم وهو إسماعيل مظهر[2].

وقد تلقف القراء وطلاب العلم هذه النظرية وخصوصاً من كانت ثقافتهم الإسلامية بسيطة، تلقفوها

---

[1] شبلي الشميل: (١٨٥٠-١٩١٧م)، لبناني مسيحي سكن مصر، تخرج في الجامعة الأمريكية في بيروت، كان أول من أدخل نظريات داروين إلى العالم العربي من خلال كتاباته في المقتطف، ثم مؤلفه (فلسفة النشوء والارتقاء)، دافع عن العلمانية كنظام سياسي. (ويكيبيديا: الموسوعة الحرة).

[2] إسماعيل مظهر: (١٨٩١-١٩٦٢م)، مفكر مصري ليبرالي، ولد بالقاهرة لأسرة تنحدر من أصول تركية، اشتغل بالتأليف ورأس تحرير المقتطف ترجم كتاب أصل الأنواع لداروين ونشره ١٩١٨م، دعا إسماعيل مظهر إلى الفكر الحر. (ويكيبيديا: الموسوعة الحرة).

وكأنها أخرجتهم من بحر الظلمات والتيه إلى شاطئ الأمان والمعرفة.

ومن ضمن من انبهر بهذه النظرية الدكتور مصطفى محمود، إلا أن تخصص دراسة الطب وقف حاجزاً بينه وبين الاقتناع بهذه النظرية.

يرد مصطفى محمود بأن خطأ داروين أنه قال إن عوامل التطور هي عوامل داخلية وأن الحياة تتقدم بحوافز باطنية، دون يد هادية ترشدها، تتقدم بفعل الآليات المادية داخلها، لمجرد أنه لا يرى يد الصانع الخالق(١).

ثم يستطرد قائلاً: "إذا انتقلنا إلى كلام العلم عن مبدأ الحياة، فنحن أمام إجماع بأن الحياة بدأت من الماء، لا أحد يعرف كيف نشأ من الماء والتراب.

وإذا جئنا إلى مبدأ الكون كله، بنجومه وشموسه وكواكبه فنحن أمام إجماع من علماء الفلك بأن كل شيء نشأ من الهواء من سحب الغاز والتراب الأولية، تكاثفت هذه السحب من الغاز والتراب بفعل الجاذبية بين ذراتها إلى أنوية في الوسط هي الشموس وإلى تكثفات أصغر حولها هي الكواكب"(٢).

---

(١) القرآن محاولة لفهم عصري: مصطفى محمود، ص٦٠.

(٢) المصدر السابق: مصطفى محمود، ص٦٠.

خطأ داروين:

ما قاله داروين من أن الأنواع انحدرت من أصل واحد وأنها تباينت إلى شجرة الفصائل والأنواع نتيجة تباين الظروف والبيئات، كانت احتمالاً مرجحاً أقرب إلى الصحة تقوم عليه الشواهد، فالوشيجة العائلة تربط كل الخلائق بالفعل، والتشريح يقول إنها ترتبط ببعضها بصلة رحم وقربى.

أما حكاية أن الترقي حدث بالحوافز الحياتية وحدها وبدون يد هادية فلم تعد مقنعة وسقطت من غربال الفكر المدقق المحقق[1].

ومن خطأ داروين أنه فهم الحياة كمادة وفسر التطور بدوافع مادية، ولكن الواقع يؤكد في جميع الأحوال شيئاً أكثر من هذا، فالحياة ليست مجرد مادة مندفعة لتوكيد ذاتها وفرض سيادتها على البيئة، وإنما الحياة فيها شخصية وجمال، وكل نظرية تفسر الحياة كمادة دون أن تفسرها كقيم جمالية هي نظرية ناقصة[2].

علاقة نظرية داروين بالدين:

أنكرت النظرية الداروينية المادية أي تدخل من الخارج، وأي يد هادية مرشدة تقود الحياة وتهديها في رحلة الملايين من السنين، وقالت إنه لا شيء يقود الحياة العمياء سوى مصلحتها الحياتية في أن تبقى، وها نحن نرى أن هذا غير صحيح، وأن النسيج الحي يشف

(١) المصدر السابق: مصطفى محمود، ص٧٥.

(٢) انظر: المصدر السابق: مصطفى محمود، ص٨٦.

في كل تفاصيله عن هذه اليد الهادية للفنان المبدع والرسام القادر على كل شيء، خالق الأزل، الذي يخلق للخلق ويجمل للجمال.

إنها فجوة واسعة يعود الدين فيدخل منها من جديد.

إن نظرية داروين ثوب نظري جميل ولا شك، ولكنه مليء بالخروق، ومن الخطأ العلمي أن نأخذها على أنها يقين ومن الواجب أن ننظر إليها باعتباره نظرية أو احتمال أو فرض[1].

والباحث يقف عند كلام الدكتور عن (اليد الهادية للفنان المبدع والرسام القادر على كل شيء)، هذا الوصف لا يجوز مع الله سبحانه وتعالى، لأنه لا يجوز وصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ومثل هذه الأوصاف هي أليق بالإنسان وليس بخالق الإنسان.

إن القرآن الكريم يزودنا بما لم يقله العلم فيطلعنا على بعض الغيب: **(لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)**. (سورة التين: ٤).

فقد خلق الله آدم في البدء في أحسن تقويم، كاملاً لا عيب فيه، وخلق له من نفسه زوجة هي حواء وأسكنه الجنة وأسجد له الملائكة، وهو من قبيل الغيب المطلق الذي يرويه لنا القرآن الكريم، ولا نحيط به بعلمنا.

---

[1] انظر: المصدر السابق: مصطفى محمود، ص٨٨.

ويلخص لنا مصطفى محمود أهم نقاط الخطأ في نظرية داروين وهي متمثلة في:

١. أخطأ في تفسيره لعملية الارتقاء، وهي من خلال العوامل المادية التلقائية الذاتية وحدها، ثم تبع هذا الخطأ خطأ آخر وهو تصوير مراحل هذا الارتقاء.

٢. الخطأ الثاني كان من أتباع نظريته، حينما قالوا بنظرية الطفرة والتي تظهر من خلال تزاوج الخلية الأنثوية بالخلية الذكرية فينتج عنها صفات ضارة وتشوهات، والخطأ هنا كان لأنهم ألغوا تماماً أمر الإبداع والتدبير.

٣. الخطأ الثالث كان من خلال اكتشاف الخريطة الكروموسومية، أي خريطة الجينات والتي تقول أن لكل حيوان خريطة خاصة به تختلف عن أي حيوان آخر.

خلاصة القول إن نظرية داروين تعثرت أمام الاكتشافات العلمية الحديثة والأكثر تطوراً[١].

وهكذا كما عودنا مصطفى محمود أن يكون من خيرة من يدافع عن الحق المتمثل في دين الإسلام وعقيدته.

---

[١] انظر: حوار مع صديقي الملحد: مصطفى محمود، ص٩٩.

المبحث السادس

موقف مصطفى محمود من الحضارة الغربية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: معالم الحضارة الغربية.

المطلب الثاني: موقف مصطفى محمود من الحضارة الغربية.

المطلب الأول

معالم الحضارة الغربية

حينما نتحدث عن الحضارة الغربية فإنما نقصد بها الغرب كله أوروبا وأمريكا وروسيا ومن سار في ركبهم وانتهج منهجهم، فهي ليست مصطلحاً جغرافياً، إنما ذات مدلول فكري وثقافي وعقائدي.

والحضارة في لغة العرب: الإقامة في الحضر[1]، فهي في مقابل البداوة.

أما في الاصطلاح فالحق أن العرب لم تستعمل هذا المصطلح قبل ابن خلدون كمصطلح ذي مدلول فكري وثقافي: "يكاد يكون ابن خلدون أول من نبه إليها واستخدمها في مقدمته، إلا أن اصطلاحه الذي كان يستغني به معظم الأحيان عن هذه الكلمة بقوله (العمران البشري)، الذي يقابل الحضارة البشرية"[2].

ويعرفها ابن خلدون بأنها: "تفنن في الترف وإحكام المصانع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله، فلكل واحد منها صنائع في استجادته، والتأنق فيه تختص به، ويتلو بعضها بعضاً، وتكثر

---

[1] لسان العرب: ابن منظور، ٦٥٨/١.

[2] التفسير الإسلامي للتاريخ: عماد الدين خليل، دار العلم للملايين، بيروت، الأولى، ١٩٧٨م، ص١٧٨.

باختلاف ما تنزع إليه النفوس من الشهوات والملاذ، والتنعم بأحوال الترف وما تتكون به من العوائد"[1].

ومن التعاريف المعاصرة تعريف الدكتور محمد محمد حسين: "كل ما ينشئه الإنسان في كل ما يتصل بمختلف جوانب نشاطه ونواحيه عقلاً، وخلقاً ومادة وروحاً وديناً ودنيا"[2].

والحق أن أي باحث لا يستطيع أن يُعرف الحضارة تعريفاً شاملاً، لأن كل تعريف ينطلق من قاعدة مختلفة.

وتعريف علماء الإسلام للحضارة تعريف شمولي تكاملي، لا يغفل جانباً من جوانب الحياة، ولا يلغي جانباً على حساب جانب آخر منطلقاً من قوله تعالى: **(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ)**. (سورة النور: ٥٥).

وبناء الحضارة الحقة يلزمها أن توازن بين مكوني الحضارة، وهما المكون المادي (المدنية)، والمكون الفكري والثقافي والعقائدي (الثقافة)، فالتفاعل بين هذين

---

[1] مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن ابن خلدون، دار الكتب العلمية، بيروت، ص١٧٢.

[2] الإسلام والحضارة الغربية: محمد محمد حسين، دار الفرقان، القاهرة، الأولى، ص٦.

المكونين ينتج لنا حضارة متوازنة، وهذا ما رأيناه في الحضارة الإسلامية في عصورها الزاهية.

أما إذا أغفلنا مكوناً من هذين المكونين على حساب الآخر، فبلا شك سيكون هناك خلل كبير، وهو ما نراه في الحضارة الغربية من جانب والحضارة العربية من جانب آخر.

الحضارة الغربية المعاصرة:

لا يستطيع الباحث المنصف إلا أن يعترف أن الحضارة الغربية تقدمت في جانب العلوم المادية تقدماً مبهراً، وبالتالي كان نتاج هذا التقدم أن امتلكت زمام الأمور على مستوى الكرة الأرضية بأكملها، تقدمت صناعياً وزراعياً وعسكرياً، وفي الجانب الآخر على مستوى الديمقراطية والحرية والفنون والآداب ووسائل الاتصال، فهذه كلها جوانب مضيئة في الحضارة الغربية.

إلا أن إغراق هذا التطور والتقدم بالروح المادية بشكل كامل بعيداً عن الجانب الروحي جعله ينحرف نحو الجانب المادي ويبالغ فيه.

أهم معالم الحضارة الغربية:

١. **أنها حضارة مادية بحتة**: ليس لها بُعد ديني أو عقائدي، بل هي منفصلة كلياً عن قضايا الدين والروح، "فالطابع المادي للحضارة الغربية قاسم مشترك بين كل

مجتمعاتها، وعلى كل مراحل التاريخ في هذه الحضارة"[1].

إلا أن الحضارة الإسلامية لا تفصل فيها الرؤية الروحانية عن المادية فكلاهما مكمل للآخر، دين ودنيا، روح ومادة.

٢. **الرؤية الغربية للإنسان:** الإنسان هو سيد هذا الكون، وهو المتحكم فيه، ليس له مرجعية غير نفسه ورغباته، وهذا ما وجدناه متمثلاً في كل الفلسفات الغربية الماركسية والوجودية والبرغماتية والمثالية وغيرها.

وهذا بخلاف الرؤية الإسلامية التي تعتبره خليفة لله سبحانه وتعالى، وبالتالي فإن الإنسان في ظل الحضارة الغربية طليق من القيم والأخلاق لا تحكمه شريعة أو قانون إلا ما تعارف عليه من قوانين مدنية نظمت تعاملاته المادية.

بخلاف الإنسان في ظل الحضارة الإسلامية الذي تحكمه شريعة ربانية، وبالتالي ينتج عن هذا الخلل الكبير في الرؤية الغربية أن الإنسان لا يُسأل عما يفعل، فكل شيء مستباح له، فليس هناك سقف لحريته ورغباته[2].

---

[1] رؤية نقدية للحضارة الغربية: محمد عمارة، مركز الدراسات المعرفية (محاضرة) بتاريخ ٢٠٠٢/٥/٧م، القاهرة.

[2] انظر: المصدر السابق: محمد عمارة.

٣. **النظـرة الإلحاديـة فـي الحضـارة الغربيـة:** فلـيس هنـاك اعتـراف بوجـود خـالق لهـذا الكـون، وهـذه أهـم مرتكزات العلمانيـة التـي لا تحتـاج إلـى الاعتـراف بمـا وراء الطبيعة، وأن لهذا الكون مدبراً غيره، فالكون فـي نظرهم يدبر نفسه بنفسه وكذلك الإنسان.

يخـالف هـذه النظـرة الرؤيـة الإسـلامية التـي تـؤمن بخالق مدبر لهذا الكون وبالتالي كل أمر في حياة المسلم ذو ارتبـاط بقيم علويـة أخلاقيـة، ولهـذا فـإن الحضـارة الإسلامية تعتمد على قاعدة تتمثل في قولـه تعـالى: **(قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى)**. (سورة طـه: ٥٠).

وبناءً على النظرة الغربية المـادة فالعـالم عنـدهم عـالم مصـالح ينقسـم إلـى شـرق وغـرب، وشـمال وجنـوب، وفقـراء وأغنيـاء، ويسـتعلي الجـنس الأبـيض علـى البشـرية، وتـرى أن مـن حقهـا السيطرة علـى مقـدرات الأمم الملونـة والفقيـرة، وحرمـان الأمـم الناميـة مـن حـق امتلاك ثرواتها وإقامة حضارتها الخاصة بها[١].

أما عندنا فـي ظـل الحضـارة العربيـة الإسـلامية فهـي تستند على النص القرآنـي: **(يَـا أَيُّهَـا النَّـاسُ إِنَّـا خَلَقْنَـاكُمْ مِـنْ ذَكَـرٍ وَأُنْثَـى وَجَعَلْنَـاكُمْ شُـعُوباً وَقَبَائِـلَ لِتَعَـارَفُوا إِنَّ أَكْـرَمَكُمْ عِنْـدَ اللَّهِ أَتْقَـاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِـيمٌ خَبِيـر)**. (سـورة الحجرات: ١٣).

---

[١] انظر: حقائق مضيئة: أنور الجندي، دار الصحوة للنشر، القاهرة، ص١٠٧.

إن النظرة الغربية هي نظرة عنصرية ملؤها التمييز بين الأمم، والنازية في أوروبا، والصهيونية في فلسطين، والصرب في البوسنة خير شاهد على ذلك.

٤. **نظرية الصراع للبقاء:** وهي من أخطر ملامح الحضارة الغربية، وما الحروب العالمية الأولى والثانية، واحتلال بلاد المسلمين وشن الحروب عليهم، إلا ملمح لهذه النظرة، وهذا نتاج ما رسّخته نظرية داروين في العقلية الغربية، وكذلك تأثير الفكر الشيوعي القائم على صراع الطبقات، "ففكرة الصراع فكرة أساسية موجودة في الحضارة الغربية، ولذلك شهدت أوروبا مرحلة من الحروب النوعية، وشهدت مرحلة من الحروب الدينية بين المذاهب النصرانية التي أزهقت الملايين من الأرواح"(١).

والمتأمل في حروب المسلمين ضد أعدائهم يرى أنها لم تكن حروب عدوانية بقدر ما كانت حروباً دفاعية، وغزوات النبي صلى الله عليه وسلم خير شاهد على هذا، أما الفتوحات الإسلامية فكانت من منطلق نشر قيم وعقائد الإسلام ورفع الظلم الواقع على الشعوب من قبل حكامها.

كل هذا لا ينكر أن للحضارة الغربية أيادي خير على الإنسانية، في الجانب المدني والتقني والصناعي والزراعي، والحكم والحرية السياسية، أما الجانب

---

(١) رؤية نقدية للحضارة الغربية: محمد عمارة.

الفكري والثقافي والديني والأخلاقي فشرهم أكثر من خيرهم.

غزو الفكر الغربي لبلاد المسلمين:

عملت الدول الغربية جاهدة على تصدير فكرها ومناهجها إلى البلاد الأخرى، وخصوصاً بلاد الشرق الإسلامي، وحاولت ذلك من خلال غزو هذه البلاد عسكرياً واحتلالها، فعلت ذلك إلا أنها وجدت أن هذا الاحتلال لا يُسعفها في غايتها ومقصدها، فغيرت من خططها وأساليبها، حتى وجدنا من بين العرب والمسلمين ما يُقبل على هذه المناهج والأفكار، ويحرص على الدعوة لها، وكأنها من بنات أفكاره.

أسباب قبول المسلمين لهذه الأفكار[1]:

١. هجران المسلمين حكاماً ومحكومين لدينهم وعقيدتهم إلا القلة القليلة.

٢. تفشي الجهل بين عامة المسلمين بأسس دينهم وعقيدتهم، وهذا الجهل أدى بهم إلى عدم العمل بهذا الدين إلا في جانب العبادة.

٣. ما تعرض له الإسلام من تشويه وتشكيك.

٤. الغزو الفكري للأمة، ودخول المنظمات والجمعيات ذات الشعارات الخادعة والبراقة، وتقبل فئة

---

(1) انظر: كشوف وزيوف: الميداني، ص٩٢.

من المثقفين والمتعلمين لها، مثل الماسونية والماركسية والوجودية، والجمعيات النسائية، والمنظمات الحقوقية.

٥. توالي الهزائم وتراجع الأمة أمام غيرها من الأمم.

٦. وجود فئات وطوائف غير مسلمة بين صفوف المسلمين لعبت دوراً كبيراً من خلال مناصرتها للمحتل ومعاونته على نشر أفكاره.

٧. فتنة الشعوب العربية بالحضارة الغربية المادية وانبهارهم بها.

٨. البعثات التعليمية العربية لبلاد الغرب، وعودة هؤلاء الدارسين إلى بلادهم وتقلدهم زمام الأمور فيها.

٩. السياحة الغربية إلى البلاد العربية، والاختلاط غير المبرر مع شباب المسلمين.

١٠. الغزو الإعلامي الغربي المدمر من خلال الفضائيات والإنترنت.

المطلب الثاني

موقف مصطفى محمود من الحضارة العربية

نظر المسلمون إلى الحضارة الغربية من خلال ما وصل إليهم من أفكارها ومذاهبها، وما شاهدوه من طرق تقدمها وقوتها وسيطرتها، فكانوا اتجاهات عدة: منهم من رفض هذه الحضارة جملة وتفصيلاً، ومنهم من قبلها ودعا إليها جملة وتفصيلاً، ومنهم من توقف ما بين القبول وما بين الرفض، وقالوا نقبل ما يفيدنا، ونرفض ما لا يفيدنا.

موقف مصطفى محمود:

يفرق مصطفى محمود بين التطور العلمي الذي يشهده الغرب في الطب والاقتصاد والعلم وعلوم القضاء والزراعة والصناعة، وبين مناهج الحياة الاجتماعية والمذاهب الفكرية والمدارس الثقافية، ومنتجات الأدب والفن والمسرح والسينما "المجتمعات الغربية هي مجتمع السوق والوفرة والعلم والتكنولوجيا والصعود إلى الفضاء والتنقيب عن الثروات في الأرض، وفي البحر وفي الجو، وفي الذرة وفي المجرة وتكديس السلاح والبوارج والغواصات والطائرات والترسانة النووية والكيماوية والميكروبية مع خطرها على الآخرين[١].

---

(١) الغد المشتعل: مصطفى محمود، ص٣٧.

والحقيقة أن هناك جانباً إيجابياً في هذه الحضارة لا بد من قبوله واستيعابه، وهو العلم بمنجزاته الصناعية والتكنولوجية، والعلم محايد، لا يوجد علم شرقي ولا علم غربي، ولا يوجد علم شيوعي وعلم رأسمالي، الحقائق العلمية واحدة.

البخار ليس يمينياً، والكهرباء ليست يسارية.

العلم تراث إنساني عام لا بد من تحصيله كله ومن منابعه ومراجعه الأصلية، وذلك هو الجانب الإيجابي من حضارتنا[١].

أما عن الجانب الآخر عندهم "حقوق الإنسان عندنا بلا حدود، انتحر، تشرب، تسكر، تقامر، تباشر الشذوذ، كل اختياراتك مصونة ومكفولة ومحترمة، للمرأة أن تباشر الجنس مع من تريد، وأن تختار الشذوذ مع امرأة أخرى إذا شاءت وأن تتزوجها إذا أرادت وحقوقها مكفولة.

والعنف في كل شيء إلى درجة الغل والتدمير والقتل والتخريب وإشعال الحرائق.

اغتنم لحظتك فهي لن تعود مرة أخرى، والعواقب البعيدة غير واردة في أكثر الأحوال، والآخرة لا وجود لها، والله بقية من عالم قديم أثري، جميل أسطوري[٢].

---

(١) لماذا رفضت الماركسية: مصطفى محمود، ص٩٥.

(٢) انظر: المصدر السابق: مصطفى محمود، ص٣٧.

ماذا تقدم لنا الحضارة الغربية؟

وهو هنا يقصد الجانب الفكري والثقافي "الحضارة المادية لم تقدم للإنسان إلا الموت، وحياة تمضي سدى، وتنتهي عبثاً، أما الإسلام فقدم للإنسان الخلود، وحياة تمضي لحكمة وتنتقل من طور إلى طور وفقاً لنواميس ثابتة من العدل الإلهي حيث لا يذهب أي عمل سدى، ولو كان مثقال ذرة من خير أو شر، **(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه)**. (سورة الزلزلة: ٧-٨).

حقيقة الحضارة الغربية:

واليوم تصل الحضارة المادية إلى ذروة من القوة والعلم وتكتمل لها أدوات الفعل والتأثير، من إذاعة وتليفزيون وسينما ومسرح وكتب ومحلات، وهي سواء كانت أمريكية أو سوفييتية، فهي لا تفتأ تغتال العقل والروح وتتحالف على الإنسان بخيلها ورجلها، ولكن برغم كل شيء ضعيفة متهافتة واهية، لأنها تغتال نفسها ضمن من تغتال، وتأكل كيانها، وسوف تقتتل مع بعضها البعض، وتتحارب بالمخلب والناب، وبالقنابل الذرية والقذائف النووية، فالطمع والجشع حياتها وموتها[(١)].

ويزيد الأمر وضوحاً حينما يقول: "الحضارة السائدة اليوم هي حضارة مادية ملحدة بشقيها الرأسمالي

---

(١) ماذا وراء بوابة الموت: مصطفى محمود، ص٤٢.

والشـيوعي، كـل الفـرق أن الحريـات المتاحـة للأفـراد تتفاوت في الجانبين.

نحـن نعيش جاهليـة ماديـة ذات أنيـاب ذريـة ومخالـب إلكترونيـة، ونعاصـر نوعـاً متطـوراً مـن الفسـاد يسـتخدم التليفزيـون والراديـو والمجلـة والكتـاب، وأحـدث مسـتحدثات العلـم فـي تـرويج أكاذيبـه، الكـل يسـتعمرنا بوسـيلة أو بـأخرى، بالمـذهب أو بالاقتصـاد أو بـالمؤامرات، أو بالسـلاح يبيعونـه ثـم يؤلبـون طـائفـة منـا على الأخرى لنقتل بعضنا بعضـاً، فيضـربون بـذلك عدة عصـافير بحجـر واحـد، يستردون عائدات البتـرول التـي دفعوهـا لنـا بالعملـة الصـعبة، ويشـغلون مصـانعهم، ويعـالجون البطالـة الزائـدة فـي بلادهـم بالعمـل فـي تلـك المصانع، ويشتتون جموعنا فلا نتفق أبداً على كلمة"[(١)].

علاقة الحضارة الغربية بالدين:

أخطر سلبيات الحضـارة الغربيـة أنهـا ألغـت الـدين من تفكيرهـا (صـحيح أن لهـذا الأمـر رواسـب تاريخيـة)، وقطعت علاقتها مـع الله كلياً فنتج عن ذلك هذا الانهيار الذي نراه في كل جوانب الحياة، ويربط مصطفى محمود ذلـك بقولـه : "سـلبية الحضـارة الأمريكيـة خلوهـا مـن الروح، خلوها من فكرة القداسـة، ومـن الكمـالات التـي لا تسـبغها فـي علـم الـنفس إلا القـيم الدينيـة الرفيعـة، وقـيم

---

(١) لماذا رفضت الماركسية: مصطفى محمود، ص٩٣.

المسيحية لا وجود لها في الشخصية الأمريكية البراجماتية المندفعة نحو المصلحة المادية واللذة العاجلة والثراء الشخصي والقوة، والسيطرة على العالم، المسيحية مهجورة في أمريكا، القيم الوثنية التي تعبد المال في براءة شديدة أصبحت طابعاً لعالم اليوم في كل مكان، القتل من أجل الدولار، والصراع من أجل الأنثى، والحرب من أجل احتلال الأرض، بعثت كلها من جديد في بدائية شرسة.

والتحمت المادية الإسرائيلية بالمادية الأمريكية فيما أسماه الرئيس الأمريكي (بوش) بالحضارة اليهودية المسيحية، وهي مغالطة، فالمسيح بريء من هذه الحضارة، ولا أثر لوجوده فيها، فهي مادية الطابع في كل شيء ولا رحمة فيها ولا محبة ولا تقوى، وهؤلاء هم الذين سمّاهم المسيح بأبناء الأفاعي في إنجيله المقدّس"[1].

وما يحدث لنا في فلسطين خير شاهد على وحشية هذه الحضارة الغربية بما تدعمه للكيان الصهيوني من زرعه في أرضنا ودعمه دعماً مادياً ومعنوياً وسياسياً، والوقوف في وجه المقاومة واعتبارها إرهاباً، وتحريض العالم على حربها وحصارها وتجويع أهلها ومن ثم تركيعهم، كل هذا لمصلحة الكيان الصهيوني.

وهكذا يواصل مصطفى محمود من خلال كتبه الكثيرة وعشرات المقالات التي ينشرها هنا وهناك، يقف بكل شموخ أمام هذا التيار العنيف، يبين زيفه، ويكشف خداعه، ويدق على أبواب عقول العقلاء لينتبهوا إلى الخطر القادم.

رحم الله الرجل رحمة واسعة

---

[1] الغد المشتعل: مصطفى محمود، ص٤١.

النتائج

هذه أهم النتائج أثبتها هنا لتمام المنفعة والفائدة:

١. يُعتبر الدكتور مصطفى محمود من الشخصيات التي كان لها تأثيرٌ كبيرٌ عربياً وإسلامياً.

٢. كان للحياة السياسية والاجتماعية أثرها الكبير على عقلية وحياة الدكتور.

٣. شكل الدكتور نمطاً جديداً متفرداً في الدعوة لدين الله الإسلام.

٤. كان مصطفى محمود من أعلى الأصوات في زمانه إعلاناً للحق ومناصرة للقضايا الإسلامية والقومية.

٥. قدّم مصطفى محمود للمكتبة الإسلامية كماً كبيراً من المؤلفات، حتى عُد من المكثرين في التأليف.

٦. انتهج الدكتور منهج الوسطية في التعامل مع القضايا الفكرية ما بين القبول المطلق والرفض المطلق.

٧. حارب الرجل بكل شراسة الأفكار الوافدة وبيّن زيفها وضلالها، وكان سداً منيعاً أمام تغلغلها في المجتمع المصري والعربي ومن ثم الإسلامي.

٨. بيّن الرجل صلاحية الإسلام عقيدةً وشريعة، وعدم تعارضه مع العلم وتطوره.

٩. أبرز الرجل الأخطاء في النظريات الوافدة كالماركسية والوجودية والبرجماتية.

١٠. أبان ضلال التيارات والمذاهب، وعلى الخصوص بيّن ضلال البهائية والقاديانية.
١١. جعل الرجل من المسجد مؤسسة اجتماعية تؤدي دورها التعبدي والاجتماعي على خير وجه.
١٢. وقف في وجه الغزو المادي الغربي، وبيّن عدم جدواه في حياتنا كمسلمين.
١٣. وقف مع الحق الفلسطيني في مواجهة المحتل الصهيوني الغاصب.
١٤. أبان عن حقيقة الصهيونية واليهودية كمؤسسات عنصرية احتلالية بغيضة.
١٥. امتاز منهجه وأسلوبه بالسهولة واليسر، وحاول التقريب بين الفرقاء، لغته سهلة وبسيطة.
١٦. كان نموذجاً عجيباً في الزهد والتقشف والبعد عن الوجاهة والمظهرية.
١٧. العطاء عنده لا ينقطع، فكان يشارك الحياة الفكرية والثقافية حتى الأيام الأخيرة من حياته، كان محباً لخدمة ومساعدة الآخرين.
١٨. اتخذ موقفاً خاصاً من الأحزاب والجماعات الدينية، فلم ينضوِ تحت راية أي حزب أو جماعة، مع حرصه على بناء جسور من العلاقة الطيبة مع الجميع.
١٩. كان يميل إلى التصوف العملي، وليس التصوف النظري الفلسفي.
٢٠. أكثر من الخدمات الإنسانية والاجتماعية.

٢١. تنقل في كثير من بلاد العالم والتقى بكثير من الشخصيات المهمة، مما أفاده في تجربته الشخصية.
٢٢. تأثر بشكل واضح بوالده وبأسلوب حياته، وعطائه وورعه.
٢٣. لا يتعرض للخلافات المذهبية والفقهية بشكل واضح.
٢٤. اجتهد الرجل فأصاب في كثير من المسائل، وأخطأ في العديد منها.
٢٥. مثّل أنموذجاً معاصراً للداعية المسلم.

المصادر والمراجع

▪ القرآن الكريم.
▪ التوراة.
▪ الإنجيل.

- أ –

١. أبحاث في اليهودية والصهيونية: أحمد سوسة- دار الأمل- الأردن- ٢٠٠٣م

٢. إبراهيم بن سيّار النظّام وآراؤه الفلسفية: محمد أبو ريدة - الهيئة المصرية للكتاب - القاهرة – ٢٠١٠م.

٣. اتجاه التفسير في العصر الحديث: مصطفى الطير - مجمع البحوث الإسلامية – القاهرة - ١٩٧٥.

٤. اتجاهات الرواية العربية: شفيع السيد - دار الفكر العربي – القاهرة – الثالثة - ١٩٩٦م.

٥. الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاص: محمد محمد حسين - مؤسسة الرسالة - بيروت.

٦. الأحلام: مصطفى محمود - مؤسسة أخبار اليوم – القاهرة – الأولى – ٢٠٠٤.

٧. الأزهر في ألف عام: محمد خفاجي - عالم الكتب – بيروت - الثانية - ١٩٨٨.

٨. الإسلام والحضارة الغربية: محمد محمد حسين- دار الفرقان- القاهرة- الأولى

٩. الإسلام السياسي والمعركة القادمة: مصطفى محمود - مؤسسة أخبار اليوم – القاهرة - الأولى - ١٩٩٦.

١٠. الأعلام: خير الدين الزركلي - دار العلم للملايين – بيروت – العاشرة - ١٩٩٢.

١١. أفيون الشعوب: عباس العقاد، منشورات المكتبة العصرية- بيروت- الثانية.
١٢. الأقدس: البهاء
١٣. أكذوبة الماركسية: مصطفى محمود -
١٤. إنسان المؤمنين وإنسان الملحدين: محمد ماضي أبو العزايم- دار الكتاب الصوفي- القاهرة- الأولى- ١٩٩٣
١٥. انهيار إسرائيل من الداخل: عبد الوهاب المسيري- دار المعارف- القاهرة- الأولى- ٢٠٠٢م
١٦. الإيقان : البهاء

- ب -

١٧. البابية عرض ونقد: إحسان ضهير - إدارة ترجمان - الثالثة - ١٩٨١.
١٨. البابية والبهائية: محمد إبراهيم الجيوش- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- القاهرة- ١٩٩٨.
١٩. البابيون والبهائوين: همايون همتي- دار الهادي-بيروت- الأولى- ١٩٩٣.
٢٠. باشوات وسوبر باشوات: حسين مؤنس - الزهراء للإعلام العربي – القاهرة – الثانية - ١٩٨٨م.
٢١. بنو إسرائيل: محمد سيد طنطاوي: دار الشروق- القاهرة- الأولى- ١٩٩٧م.
٢٢. بهاء الله والعصر الجديد: أسلمنت- دار العصور- القاهرة- ١٩٢٠.
٢٣. البهائية: محب الدين الخطيب- المطبعة السلفية- القاهرة- ١٣٧٥هـ.
٢٤. البهائية تاريخها وعقيدتها: عبد الرحمن الوكيل- مطبعة السنة المحمدية- القاهرة- ١٩٦٢.

٢٥. البهائية وجذورها البابية: عامر النجار- مركز الدراسات والبحوث الاجتماعية- القاهرة- الأولى- ١٩٩٦م.
٢٦. البهائية صليبية الفرس: محمود ثابت الشاذلي- مكتبة وهبة- القاهرة- الأولى- ١٩٩٩.
٢٧. البهائية وموقف الإسلام منها: دخيل الله الأزوري- رسالة ماجستير- جامعة أم القرى- جدة- ١٩٨١.
٢٨. البيان: الباب الشيرازي

- ت -

٢٩. تاريخ الحركة الوطنية: مصطفى رمضان - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة.
٣٠. تاريخ الدولة الإسلامية: السيد دحلان - مكتبة الإيمان -- القاهرة -- الأولى- ٢٠٠٠ -
٣١. التفسير الإسلامي للتاريخ: عماد الدين خليل- دار العلم للملايين- بيروت- الأولى- ١٩٧٨.
٣٢. التوراة: مصطفى محمود – دار المعارف – القاهرة – الأولى – ١٩٧١.

- ج -

٣٣. الجذور التاريخية للعنصرية الصهيونية: خالد القشطيني- المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت-الأولى- ١٩٨١م

- ح -

٣٤. حاضر العالم الإسلامي: صالح الرقب - مطبعة الرنتيسي – غزة – الأولى - ١٩٩٨ .
٣٥. الحراب في صدر البهاء والباب: محمد فاضل- دار المدني- القاهرة- الثانية- ١٩٨٦.
٣٦. حقائق مضيئة: أنور الجندي- دار الصحوة للنشر- القاهرة.

٣٧. حقيقـة البابيـة والبهائيـة: محسـن عبـد الحميـد- المكتـب الإسلامي- بيروت- الثالثة- ١٩٨٥.
٣٨. حقيقــة البهائيــة: مصــطفى محمــود - دار المعــارف - مصر- الثانية - ١٩٩٢.
٣٩. حوار مع الشيوعيين: عبد الحليم خفاجي- دار الأنصار- القاهرة - الثانية- ١٩٧٧م.
٤٠. حــوار مــع صــديقي الملحــد: مصــطفى محمــود - دار المتوسط للنشر والتوزيع – بيروت.

- د -

٤١. دائرة معارف القرن العشرين: محمد فريد وجدي- دار المعرفة- بيروت- الثالثة- ١٩٧١.
٤٢. داروين ونظريـة التطـور: شـمس الـدين بلـوت- ترجمـة أورخان محمد علي- دار الصحوة- القاهرة- ١٩٨٠.
٤٣. دراسات في الفلسفة الوجودية: عبد الرحمن بدوي - دار الثقافة- بيروت- الثالثة- ١٩٧٣م.
٤٤. الـدرر البهيـة: محمـد الجرفادقـاني- مطبعـة السـعادة - القاهرة - ١٩٢٥.
٤٥. دكتور مصطفى محمود والتصوف: أحمد كمال الجزار - مطبوعات أخبار اليوم – الأولى - ١٩٩٧.
٤٦. الدولـة فـي الإسـلام: خالـد محمـد خالـد - دار ثابـت – القاهرة – الأولى - ١٩٨١.

- ر -

٤٧. رأيـت الله: مصـطفى محمـود - دار المعـارف - مصـر- الخامسة - ١٩٨١.
٤٨. الرد على مصطفى محمود في إنكاره المقام المحمود: حسـن محـرم الحـويني - الـدار المحمديـة – القـاهرة - الأولـى- ١٩٩٩.

٤٩. الرد على مصطفى محمود: عبد المهدي عبد الهادي - هدية مجلة الأزهر- العدد ربيع الآخر- ١٤٢٠هـ.
٥٠. رؤيـة نقديـة للحضـارة الغربيـة: محمـد عمـارة- مركـز الدراسات المعرفية (محاضرة) بتاريخ ٢٠٠٢/٥/٧م- القاهرة.

- س -

٥١. سقوط اليسار: مصطفى محمود -
٥٢. السؤال الحائر: مصطفى محمود - مؤسسة أخبار اليوم - القاهرة - ٢٠٠٨.
٥٣. سـير أعـلام النـبلاء: محمـد بـن أحمـد الـذهبي– مؤسسـة الرسالة – بيروت – الثالثة – ١٩٨٥.

- ش -

٥٤. شاهد على العصر: عمر بطيشة - أخبار اليوم – الأولـى - ١٩٨٤م.
٥٥. شطحات مصطفى محمود في تفسيراته العصـرية: عبد المتعـال محمـد الجبـري - دار الاعتصــام – القــاهرة - الثانيــة- ١٩٧٩.
٥٦. الشيوعية والشيوعيين في ميزان الإسلام: عبد الجليل شلبي- دار الشروق- القاهرة- الأولى- ١٩٧٦م.

- ص -

٥٧. صـفحات مـن تـاريخ الإخـوان: أحمـد رائـف - المختـار الإسلامي – القاهرة .
٥٨. الصــهيونية بإيجــاز: محمـد بــا خريبــة- مكتبــة الخبــر- الأولى- ٢٠٠١

- ع -

٥٩. عجائب الآثار في التراجم والأخبار: عبد الرحمن الجبرتي - تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن - دار الكتب المصرية - القاهرة – الأولى - ١٩٩٨م

٦٠. عظماء الدنيا وعظماء الآخرة: مصطفى محمود - مؤسسة أخبار اليوم – القاهرة - السادسة - ١٩٩٦.

٦١. العقيدة والشريعة: جولدزيهر- دار الكتاب- مصر.

٦٢. على حافة الانتحار: مصطفى محمود - مؤسسة أخبار اليوم - القاهرة - ١٩٩٦.

٦٣. على حافة الزلزال: مصطفى محمود - مؤسسة أخبار اليوم - القاهرة - ٢٠٠٢.

٦٤. على خط النار: مصطفى محمود - مؤسسة أخبار اليوم – القاهرة – ٢٠٠٠.

- غ -

٦٥. الغد المشتعل: مصطفى محمود - مؤسسة أخبار اليوم – القاهرة - ١٩٩٥.

- ف -

٦٦. الفارس المتمرد: مذكرات الدكتور مصطفى محمود: سيد الحراني - جريدة المصري اليوم.

٦٧. فرق وأديان معاصرة: السيد أبو يوسف- مكتبة الإيمان- المنصورة- الأولى- ٢٠٠٨.

٦٨. فلسطين: القضية و الشعب والحضارة: عجاج نويهض- دار الاستقلال للدراسات والنشر- بيروت-الأولى- ١٩٩١م

٦٩. الفلسفة: أنواعها ومشكلاتها : هنترميد- ترجمة فؤاد زكريا - دار نهضة مصر- القاهرة- الثانية- ١٩٧٥.

٧٠. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي: محمد البهي - مكتبة وهبة – القاهرة – الأولى -١٩٧٦م.

- ق -

٧١. قاموس علم النفس: محمد عاطف غيث- الهيئة المصرية- العامة للكتاب- القاهرة- ١٩٧٩م.

٧٢. قاموس الكتاب المقدس: مجمع الكنائس في الشرق الأوسط – بيروت – الثانية – ١٩٧١.

٧٣. القرآن محاولة لفهم عصري: مصطفى محمود - دار الشروق – بيروت - ١٩٧٠

٧٤. قصتي مع التصوف: خالد محمد خالد - المقطم للنشر- القاهرة – الثالثة - ٢٠٠٦

- ك -

٧٥. كشوف وزيوف: عبد الرحمن الميداني- دار القلم- دمشق- الثانية- ١٩٩١م.

٧٦. الكيد الأحمر: عبد الرحمن الميداني- دار القلم – دمشق- الأولى- ١٩٨٥م.

٧٧. كيف يفكر زعماء الصهيونية: أمين هويدي- دار المعارف- القاهرة- الأولى- ١٩٨٦م.

- ل -

٧٨. لماذا رفضت الماركسية: مصطفى محمود – دار المعارف – القاهرة -

- م -

٧٩. الماركسية والإسلام: مصطفى محمود - دار المعارف – مصر - ١٩٧٥.

٨٠. ماذا وراء بوابة الموت: مصطفى محمود - مؤسسة أخبار اليوم - القاهرة - ١٩٩٩.

٨١. مختارات من شخصية مصر : عبد الحميد حمدان - مكتبة مدبولي – القاهرة - ١٩٩٤.

٨٢. مذاهب فكرية معاصرة: محمد قطب- دار الشروق- القاهرة - الأولى- ١٩٨٣.
٨٣. مشكلة الحرية في الفلسفة الوجودية: سعد عبد العزيز صابر- مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة- ١٩٧٠م.
٨٤. مصر في القرن (٢١): أسامة الباز - مؤسسة الأهرام – القاهرة – الأولى - ١٩٩٦م.
٨٥. مصر قبل جمال عبد الناصر: عبد العظيم رمضان - الهيئة المصرية العامة – القاهرة – الأولى - ١٩٨٦م.
٨٦. مصر المجاهدة في العصر الحديث: عبد الرحمن الرافعي - الهيئة العامة - ١٩٥٩م.
٨٧. مصر وعالم البحر المتوسط: رؤوف عباس حامد - مكتبة نهضة مصر- القاهرة – الأولى - ١٩٩٦م.
٨٨. مصطفى محمود سؤال الوجود: لوتس عبد الكريم - مؤسسة أخبار اليوم – القاهرة – الأولى - ٢٠٠٨م.
٨٩. مصطفى محمود شاهد على عصره: جلال العشري - دار المعارف – مصر – السادسة - ١٩٩٧م.
٩٠. مصطفى محمود مشوار العم: محمد رضوان - دار المعارف – القاهرة - الأولى.
٩١. مصطفى محمود ودوره في خدمة قضية كوسوفا: بكر إسماعيل: - مكتبة ألبا برس – القاهرة – الأولى - ٢٠٠٠.
٩٢. مفتاح باب الأبواب: محمد مهدي خان- مطبعة المنار- القاهرة- الأولى- ١٣٢١هـ.
٩٣. مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن ابن خلدون- دار الكتب العلمية- بيروت.
٩٤. مناهج البحث في العلوم الإنسانية: مصطفى حلمي- دار الكتب العلمية- بيروت- الأولى- ٢٠٠٥.

٩٥. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: عبد الرحمن ابن الجوزي - دار الكتب العلمية – بيروت - الأولى.
٩٦. من أسرار القرآن: مصطفى محمود - مؤسسة أخبار اليوم- القاهرة - ١٩٧٦.
٩٧. المؤامرة على الإسلام: أنور الجندي - دار الاعتصام - القاهرة .
٩٨. الموسوعة الإسلامية العامة - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – مصر – الأولى – ٢٠٠٨م.
٩٩. موسوعة أعلام الفكر الإسلامي: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – مصر – الأولى – ٢٠٠٧م.
١٠٠. موسوعة أعلام الفكر العربي: سعيد جودة السحار - مكتبة مصر - القاهرة .
١٠١. موسوعة أعلام الفلسفة: روني ألفا - دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى – ١٩٩٢.
١٠٢. موسوعة التاريخ الإسلامي : أحمد شلبي - دار النهضة المصرية - ١٩٨٦م.
١٠٣. الموسوعة السياسية: عبد الوهاب الكيالي - المؤسسة العربية للنشر – بيروت – الأولى - ١٩٩١.
١٠٤. الموسوعة العربية الميسّرة: جامعة الدول العربية - دار الشعب - القاهرة .
١٠٥. موسوعة الفرق والأديان: إسلام محمود دربالة - مكتبة الإيمان – المنصورة – الأولى - ٢٠٠٧ .
١٠٦. الموسوعة الفلسفية: روزنتال، ترجمة: سمير كرم- دار الطليعة- بيروت- الرابعة – ١٩٨١.
١٠٧. الموسوعة الفلسفية العربية: معن زيادة - معهد الإنماء العربي، الأولى، ١٩٨٦.

١٠٨. الموسوعة المفصلة: حسن عبد الحفيظ أبو الخير – دار ابن الجوزي – القاهرة – الأولى – ٢٠١١.
١٠٩. موسوعة المورد: منير البعلبكي - دار العلم للملايين – بيروت - الثانية - ١٩٩٢.
١١٠. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: عبد الوهاب المسيري

- ن -

١١١. نار تحت الرماد: مصطفى محمود - أخبار اليوم – القاهرة - ٢٠٠٨ .
١١٢. الناصرية في قفص الاتهام: عبد المتعال الجبري - دار الاعتصام – القاهرة – الأولى - ١٩٧٩.
١١٣. نبوة محمد في القرآن: حسين ضياء الدين
١١٤. النحلة اللقيطة البابية والبهائية: عبد المنعم النمر- مكتبة التراث الإسلامي- القاهرة.
١١٥. نضال شعب مصر: محمد عبد الرحمن حسين - منشأة المعارف - الإسكندرية.

- و -

١١٦. واقعنا المعاصر: صالح الرقب
١١٧. وبدأ العد التنازلي: مصطفى محمود - دار المعارف - مصر- الخامسة - ٢٠٠٢.
١١٨. الوجودية: أنور الجندي- دار الاعتصام- القاهرة - ١٩٧٦م.
١١٩. الوجودية والإسلام: محمد لبيب البوهي- دار المعارف- مصر- ١٩٦٠م
١٢٠. الوجودية المؤمنة والوجودية الملحدة: محمد غلاب- الدار القومية- القاهرة - الأولى- ١٩٦٦م.

١٢١. وليم جيمس رائد المذهب البرغماتي: كامل محمد عويضة - دار الكتب العلمية – بيروت – الثانية - ١٩٩٣).
- ي -
١٢٢. اليهود الموسوعة المصورة: طارق السويدان- مكتبة الإبداع الفكري- الكويت- الأولى- ٢٠٠٦م

المواقع الالكترونية:

١. الموقع الإلكتروني (شذرات) .
٢. موقع الدرر السنية الإلكتروني
٣. موقع الدكتور صالح الرقب
٤. موقع ويكيبيديا الموسوعة الحرة
٥. منتدى التوحيد الإلكتروني .
٦. موقع إسلام اون لاين
٧. شبكة الألوكة الشرعية

الصحف والمجلات:

١. جريدة الأهرام المصرية
٢. جريدة الجزيرة، السعودية
٣. جريدة الشرق الأوسط السعودية
٤. جريدة المصري اليوم
٥. جريدة اليوم السابع المصرية
٦. مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية
٧. مجلة شموع القاهرية
٨. مجلة صباح الخير المصرية
٩. مجلة الفيصل السعودية

كشف مؤلفات الأستاذ حسني العطار

داعياً الله أن ينفع بها وأن تكون في ميزان حسناته ومن له حق وفضل عليه:

أولاً. الدراسات القرآنية:

١. من آيات الإعجاز في القرآن الكريم (دراسة).

٢. الاستهزاء والسخرية في ضوء القرآن الكريم. (دراسة).

٣. الحوار في القرآن الكريم: دراسة ونموذجاً. (دراسة).

٤. قيم تربوية مستنبطة من قصص سورة الكهف. (دراسة).

٥. الرازي ومنهجه في التفسير وموقفه من اليهود. (دراسة).

ثانياً. علوم الحديث ومصطلحه:

٦. قضايا حديثية. (دراسة).

٧. دراسات حديثية تحليلية معاصرة. (دراسة).

٨. قطوف ومختصرات من علم أصول الحديث.

٩. إرشاد الأبرار إلى تخريج أحاديث المختار. (مساق أكاديمي).

١٠. مفتاح كتاب تحفة الأشراف للإمام المزّي

ثالثاً. دراسات في العقيدة والفكر:

١١. يوم القيامة بين التأصيل الديني والعقلي. (دراسة).

١٢. المختصر المفيد لأشراط الساعة وأحداث يوم الوعيد.

١٣. نظرية الخلافة عند الخوارج. (دراسة).

١٤. أثر العقيدة الإيمانية على الصحة النفسية. (دراسة).

١٥. عقيدة المهدي المنتظر عند الشيعة: عرض ونقد. (دراسة)

١٦. السنن الإلهية: وحركة النهضة الإنسانية – دراسة وعرض. (دراسة).

١٧. نظرية الفضيلة عند اليونان والمفكرين الإسلاميين. (دراسة).

١٨. البابية والبهائية: ضلال وإضلال. (دراسة).

١٩. شرع من قبلنا (دراسة).

٢٠. الوالدان: بين البر والعقوق. (دراسة).

٢١. نظرات سريعة في كتاب " قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة " (اختصار).

٢٢. مختصر لكتاب "التوسل أنواعه وأحكامه" للشيخ ناصر الدين الألباني.

٢٣. مختصر لكتاب "الروح" لابن قيم الجوزية.

٢٤. تلخيص كتاب شفاء العليل في القضاء والقدر لابن قيم.

٢٥. مختصر لكتاب "منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد " لعثمان علي حسن.

٢٦. العقائد اليهودية فساد وإفساد دراسة ونقض. (دراسة).

٢٧. العقائد النصرانية ضلال وإضلال دراسة ونقض. (دراسة).

٢٨. دراسة وتحليل لسفر أخبار الأيام الثاني. (دراسة).

٢٩. نظرية الإمامة عند الشيعة. (دراسة).

٣٠. الفرق بين الجهاد والإرهاب. (دراسة).

٣١. أهم أسباب تخلف العرب والمسلمين. (دراسة).

٣٢. الدكتور مصطفى محمود: آراؤه الاعتقادية وموقفه من المذاهب الفكرية والملل المعاصرة (رسالة ماجستير).

٣٣. مصطفى محمود حياته وآراؤه الاعتقادية. (دراسة).

٣٤. مصطفى محمود حياته وموقفه من المذاهب الفكرية المعاصرة. (دراسة).

٣٥. رمضانيات مقالات وذكريات. (مجموعة مقالات).

٣٦. عطاريات: مقالات في الدين والحياة. (مجموعة مقالات).

٣٧. قيمنا الأخلاقية بين الأهمية والحاجة. (دراسة). مطبوع

٣٨. الأخلاق بين الادعاء والالتزام. (دراسة). مطبوع

٣٩. قضايا دينية وفكرية. مقالات.

٤٠. فيس بوك صائم.

٤١. في عيونهم.

رابعاً. دراسات فلسطينية:

٤٢. مدينة القدس، والمسجد الأقصى: ماضٍ مجيد ومستقبل موعود. (دراسة).

٤٣. فلسطين: نقض مزاعم الكتاب المقدس. (دراسة).

٤٤. فضائل فلسطين وبيت المقدس في الكتاب والسنة. (دراسة).

٤٥. القضية الفلسطينية: رؤية إسلامية. (دراسة).

٤٦. القدس بين التهديد والتهويد. (محاضرات ومقالات).

٤٧. مدينة القدس أخطار لا تتوقف. محاضرة

خامساً. دراسات أدبية:

٤٨. عبد الرحمن بارود: شاعر المقاومة ـــ (دراسة نقدية).

٤٩. عاشق فلسطين: عبد الكريم الكرمي (دراسة).

٥٠. الشيخ رجب العطار ذاكرة أمة. (مذكرات). مطبوع

٥١. الشيخ رجب العطار مجاهداً. (دراسة). مطبوع

٥٢. طوبى للغرباء: قصة حياة الحاج موسى برهوم. مقالات.

٥٣. صعوبة المطالب في بلاد الله غالب. رواية. مطبوع

٥٤. شخصيات عرفتهم. مقالات.

٥٥. العطار في بلاد المختار. رواية. مطبوع

٥٦. حكاية مواطن غزاوي. حكاية. مطبوع

٥٧. بين الذكريات. ثلاثة أجزاء مقالات.

٥٨. أمي سلام عليك في الخالدين. مطبوع

٥٩. قصص وحكايات.

٦٠. شاميات. حكاية من حلقات مطبوع

٦١. أبي قصة حياة. مطبوع

سادساً. دراسات فقهية:

٦٢. الدية في الشريعة الإسلامية (دراسة فقهية).

٦٣. الوديعة المصرفية: دراسة فقهية – اقتصادية. (دراسة).

٦٤. الانتخابات وأحكامها في الإسلام. (دراسة). مطبوع

٦٥. حقوق المرأة المالية في الإسلام. (دراسة فقهية).

٦٦. دية المرأة المسلمة في الشريعة الإسلامية. (دراسة فقهية).

٦٧. الخنزير: أخطاره وأحكامه (دراسة مقارنة).

٦٨. السماحة الإسلامية في الضرورة الشرعية. (دراسة).

٦٩. قضايا اجتماعية. مقالات

٧٠. الصوم وتهذيب النفس. دراسة.

٧١. تلخيص كتاب الاختلافات العلمية.

٧٢. كورونا بين المحنة والمنحة. مطبوع

٧٣. لو سمحت لحظة من فضلك.

سابعاً. في الفكر السياسي:

٧٤. إسرائيليات.

٧٥. مستقبل الصراع الإسلامي الصهيوني من خلال كتاب "بروتوكولات حكماء صهيون". (دراسة).

٧٦. الماسونية: أخطر الجمعيات السرية. (دراسة)

٧٧. فلسطينيات مقالات في الوطن والقضية. مجموعة مقالات.

٧٨. مصر وقطاع غزة الأرض والسكان. مقالات

٧٩. انعكاسات حرب ٢٠٠٨م على المجتمع الفلسطيني والمجتمع الإسرائيلي. (دراسة تحليلية).

٨٠. مصر التي في خاطري. (مقالات ومنشورات)

٨١. أوراق عربية. (مقالات).

٨٢. تلخيص كتاب د. موسى أبو مرزوق مشوار حياة.

٨٣. الجزيرة العربية قبل الإسلام: الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية. (دراسة)

٨٤. أوسلو وخيبة الأمل الفلسطينية. مقالات.

٨٥. أنا والسلطة والوطن. مقالات.

٨٦. ثورات الربيع العربي وحكم الخروج على الحكام (دراسة).

٨٧. هموم كاتب ما بعد الهزيمة.

كتب تحت الإنجاز:

١. الشوق والحنين. سيرة ذاتية.

٢. أنا والمسجد الأقصى.

المحتويات

تم بحمد الله